

سلسلة نمط الحياة

الْعَجَبُ الْعَبَّاسِيُّ لِلْمُقَدِّسَةِ
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

سِرُّ الرِّضَا

(الإطار النظري للرضا والطمأنينة في الإسلام)



تأليف
عباس پسندیده

سرُّ الرضا

(الإطار النظري للرضا والطمأنينة في الإسلام)

تأليف

عباس پسندیده



سلسلة نمط الحياة

الْعَبَّاسِيَّةُ الْمُقَلِّسَةُ
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

سُرُّ الرضا

(الإطار النظري للرضا والطمأنينة في الإسلام)

تأليف

عباس پسندیده



بسنديده، عباس، 1388 هجري- مؤلف.
سر الرضا : (الإطار النظري للرضا والطمأنينة في الإسلام) / تأليف عباس بسنديده : [ترجمة المركز
الإسلامي للدراسات الاستراتيجية]-الطبعة الأولى-النجف، العراق : العتبة العباسية المقدسة، المركز الاسلامي
للدراستات الاستراتيجية، 1446 هـ. = 2025.
260 صفحة : 15×21 سم. (سلسلة نمط الحياة)
يتضمن ارجاعات بيبليوجرافية : صفحة 242-260.
النص باللغة العربية مترجم من اللغة الفارسية.
ISBN : 9789922680651
1. الحياة الدينية (إسلام). 2. الرضا عن النفس -- جوانب دينية. 3. الاطمئنان -- جوانب دينية. 4. الاسلام
وعلم النفس. أ. العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية و الثقافية. المركز الاسلامي للدراسات
الاستراتيجية، مترجم. ب. العنوان.

LCC: BP188 .B76 2025

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٣٦٦) لسنة (٢٠٢٥م)

- الكتاب: سرُّ الرضا، (الإطار النظري للرضا والطمأنينة في الإسلام).

- العنوان الأصلي: (راز رضایت) من منشورات المعهد العالي للقران والحديث في
قم المقدسة عام ١٤٠٢ ش

- تأليف: عباس بسنديده

- الناشر: العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

- الطبعة: الأولى ٢٠٢٥م - ١٤٤٦هـ.

Website: www.iicss.iq

E-Mail: islamic.css@gmail.com

Telegram: @iicss

الفهرس

مقدّمة المركز ١١

الفصل الأوّل

ما هي إشكاليّة هذا الكتاب؟ ١٤

دور الرضا في الحياة ١٤

الرضا في المصادر الإسلاميّة ١٦

غموض الرضا ١٧

الفصل الثاني

ماهية الرضا ٢٢

١. الرضا في علم النفس ٢٢

أ) الرضا في النظريّات ٢٢

ب) دور الأمور الماديّة في الرضا ٢٧

ج) دور الثقافة في الرضا ٣٠

٢. الرضا في الثقافة الإسلاميّة ٣٢

٣. الأساس النظري للرضا ٣٦

أ) الخير المُدرّك ٣٧

ب) الأساس النظري للتقدير ٤٠

ج) الرضا الصادق والكاذب ٤٢

٤. أبعاد الحياة الطيّبة (الخير) ٤٥

٤٥	أ) التقدير الطيّب
٥٣	علاقة التقدير الإلهي بدور الإنسان
٥٦	ب) المعيشة الطيبة
٥٨	ج) العلاقات الطيبة
٦١	د) النظام الجيد
٦٣	٥. بناء الرضا
٦٨	خلاصة الفصل

الفصل الثالث

٧٢	استراتيجية الخير (المتطلبات الأساسية)
٧٤	١. معرفة الخير
٧٩	٢. معرفة الحوائج
٨١	أولاً: الروايات حول النعمة
٨٤	ثانياً: النعمة في الأدعية
٩١	ثالثاً: روايات السعادة
٩٦	رابعاً: روايات العيش
٩٧	خامساً: روايات الراحة
٩٧	سادساً: روايات الغنى
٩٩	تصنيف المصاديق
١٠٨	الثالث: الخيرية في التقويم
١١١	خلاصة الفصل



الفصل الرابع

- استراتيجية الخير (العوامل) ١١٤
١. جلب الخير ١١٤
- عدم تعارض القضاء والقدر مع السعي ١١٦
٢. البحث عن الخير ١١٩
- العوامل المؤثرة في البحث عن الخير ١٢٠
- أولاً: البحث عن النعم غير الظاهرة ١٢٠
- ثانياً: إدارة المقارنات ١٢٢
- أ) المقارنة الصعديّة ١٢٢
- ب) المقارنة التنازليّة ١٢٤
- ثالثاً: إصلاح تفسير الفقر والغنى ١٢٨
- تصحيح الشعور بالحرمان ١٣٢
- مصطلح الحرمان ١٣٣
- مصطلح الخُسران ١٣٧
- مصطلح الغبن ١٤١
- مصطلح المصيبة ١٤٣
- رابعاً: تصحيح مقياس النعم ١٤٥
- خامساً: تصحيح نمط تقييم الحاضر ١٤٨
- التقييم المعتمد على الجوانب الإيجابية ١٤٩
- أولاً: التجارب الإيجابية السابقة ١٥٠

- الثاني: النعم الإيجابية الأخرى في الحاضر..... ١٥٢
- الثالث: الجانب الإيجابي لتخفيف المسؤوليات ١٥٣
- سادسًا. تصحيح التصوّر عن التكليف..... ١٥٤
- أولًا. الإنسان والفائدة في التكليف..... ١٥٦
- ثانيًا: تحمّل الدين ١٦٠
- ثالثًا: إصلاح نمط التدين..... ١٦٣
- رابعًا: تقوية القدرة على ضبط النفس ١٦٦
٣. الإيمان بالخير ١٦٨
- وجه الخير في التقدير ١٧١
- أولًا: معرفة الخير في البلاء ١٧٢
- ١- تعزيز العلاقة مع الله ١٧٣
- ٢- حفظ الدين والإيمان ١٧٤
- ٣- تطهير الذنوب ١٧٦
- ٤- رفع الدرجة..... ١٧٩
- ٥- الثواب الأخروي ١٨١
- ثانيًا: معرفة خير المال ١٨٣
- ١- قوام الدين والدنيا ١٨٤
- ٢- مضاعفة الأجر ١٨٤
- ٣- ستر العيوب ١٨٥
- ٤- ظهور الفضائل الإنسانية..... ١٨٥



١٨٦.....	٥- الراحة النفسية.....
١٨٦.....	ثالثًا: معرفة خير التكليف.....
١٨٦.....	أولًا: الحياة الإنسانية.....
١٨٨.....	ثانيًا: الفلاح.....
١٩٠.....	ثالثًا: مصلحة الإنسان.....
١٩١.....	رابعًا: الآثار الإيجابية للطاعة.....
١٩٢.....	الآثار الروحية والمعنوية.....
١٩٤.....	الآثار الدنيوية.....
١٩٥.....	الآثار الأخروية.....
١٩٧.....	خامسًا: آثار ترك المعصية.....
١٩٩.....	رابعًا: الأساس النظري لكون القضاء خيرًا (بحث خاص).....
٢٠٥.....	خلاصة الفصل:

الفصل الخامس

٢٠٨.....	استراتيجيات التكيف والقبول والسرور.....
٢٠٨.....	البحث الأول: استراتيجية التكيف.....
٢٠٨.....	١. تنظيم التوقعات.....
٢٠٩.....	التوقعات غير الواقعية.....
٢١١.....	التوفيق بين التوقعات والواقع.....
٢١٣.....	٢. تنظيم الأمانى.....
٢١٧.....	عقلنة الأمانى.....

٣. تنظيم طلب الرزق.....	٢١٨
القناعة.....	٢٢٠
المناقشة الثانية: استراتيجية القبول.....	٢٢٤
١. التسليم والقبول.....	٢٢٥
المرونة وقبول المحن.....	٢٢٩
النقاش الثالث: استراتيجية السرور (البهجة).....	٢٣٣
١. تنظيم مشاعر الرضا وعدم الرضا.....	٢٣٣
أولاً: ضمان الرزق - نقصان العمر.....	٢٣٤
ثانياً: الاقتراب من الله في البلاء - الابتعاد.....	٢٣٥
ثالثاً: تقدير الأمور السارة وغير السارة.....	٢٣٥
رابعاً: عدم رجوع الأمور المفقودة - عدم دوام الأمور المكتسبة.....	٢٣٦
خامساً: قيمة الآخرة المفقودة - تفاهة الدنيا المكتسبة.....	٢٣٧
سادساً: الحصول على الخير - فقدانه.....	٢٣٧
٢- إدخال السرور على الحزين.....	٢٣٨
التصور الخاطئ: وهم انفصال الحزن والسرور الاجتماعي.....	٢٣٨
التصور الصحيح: ارتباط الحزن والسرور الاجتماعي.....	٢٣٨
خلاصة الفصل.....	٢٤٠
فهرس المصادر والمراجع.....	٢٤٢



مقدمة المركز

الحياة الطيبة هي الوضعيّة المنشودة لحياة البشر؛ في الأبعاد الإيمانيّة، والاجتماعيّة، وغيرها. وتؤكد أهمية التربية على نمط الحياة الطيبة بسعة التشريعات والقيم الإسلاميّة وتنوّعها، والتي تشمل إضافةً للبعد الإيماني التربوي، البعدَيْن السلوكي الفردي والاجتماعي، حيث التربية على الحياة الأسريّة والاجتماعيّة. ومنها التربية على الرضا ببعده الإيماني أولاً، حيث بيّنت النصوص أنّ الإيمان بخيريّة قضاء الله هو العامل الأساس في الرضا عن الإنسان، وبعده الاجتماعي ثانياً، حيث اعتُبر الرضا في الإسلام من المفاهيم التي لها أهميّة استثنائية وهامة؛ كونه يشكل جزءاً أساسياً من السعادة والرفاهية، بل هو أحد عوامل السعادة، كما جاء عن النبي ﷺ : «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ...» وهو أفضل رفيق للإنسان، وعدّ الشخص الراضي من المحظوظين الذين يُعْبَطُونَ على حالهم.

ختاماً لا شك بأنّ التزام الإنسان نمط الحياة الطيبة، ومراعاته لقواعدها وأصولها يكفلان له أعلى درجات السعادة والرضا والإطمئنان في حياته الدنيوية والأخروية.

هذا الكتاب "سرُّ الرضا"؛ هو دراسة عن الرضا من وجهة النظر الإسلامية. ابتداءً من بيان مفهوم الرضا ومكوّناته، وتفسيره، واستراتيجيات تحقيق الرضا وفقاً للمصادر والنظريات الإسلامية.

والحمد لله رب العالمين
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

مقدمة المؤلف

إنَّ من أبرز مؤشِّرات الحياة الجيِّدة التمتع بشعور الرضا. وإنَّ الحياة تتألَّف من وجهين: إيجابيٍّ وسلبِيٍّ، وتتحقِّق الحياة الجيِّدة عندما يتمكَّن الفرد من رؤية النعم في كلتا الحالتين - الإيجابية والسلبية - والشعور بالرضا. لا يوجد إنسانٌ ناجحٌ يفتقر إلى مهارة (الرضا عن الحياة)؛ إذ بدون الرضا لا يمكن تحقيق التقدُّم والنجاح.

يسعى هذا العمل إلى تقديم رؤية الإسلام حول الرضا عن الحياة بأسلوب جديد ومنظَّم. تنقسم محتويات هذا العمل إلى عدَّة أقسام: أولها نظريَّة الرضا من منظور الإسلام، التي تركز على مفهوم (الخير المُدرَك) والمناقشات المرتبطة به، وقد وردت في الفصل الثاني. القسم الثاني هو استراتيجيَّات الرضا، التي تشمل، استراتيجيَّة الرضا التي تتضمَّن استراتيجيَّة الخير ومتطلَّبات الرضا (معرفة الخير، إدراك النعم، وتقييم الخير)، ووردت في الفصل الثالث. عوامل الرضا (إيجاد الخير، البحث عن الخير، والإيمان بالخير)، ووردت في الفصل الرابع.

استراتيجيَّات التكيُّف، القبول، والسرور، ووردت في الفصل الخامس.

ختاماً أجد من واجبي أن أشكر آية الله الري شهري (رحمه الله)، وجميع زملائي وكل من ساهم في هذا العمل.

عباس پسندیده

١٧ رجب ١٤٤٤ هـ

الفصل الأول

ما هي إشكالية هذا الكتاب؟

الفصل الأوّل

ما هي إشكاليّة هذا الكتاب؟ دور الرضا في الحياة

الرضا هو أساس النجاح والازدهار؛ إذ لا يوجد إنسانٌ ناجحٌ لا يتمتّع بفنّ (الرضا عن الحياة). ومن دون الرضا، لا يمكن تحقيق التقدّم والنجاح. الأشخاص الناجحون هم الذين لا يواجهون مشكلة مع حياتهم. لا تخطئ! لا أقول: إنهم لا يواجهون مشاكل (في) حياتهم، بل أقول: إنهم لا يواجهون مشاكل (مع) حياتهم. وجود المشكلات في الحياة شيء، ووجود المشكلات مع الحياة شيءٌ آخر. في الحقيقة، في أغلب الأحيان، الأشخاص الناجحون قد واجهوا العديد من المشكلات والصعوبات، ولكنهم لم يشعروا بعدم الرضا عن حياتهم. يمكن القول إنّ الرضا عن الحياة هو أحد الأسرار غير المكتشفة في حياة الأشخاص الناجحين.

الرضا عن الحياة، إذا لم يكن هو الهدف النهائي، فإنّه على الأقل شرطٌ ضروريٌّ للحياة وأساس النجاح والازدهار. من دون الشعور بالرضا، لا يمكن بناء حياةٍ جيّدةٍ وناجحة. الأفراد غير الراضين يفتقرون إلى الطاقة وراحة البال اللازمة للتخطيط والتدبير، واتّخاذ الخطوات نحو حياةٍ جيّدة.

الرضا عن الحياة هو من القضايا المهمّة التي لاقَتْ اهتمام علماء النفس. ومع ظهور علم النفس الإيجابي في أواخر القرن العشرين، أصبح الرضا عن الحياة موضوعاً أكثر جدّيّة ضمن أبحاث علماء النفس. الرضا عن الحياة هو أحد العناصر والمكونات الأساسيّة للسعادة والرفاهيّة الذهنيّة، وهو نوعٌ من التقييم المعرفي للحياة يتم وفقاً لمعايير الفرد الذاتيّة.

الأطروحات والمقالات الفلسفيّة والدينيّة والسياسيّة مثل (الأخلاق النيقوماخيّة) لأرسطو، و(الحياة السعيدة) لأوغسطين، وحتى (إعلان الاستقلال) للولايات المتّحدة الأمريكيّة، تدعي أنّ البحث عن السعادة والرفاهيّة هو الهدف النهائي للإنسان، وأنّ تحقيق أيّ هدفٍ آخر ليس إلّا وسيلة لتحقيق هذا الغرض.

مع ذلك، وعلى الرغم من أهميّة هذا الموضوع في الأدبيّات العامّة، فإنّ الدراسة العلميّة لطبيعة وعوامل السعادة والرفاهيّة بدأت حديثاً فقط (لوبيز، ٢٠٠٩). تُظهر الأبحاث أنّ السعادة والرفاهيّة ليست ذات بُعد واحد، بل تتكوّن من مكونين: مكوّن عاطفيّ يتضمّن مشاعرٍ وأحاسيسٍ إيجابيّة كثيرة، ومشاعرٍ وأحاسيسٍ سلبية قليلة، ومكوّن معرفيّ يشير عادةً إلى الرضا عن الحياة.

دُكر في تفسير أسباب الرضا عن الحياة أنّ جزءاً من الرضا عن الحياة يتحدّد من خلال الجينات الوراثيّة، ولكن على الرغم

من ذلك، يمكن تعديل رضا الأفراد عن حياتهم استجابةً للظروف البيئية. أظهرت الدراسات الحديثة أنَّ الرضا عن الحياة يتغيّر على المدى القصير نتيجةً لتغير جودة الإدراك، والزواج، والعمل، وكذلك التغيرات في مقدار الوقت الذي يُقضى في الأنشطة المثمرة والبناء، والأهداف التي يختارها الأفراد (براتي، ٢٠٠٩).

لذلك، فإنَّ هناك عوامل مختلفة تؤثر على الرضا عن الحياة، منها الصحة الجسدية والنفسية، والسمات الشخصية، والعوامل الديموغرافية مثل الجنس، والفئة العمرية، الحالة الزوجية، والوضع الاقتصادي والاجتماعي، الأمل، والصلابة النفسية، والثقافة، والدين، والروحانية^(١).

الرضا في المصادر الإسلامية

بالرجوع إلى المصادر الإسلامية (الآيات والروايات)، يتّضح أنَّ الرضا في الإسلام هو مفهوم ذو أهمية كبيرة، ويعدّ جزءاً أساسياً من السعادة والرفاهية. في المصادر الإسلامية، يُعدّ الرضا أحد عوامل السعادة^(٢)، وهو هديّة خاصّة من الله تعالى للنبّي الأكرم ﷺ^(٣).

(١)- پژوهش های نوین روان شناسی، ش ٢٠، ص ١٢٥-١٤٧.

(٢)- قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له» (سنن الترمذي، ج ٤، ص ٤٥٥، ح ٢١٥١).

(٣)- عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه رفعه: جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله! إنَّ الله -تبارك وتعالى- أرسلني إليك بهدية لم يُعطيها أحداً قبلك. قال رسول الله ﷺ: قلت: وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: الرضا» [معاني الأخبار، ص ٢٦٠، ح ١].

وصف الإمام علي عليه السلام الرضا بأنه أفضل رفيق للإنسان^(١)، وعدّ الشخص الراضي من المحظوظين الذين يُغبطون على حالهم^(٢).

إذا تأملنا في حياة الأنبياء وأولياء الله، نجد أنهم تحمّلوا أشدّ المصاعب، ومع ذلك لم يكونوا غير راضين، ولا يائسين، ولا عاجزين. ولهذا السبب، كانوا أنجح الأشخاص في تاريخ البشرية.

فإن الرضا عن الحياة يوفر بيئة هادئة للتقدّم، وأرضية ثابتة لبناء قصر النجاح الإنساني. لذلك، يجب أن نتذكر دائماً أنّ الرضا عن الحياة هو أساس النجاحات، وبدونه فإنّ الوصول إلى السعادة ليس سوى وهم. الأشخاص الناجحون يتقلّبون من عالم الخيال إلى عالم الواقع، ويكتشفون قوانين الحياة لبناء قصر نجاحهم.

غموض الرضا

الإنسان في سعي دائم للبحث عن الرضا في حياته. سرّ النجاح في العثور على المفقود هو أنّ يعرف الباحث ماهية ما يبحث عنه، والسؤال هنا: ما هو الرضا؟ وأين يمكن العثور

(١) - «نعم القرينُ الرضا» [نهج البلاغة، الحكمة: ٤].

(٢) - «طوبى لمن ذكر المعاد، وعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَقَنَعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ» [م.ن، الحكمة: ٤٤].

عليه؟ الشخص الذي لا يعرف ما هو الرضا يشبه من يبحث في صحراء شاسعة دون أن يعلم ما الذي ينشده! الفشل هو إحدى نتائج الحالة التي لا يعلم فيها الإنسان ما الذي يريده أو ما الذي يبحث عنه. الشخص الذي لا يعرف على الإطلاق ما يجب أن يسعى وراءه قد يمرّ بمفقوده مرارًا وتكرارًا من دون أن يتعرّف عليه.

تصوّر أنّ أمًّا فقدت طفلها العزيز وهي لا تزال تجهل أيّ علامة تدلّ عليه. وفي المقابل، تصور أنّ طفلًا يبحث عن أمّه، لكنّه لم يرها أبدًا ولا يملك أيّ دليل عنها. هذان الاثنان قد يلتقيان مرات عديدة من دون أن يعرف أحدهما الآخر. (العثور) يختلف عن (الرؤية). الشرط الأساس للعثور هو (المعرفة). الشخص الذي يسعى وراء السعادة والنجاح والرضا يجب أن يعرف ماهيّة ما يبحث عنه. إذا لم يكن يعرف الرضا ولم يكن لديه أيّ مؤشر عليه، فإنّ جهوده ستذهب هباءً، ممّا يزيد من شعوره بعدم الرضا والضيق.

إلى جانب الفشل، فإنّ الحيرة والتشتّت هما أيضًا من نتائج عدم معرفة ماهية الرضا. الشخص الذي يبحث دون أن يعلم ما يبحث عنه في هذا الكون الفسيح سيبقى في حيرة وتردّد، وسيفقد القدرة على الاختيار، ولن يجد مفقوده. هذا الأمر سيزيد من عدم رضاه وتوتره. الفشل والتشتّت يؤدّيان إلى اليأس والعجز، فإنّ الباحث الفاشل والمتردّد يصبح يائسًا وعاجزًا؛

فلا يتصوّر لنفسه مستقبلاً مشرقاً، ولا يجد في نفسه القدرة على التحرك. مثل هذا الشخص، المنهك والمثقل بالهموم، سيسقط في زاويةٍ من زوايا الحياة، ولن تكون هناك أيّ صدمةٍ تعيده إلى الحياة.

ما نسعى إليه في هذا الكتاب هو دراسة الرضا من وجهة النظر الإسلاميّة. السؤال الأساس هو: ما هو تعريف الرضا وفقاً للمصادر الإسلاميّة؟ وما هي مكوّناته؟ إضافةً إلى ذلك، ما هي النظريّة الإسلاميّة التي يمكن أن تفسّر الرضا؟ فضلاً عن ذلك، فإنّ استراتيجيّات تحقيق الرضا تمثّل قضيةً مهمّةً ينبغي معالجتها. الإجابة عن هذه الأسئلة يمكن أن تمهّد الطريق لأبحاثٍ تجريبيّةٍ مستقبليّة.

سنجيب عن هذه الأسئلة في الفصول القادمة.

الفصل الثاني

ماهية الرضا

الفصل الثاني

ماهية الرضا

١. الرضا في علم النفس

أ) الرضا في النظريات

في القرن التاسع عشر، بعد انفصال علم النفس عن الفلسفة، كان التوجّه نحو مذهب اللذة واضحاً في أعمال علماء النفس. يشير ويترسو بشكلٍ خاصٍّ إلى جيمس، وثرندايك، وفونت، وفرويد في هذا السياق. خلال النصف الأول من القرن العشرين، ناقش كلٌّ من بول توماس يونغ (الذي عمل مع الفئران) وبييه - سنتر (الذي عمل مع البشر) الدور الحيوي للملذّات. حاول كلاهما بناء علمٍ يستند إلى مبدأ اللذة.

بعد فترةٍ وجيزة، طرح بيرلاين فكرة أنّ اللذة تحدّدها الإمكانيات المثيرة للمثيرات. خلال هذه السنوات، قام كلٌّ من أولدز وملنر بدراسة العصبيّة النفسيّة للذة، وأعلن أولدز في عام ١٩٥٦م أنّه اكتشف (مراكز اللذة) في الدماغ.

في عام ١٩٨٦م، قدّم غريفين (نظريّة الحاجة)، والتي تشير إلى أنّ السعادة تعني تحقيق ما تريده، بغضّ النظر عمّا



إذا كان ذلك يشمل اللذة أم لا. وفي عام ١٩٩٢م، قدّمت نوسبام (نظريّة قائمة الأهداف)، التي تفيد بأنّ السعادة تتمثّل في تحقيق عددٍ من الأهداف ذات القيمة الحقيقيّة في الحياة، مثل: الوظيفة، والصداقة، والتعليم، والمعرفة، والراحة، والرفاه المادّي، والصحة.

رغم أنّ مذهب اللذة ظلّ يظهر في نصوص علم النفس خلال القرن العشرين، فإنّه لا شكّ في أنّ التوجّه النفسي في الألفيّة الجديدة، خاصّة في علم النفس الإيجابي، يعتمد بنحوٍ أكبر على مذهب السعادة بدلاً من مذهب اللذة.

قدّم ويسينغ في عام ١٩٨٨م، ووان دان في عام ١٩٩٤م، قدّما بناءً عامّاً للرفاهيّة النفسيّة يتميّز بـ(الشعور بالانسجام والترابط) في الحياة، التوازن العاطفي، والرضا العام عن الحياة. وأكّدا أنّ الرفاه النفسي هو بناء ذو أربعة أبعاد: العاطفة، والإدراك، والسلوك، والعلاقات بين الأفراد^(١).

اكتشف دينر وسندويك وبافوت في عام ١٩٩١م، أنّ التوازن العام بين المشاعر الإيجابيّة والسلبيّة لدى الأفراد يُعدّ مؤشراً على شعورهم بالرفاهيّة. بناءً على هذا الاكتشاف، صرّح كانيمان في عام ١٩٩٩م بأنّ السعادة الموضوعيّة يمكن قياسها من خلال تتبع المشاعر العابرة الإيجابيّة والسلبيّة لدى الأفراد. وفقاً

(١)- بررسي رابطه جهتگیری مذهبی با بهزیستی روانی دانشجویان دانشگاه علامه طباطبائی تهران، ص ٨.

لهذا الرأي، فإنّ المشاعر الإيجابية مجرد مؤشّر على الرفاهيّة. وفي السنوات من ١٩٩٨م إلى ٢٠٠١م، عبّر فريديريكسون عن وجهة نظر مشابهة مع بعض الاختلافات. وبعد عام ٢٠٠٠م، قدّم أشخاص مثل أرجايل ودينر (نظريّة الرفاهيّة النفسيّة)، التي تضمّنّت ثلاثة مكوّنات للسعادة: المشاعر الممتعة، والرضا عن الحياة، وغياب العواطف السلبية.

من وجهة نظر دينر وزملائه في أبحاثهم بين عاميّ ١٩٩٥م و٢٠٠٤م، فإنّ مفهوم (الرفاهيّة الذهنيّة) يتكوّن من ثلاثة عناصر رئيسة: أوّلًا، التقييم المعرفي للفرد لحياته في الجوانب العامّة والخاصّة، ثانيًا، وجود تأثير إيجابي، وثالثًا، غياب التأثير السلبي. يشير العنصر الأوّل إلى المكوّن المعرفي للرفاهيّة، في حين يشير العنصران الآخران إلى المكوّنات العاطفيّة للرفاهيّة. الأشخاص الذين يتمتّعون بمستوى عالٍ من الرفاهيّة الذاتيّة يوصفون بأنّ لديهم تجارب سلبية قليلة، وتأثيرات إيجابيّة عالية، ورضًا كبيرًا عن الحياة. كما يُلاحظ، فإنّ الرضا عن الحياة هو أحد المكوّنات البارزة للرفاهيّة الذاتيّة. مقارنةً بالمكوّنات العاطفيّة، فإنّ الرضا عن الحياة يُعدّ أكثر استقرارًا، وله فوائد كبيرة للصحة النفسيّة وجودة حياة الأفراد. وفقًا لهم، يسمح الرضا عن الحياة للأفراد بإجراء تقييماتٍ طويلة الأمد لحياتهم بناءً على مجموعة معاييرهم الخاصة.

في عام ٢٠٠٤م، قدّم ألان كار نظريّة جديدة، حيث ألغى



المكوّن الثالث، وعدّ التجارب العاطفيّة والرضا من مكوّنات السعادة. لذلك، فإنّ الرضا عن الحياة هو جزءٌ من بنيةٍ أوسع للرفاهيّة النفسيّة، التي تحتوي على ثلاثة مكوّنات: تقييم المشاعر الإيجابيّة، والمشاعر السلبيّة، والرضا عن الحياة. بسبب طبيعته المعرفيّة، فإنّ الرضا عن الحياة يختلف عن تقييم المشاعر. الرضا عن الحياة هو حالةٌ عاطفيّة تنشأ عند تحقيق هدفٍ معيّن. بنحوٍ عامّ، الرضا يمثّل شعورًا مريحًا ينشأ عن الشعور بحسن الأداء بعد تقييم نتائج الأنشطة والأعمال المنجزة.

الإنسان كائن ذو أهداف، ولن يشعر بالرضا حتى يحقّق رغباته. على العكس، عندما يحقّق رغباته، يشعر بالرضا، ولكن المشكلة تكمن في أنّ هذا الشعور غير دائم. تناول إنجلهارت هذا الموضوع وقدّم نموذج (الرغبة - التكيّف) في عام ٢٠١٠م. تنصّ نظريّة التكيّف العقلي لإنجلهارت على أنّ مستوى رغبات الفرد يتكيّف تدريجيًّا مع وضعه الموضوعي، وأنّ السعادة دائماً ما تكون فوق تلةٍ أخرى.

بحسب سليجمن، تنقسم المشاعر الإيجابيّة إلى ثلاث فئات: الحاضر، والماضي، والمستقبل، ويُعدّ الرضا شعورًا متعلّقًا بالماضي. في عام ٢٠٠٤م، يرى جوندلاخ أنّ السعادة والرفاهيّة الذاتيّة تتألّفان من مكوّنين: السعادة والرضا عن الحياة. السعادة تشير إلى البعد العاطفي، والرضا عن الحياة يشير إلى البعد المعرفي لمفهوم الرفاهيّة الذاتيّة. كذلك، عدّ

فينهوفن -في عام ٢٠٠٠م- الرضا نتيجة عملية تقييم استقصائية وفكرية. معيار السعادة في هذا الرأي هو رضا الفرد الداخلي عن كلفة حياته، وتبلغ السعادة أقصاها عندما يكون الفرد راضياً في تقييمه المعرفي عن كلفة حياته.

أعلن فينهوفن أيضاً في عام ٢٠٠٦م أنَّ السعادة تعني الدرجة التي يحكم فيها الشخص على جودة حياته كلياً بشكل إيجابي. شين وجونسون يريان أنَّ الرضا هو تقييم عام لجودة الحياة بناءً على معايير الفرد وقيمه. كذلك، أشار دينر وزملاؤه في بحث أجروه عام ١٩٨٥م إلى أنَّ الرضا يعتمد على مقارنة الظروف الحالية بمعايير الفرد الشخصية.

وفقاً لما أعلنه هليول في عام ٢٠٠٣م وهليول وباتنام في عام ٢٠٠٦م، فإنَّهما يعتقدان أنَّ السعادة تُعرَّف بنحو رئيس بالإشارة إلى المشاعر اللحظية والعاطفية، بينما يشير الرضا عن الحياة إلى تقييم عام أكثر شمولية للحياة والرفاهية والسعادة. البعد المعرفي للسعادة يمثل نوعاً من الفرح العميق والمتجذّر الذي يتشكّل بناءً على تقييم إيجابي. يعدّ باتريك هذا النوع من السعادة معادلاً للرضا عن الحياة، مشيراً إلى أنَّ الرضا والقناعة يحملان معنى السعادة العميقة والجذرية، وليس السعادة السطحية والعابرة؛ وهي حالة لا يمكن تقليلها بالضرورة إلى شعور معين من النشوة أو النشاط.



كان الإغريق القدماء يستخدمون مصطلح (Eudemonia) للإشارة إلى (العيش والعمل الجيّدين)، وهو ما يعبر عن هذه الحالة من الرضا العميق والمستدام.

تمّ تصوير الرضا عن الحياة على أنّه الفرق بين ما يريده الشخص وما هو عليه في الواقع؛ بشكل أساسي، الفرق بين الواقع والمثاليّة. وفقاً لنظرية متعدّدة الأبعاد قدّمها ألكس مايكس في عام ١٩٨٦م، يتمّ تحديد الرضا عن الحياة من خلال الإدراك الشخصي للفرد حول (كيف هي الأشياء)، مقارنةً بـ (كيف يجب أن تكون). يتعلّق الأمر بمقارنة بين طبيعة الأشياء وما يريد الشخص أن يملكه، وما يملكه الشخص بالفعل وما يتوقّعه، وما يملكه الآخرون وما يشعر أنّه يستحقّه.

في جميع هذه التعريفات، يعتمد معيار الرضا عن الحياة على عقلية الإنسان، بمعنى إلى أيّ مدى يشعر الفرد عقلياً بالتوافق بين واقع حياته ومثله العليا. كما يرى كامبل أنّ الرضا عن الحياة يعكس التوازن بين رغبات الفرد ووضعه الحالي.

ب) دور الأمور المادية في الرضا

أظهرت تحليلات إنجلهارت لبيانات من ٢٤ دولة، والتي نُشرت في عام ٢٠١٠م وجود ارتباط إحصائي قدره ٠,٦٧، بين الناتج المحلي الإجمالي والرضا عن الحياة. ومع ذلك، وفقاً لدراسات أسكنز في عام ١٩٩٨م، لا يؤدّي هذا العامل دوراً

حاسماً في مستوى رضا الأفراد. من الملاحظ أنَّ زيادة مستوى الوضع الاقتصادي أو الدخل تؤثر فقط إلى حدٍّ معينٍ على الرضا عن الحياة، وليس لها تأثير غير محدود.

وفقاً لدراسات باوس وزملائه في عام ٢٠٠٨م، فإنَّ الدخل له تأثيرٌ ضئيلٌ على المستويات العليا من الرضا عن الحياة، ولكنَّه يقلل بشكلٍ كبيرٍ من شعور عدم الرضا. السبب في ذلك هو أنَّ الدخل يلبي الاحتياجات الأساسيَّة للإنسان، وبالتالي مع ارتفاع مستوى الأمن الاقتصادي، تحلُّ الاحتياجات والأهداف الأخرى، التي تكون غالباً غير مادية، محلَّها. كما أشار لازاروس، نشعر بالسعادة والرضا عندما نحقق تقدماً معقولاً نحو تحقيق أهدافنا.

أمَّا استرلين، من خلال دمج النظريَّات النفسيَّة والاقتصاديَّة، حاول تفسير الرضا عن الحياة. فرأى أنَّ عامل الرضا لدى الأفراد يعتمد على مدى الفجوة بين الرغبات ومستوى تحقيقها في كلِّ مجالٍ من مجالات الحياة، وكذلك على الأهميَّة النسبيَّة لكلِّ مجالٍ من حيث وظيفته المثلى بالنسبة للفرد.

كما أنَّ العوامل الجغرافيَّة والبيئيَّة يمكن أن تؤثر على الرضا عن الحياة. ذكر بجورنسكو أنَّ دراسة شملت ٣٧ دولة أظهرت أنَّ الاعتدال في المناخ يؤدي إلى زيادة الرضا عن الحياة، والسبب في ذلك هو غياب الضغوط الفيزيولوجيَّة الناتجة عن



الحرارة أو البرودة الشديدة. يبرز هذا الأمر بشكلٍ خاصّ اليوم، حيث يمكن للناس بفضل وسائل الإعلام مقارنة أوضاعهم بأوضاع الآخرين حول العالم.

في عام ٢٠٠١م، عرّف لوباميرسكي الرضا على أنّه مقارنة بين ما يمتلكه الفرد وما يودّ أن يمتلكه. بينما ذكر ميكالوس في عام ١٩٨٥م أنّ نظريّات الحكم النسبي تشير إلى أنّ رضا الفرد عن دخله يعتمد على المقارنة الاجتماعية، أي مقارنة ما كان يمتلكه في الماضي بما يمتلكه الآن، وما يتطلّع إلى امتلاكه في المستقبل، وما يمتلكه الآخرون. هذه المقارنات تفسّر مستوى الرضا عن الحياة.

أظهرت التحليلات الشاملة للدراسات المتعلقة بالماديّة وجود علاقة سلبية عامّة بين الرفاهيّة والماديّة. الثروة تزيد من رفاهيّة الأفراد الفقراء، ولكن عندما تُلبّي احتياجاتهم الأساسيّة، لا يكون لها تأثير كبيرٌ على الرفاهيّة؛ بمعنى أنّ العلاقة بين المال والرفاهيّة ليست واضحة.

كتب نجفي وزملاؤه (٢٠١٥) أنّ العوامل الظرفيّة والخارجيّة، مثل الوضع الاقتصادي، تبدو فعّالةً على المدى القصير في تعزيز الرفاهيّة والسعادة، لكنّها غير فعّالةً على المدى الطويل. العوامل الداخليّة، مثل الشخصيّة، التفاؤل، والأمل، والكفاءة الذاتية، واحترام الذات، تكون أكثر فاعليّة. ومع ذلك، قبل

الشروع في تعزيز السعادة، من الضروري أولاً تلبية الاحتياجات الأساسية والأولية (لوكاس وزملاؤه؛ نقلاً عن لوباميرسكي، كينغ، ودينر ٢٠٠٥).

يدرك الباحثون أنّ المكانة الاجتماعية، والثروة، والوصول إلى الموارد المادية، رغم أنّها تسهم في تحقيق السعادة، فإنّ تأثيرها الإيجابي يتلاشى تدريجياً بسبب آلية التكيف. ونتيجة لذلك، فإنّ المواقف الحياتية لها تأثيرٌ مؤقتٌ على الشعور بالرفاهية الذاتية (هديو وويرينغ، ١٩٩٢). تُظهر نتائج هذا البحث أنّ النمو والتطور الاقتصادي وتحسين ظروف معيشة الناس يعزّز سعادتهم إلى حدٍّ يلبّي احتياجاتهم. ومع ذلك، بعد تلبية الاحتياجات الأساسية، فإنّ الزيادات الإضافية في المؤشرات الاقتصادية لا يكون لها تأثيرٌ كبيرٌ على تعزيز مستوى السعادة، ممّا يجعل التركيز على أبعاد أخرى أكثر أهمية. ورغم أنّ الحالة الاقتصادية تُعدّ من الركائز الأساسية للرضا والسعادة، فإنّ الأفراد ما إنْ يتمتّعوا بهذه الإمكانيات الأساسية ويؤمنوا احتياجاتهم الضرورية، لا تعود الثروة تؤدي دوراً رئيسياً في حياتهم (دينر، ١٩٩٥).

ج) دور الثقافة في الرضا

أُجريت دراساتٌ عديدةٌ لتحديد العلاقة والعوامل المؤثرة في رضا الأفراد عن حياتهم ضمن ثقافات مختلفة. تركّز النظريات الثقافية على خصائص الثقافات الفردية والجماعية لتفسير



العوامل المؤثرة على الرضا عن الحياة، كما تهدف إلى تحديد الإطار المفاهيمي لهذا المصطلح. غالبًا ما تستند هذه النظريات إلى خصيصة الفردية/ الجماعية. يرى منظرو هذه النظريات أنَّ التنمية الاقتصادية تعزز الرضا والرفاهية الذهنية من خلال خلق بيئة ثقافية تسمح للأفراد بالسعي لتحقيق الرضا الشخصي عبر تصرفات تتجاوز الالتزامات الاجتماعية. هذا التحول يعكس تطوراً ثقافياً من الجماعية إلى الفردية وتغليب القيم الفردية.

تختلف تأثيرات الفردية على مستوى الرضا في المجتمعات. ففي الدول الفقيرة، تقلل الفردية من رضا الأفراد عن حياتهم، بينما يكون العكس صحيحاً في الدول الغنية.

تأكيداً على هذه النظرية، قام أسشيماك وزملاؤه في عام ٢٠٠٢م بإجراء دراسة استقصائية لتقييم تأثير الثقافة على الرضا الاجتماعي. خلصوا إلى أنَّ الثقافة عاملٌ وسيطٌ يؤثر من خلاله السمات الشخصية على الرضا عن الحياة. اختاروا عينات من ثقافتين فرديتين (الولايات المتحدة وألمانيا)، وثلاث ثقافات جماعية (اليابان، المكسيك، وغانا)، وقاموا من خلال إجراء بعض الفحوصات بقياس مدى التوازن بين اللذة والرضا عن الحياة لدى المشاركين. أظهرت النتائج أنَّ تأثير الشخصية على المكونات العاطفية والمعرفية للرضا عن الحياة يعتمد على الثقافة. بناءً على ذلك، تُعدّ الثقافة أحد المكونات الرئيسة للرضا في أيِّ مجتمع.

٢. الرضا في الثقافة الإسلامية

في هذا البحث، لا يتمّ التطرّق إلى المكانة، والعوامل أو النظريّات، بل يتمّ التركيز على تعريف الرضا في الثقافة الإسلاميّة، على أن تأتي الموضوعات الأخرى في المناقشات القادمة. في التعريف، يتمّ استخدام منهج تحليل المفاهيم من خلال دراسة آراء اللغويين والمفكرين، والنصوص الدينيّة، وفي النهاية يتمّ الوصول إلى مكوّنات الرضا.

بعض اللغويين عرفوا الرضا بضدّه، وهو (عدم السخط)^(١)، بينما عرفه آخرون بـ(عدم الكراهية)^(٢)، فيكون الرضا هو (الحبّ والإقبال)، و(الاختيار)^(٣)، و(الموافقة/ التوافق)^(٤). ويرى بعضهم أن الأصل في معنى الرضا هو التوافق بين إرادة الشخص وحاله الراهن^(٥).

يرى بعضهم أن هذا المفهوم لدى الإنسان بمعنى عدم الكراهية لتقدير الله، وبالنسبة لله تعالى بمعنى أن يرى العبد في حالة تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه^(٦). كما استُخدم لفظ (رضي)،

(١)- معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٤٠٢؛ ولسان العرب، ج ١٤، ص ٣٢٣.

(٢)- مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٥٦.

(٣)- لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٢٤؛ تاج العروس، ج ١٩، ص ٤٦٢-٤٦٣؛ المصباح المنير، ج ٢، ص ٢٢٩.

(٤)- المصباح المنير، ج ٢، ص ٧٠٥؛ مجمع البحرين، ج ١، ص ١٨٦.

(٥)- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٤، ص ١٥٢، فما بعد.

(٦)- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص ٣٥٦.



بمعنى (المطيع)، وأحياناً بمعنى (الضامن)، وفُسِّر (ارتضاه) بمعنى (عده أهلاً لذلك)^(١). وقد فسّر الطريحي عبارة «رضيتُ بالله ربّاً»، بمعنى الاكتفاء بالله وعدم طلب غيره^(٢). هذه الاستخدامات تتوافق مع معنى «الموافقة»، إذ إنّ الطاعة تعني توافق أفعال الفرد مع الأمر، وعدّ الشخص أهلاً يعني توافقه مع الصفات المطلوبة.

في مقابل الرضا، يأتي السخط، وقد عرّفه بعضهم بأنّه ضدّ الرضا^(٣)، بينما فسّره آخرون بمعنى «الكراهية وعدم القبول»^(٤). ويعتقد آخرون أنّ السخط يختلف مع المواقف المختلفة، فيمكن أن يعني الغضب، التقليل من قيمة النعمة، أو عدّها بلا أهمية^(٥).

بصورة عامّة، عرّف اللغويّون الرضا بمزيج من الإقبال، والاختيار، والموافقة.

أمّا في الاصطلاح، فقد عرّف بعضهم الرضا بأنّه:

- سرور القلب بالتقدير.

- عدم الجزع عند البلاء.

(١)- لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٢٣؛ تاج العروس، ج ١٩، ص ٤٦٩.

(٢)- مجمع البحرين، ج ١، ص ١٨٥.

(٣)- العين، ج ٤، ص ١٩٢، الصحاح، ج ١١، ص ١١٣٠؛ لسان العرب، ج ٧، ص ٣١٢.

(٤)- النهاية، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٥)- الصحاح، ج ١١، ص ١١٣٠؛ لسان العرب، ج ٧، ص ٣١٢.

- استقبال الحكم الإلهي بفرح.

- سكون واطمئنان القلب تجاه قضاء الله.

«طيب النفس»، بمعنى عدم تغيير الحال أثناء الشدائد^(١).

الرضا كإحساسٍ داخليٍّ لا يختلف معناه في المصادر الإسلامية عن غيرها. وعادةً، لا يوجد اختلافٌ بين التعريف الإسلامي وغير الإسلامي له. وتأثير الثقافة والدين إنما هو في تحديد المصاديق والمؤشرات.

وردت في النصوص الدينية أمثلةٌ تساعد على توضيح المفهوم وفهمه بشكلٍ أفضل، ومنها أن الشخص الراضي:

١. يقبل أقدار الله^(٢).

٢. يقبل عليها برضا^(٣).

٣. لا يتمنى وضعاً غير ما قدره الله^(٤).

(١)- التعريفات، ص ١١١؛ مدارج السالكين، ج ٢، ص ١٨٥؛ التوقيف على مهمات التعاريف، ص ١٧٨ [نقلًا عن نضرة النعيم].

(٢)- من دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام): «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَوَقِّفْنِي لِقَبُولِ مَا قَضَيْتَ لِي وَعَلَيَّ، وَرَضْنِي بِمَا أَخَذْتَ لِي وَمَنِي». [الصحيفة السجادية، دعاء ١٤].

(٣)- «إِنْ عَقَدْتَ أَيْمَانَكَ فَارْضَ بِالْمَقْضَى عَلَيْكَ وَلَكَ، وَلَا تَرْجُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَانْتَظِرْ مَا آتَاكَ بِهِ الْقَدَرُ» [مختصر بصائر الدرجات، ص ٣٦٣، ح ٤١٨].

(٤)- روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «مَنْ اتَّكَلَ عَلَى حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ لَهُ، لَمْ يَتَمَنَّ غَيْرَ الْحَالِ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ» [نزهة الناظر، ص ٩٤].



٤. لا يطلب تأخيرًا أو تعجيلًا في الأقدار^(١).

٥. يعتقد أنَّ أقدار الله خير ومصلحة له ولهذا، فإنَّ الشخص الراضي يصبر على الشدائد، ويشكر الله على النعم^(٢).

من خلال دراسة المفاهيم اللغوية، الاصطلاحية، والدينية، يتَّضح أنَّ الرضا يتكوَّن من العناصر التالية:

١. المطابقة: تعني التوافق والانسجام بين الوضع القائم والوضع المتوقع. قد يقيِّم الإنسان حالته بطرق مختلفة، إحداها هو تقييم الوضع بناءً على توقُّعاته. في هذا التقييم، إذا رأى الفرد أنَّ الوضعين متوافقان ومنسجمان، يتولَّد شعور بالرضا.

٢. القبول: يعني تقبُّل الفرد لوضعه والاستسلام له. الشخص الراضي هو من يقبُّل الوضع الذي تم تقييمه، بل قد يرحِّب به، دون أن يتمنى وضعًا مختلفًا عن الوضع المقدَّر له. كما أنَّه لا يرغب في تأخير أو تسريع الأقدار، ويصبر على الشدائد، ويشكر الله على النعم. بالإضافة إلى ذلك، يكون لديه ميلٌ للطاعة وكرهية للمعصية.

٣. الارتياح: يعني الشعور بالفرح أو على الأقل عدم الشعور

(١)- «اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِقَضَاكَ، وَصَبِّرْنِي عَلَى بَلَائِكَ، وَبَارِكْ فِي أَقْدَارِكَ، حَتَّى لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ شَيْءٍ أَخَّرْتَهُ، وَلَا تَأْخِيرَ شَيْءٍ عَجَلْتَهُ» [قرب الإسناد، ص ٢٢٠].

(٢)- «يا موسى بن عمران! ما خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، فَإِنِّي إِنَّمَا أَبْتَلِيهِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأُعَافِيهِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأُزَوِّي عَنْهُ مَا هُوَ شَرٌّ لَهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ عَبْدِي، فَلْيَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلْيَشْكُرْ نِعْمَانِي، وَلْيَرْضَ بِقَضَائِي» [الكافي، ج ٢، ص ٦١، ح ٧].

بعدم الارتياح. الشخص الراضي لا يشعر بالجزع أو الحزن تجاه ما يرضى عنه، بل يكون لديه شعورٌ داخليٌّ بالسُرور، والفرح، وراحة البال، والاطمئنان.

إنَّ تركيبة هذه المكونات الثلاثة تولّد شعور الرضا. وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه التركيبة هي تركيبٌ مزجيٌّ مترابط، وليست ثلاثة عناصر منفصلة موضوعة جنباً إلى جنب؛ لذلك، لا يمكن فصل بعضها عن بعض أو ملاحظتها بشكلٍ مستقلٍّ في شعور الرضا.

٣. الأساس النظري للرضا

المراد بالأساس النظري للرضا هو العامل الأكثر جوهريةً الذي يمكن من خلاله تفسير شعور الرضا. في أيِّ موضوع، توجد عوامل تسهم في تحقيقه، ولكن هناك عناصر أساسية تعود إليها جميع الأمور. هذه العناصر يمكن استخدامها كأساس للتنبؤ. في موضوع الرضا، السؤال الأساس هو: ما هو الأساس النظري للرضا من وجهة نظر الإسلام؟ وما هو العنصر الذي يشكّل جوهر شعور الرضا؟

من خلال مراجعة النصوص المتعلقة بالقضاء الإلهي، يتبيّن أنَّ «الخير المُدرَك» هو الأساس النظري للرضا في الإسلام؛ أي أنَّ استناد الحياة إلى الخير الحقيقي يشكّل أساس شعور الرضا.



أ) الخير المُدرَك

استناداً إلى المصادر الإسلامية، فإنَّ تقدير الله تعالى مبنًى على الخير. كلُّ ما يقدره الله ويحكم به، سواء في التشريع أم في التكوين، لا يكون إلَّا خيراً^(١)، سواء كان ذلك نعمة وفيرة أم مصيبة مؤلمة^(٢).

عن صهيب قال: صلَّيت مع رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشاء، فلمَّا انصرف أقبل إلينا بوجهه ضاحكاً، فقال: «ألا تسألوني ممَّ ضحكتُ؟!» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عجبتُ من قضاء الله للعبد المسلم إنَّ كلَّ ما قضى الله له خير، وليس أحدٌ كلَّ قضاء الله له خير إلَّا العبد المسلم»^(٣) وفي بعض الروايات، استعمل تعبير «الحسن» بدلاً من «الخير».

(١)- قال رسول الله ﷺ في بيان عام: «في كلِّ قضاء الله خيرةٌ للمؤمن» [التوحيد، ص ٣٧١، ح ١١؛ عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ١٤١، ح ٤٢؛ تحف العقول، ص ٢٩٣].

ثم قال متعجباً: «عجبتُ للمؤمن، إنَّ الله لم يقض قضاءً إلَّا كان خيراً له!» [مسند ابن حنبل، ج ٤، ص ٢٣٤، ح ١٢١٦١؛ مسند أبي يعلى، ج ٤، ص ١٩٠، ح ٤٢٠٢].

(٢)- عن الإمام الصادق ﷺ: «إنَّ المؤمن لو أصبح له ما بين المشرق والمغرب، كان ذلك خيراً له ولو أصبح مُقطَّعاً أعضاؤه كان ذلك خيراً له» [الكافي، ج ٢، ص ٢٤٦، ح ٥].

قال الإمام الكاظم ﷺ: «المؤمن يعرض كلَّ خير، لو قُطِعَ أنمله، كان خيراً له، ولو وُلِّيَ شرقها وغربها، كان خيراً له» [م.ن، ص ٢٤٢، ح ١٧٩].

قال الإمام الصادق ﷺ: «عجبتُ للمرء المسلم لا يقضي الله (عزَّ وجلَّ) له قضاءً إلَّا كان خيراً له، وإنَّ قُرُصَ بالمقاريض كان خيراً له، وإنَّ ملكَ مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له» [الكافي، ج ٢، ص ٦٢، ح ٨].

(٣)- المعجم الكبير للطبراني ٨: ٤٠، ح ٧٣١٧.

فقد وصفَ النبي ﷺ الله تعالى بعبارة «حسن القضاء»^(١)، ويمدح الإمام زين العابدين عليه السلام الله تعالى للسبب نفسه^(٢). كما أنه في بعض الروايات الأخرى استعمل تعبير (الحكمة)، كما في قول الإمام علي عليه السلام: «أمره قضاءٌ وحكمةٌ، ورضاه أمانٌ ورحمةٌ، يقضي بعلمٍ، ويعفو بحلمٍ»^(٣).

إرادة الله، وإن بدت غير محبوبة، فهي أفضل من إرادة البشر، وإن بدت محبوبة؛ لأنَّ إرادة الله تعالى مبنيةٌ على خيرٍ خفيٍّ ولكنه دائم، بينما إرادة البشر مبنيةٌ على خير ظاهر، ولكنها تحتوي على شرٍّ خفيٍّ ودائم^(٤). وقد بينَّ الإمام الصادق عليه السلام حكاية مميزة في هذا السياق، حيث قال:

«إنَّ بني إسرائيل أتوا موسى عليه السلام فسألوه أن يسأل الله (عزَّ وجلَّ) أن يمطر السماء عليهم إذا أرادوا، ويحبسها إذا أرادوا، فسأل الله (عزَّ وجلَّ) ذلك لهم فقال الله (عزَّ وجلَّ): ذلك لهم يا موسى فأخبرهم موسى فحرثوا، ولم يتركوا شيئاً إلا زرعوه، ثم استنزلوا المطر على إرادتهم، وحبسوه على إرادتهم؛ فصارت

(١)- من دعائه عليه السلام: «هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ، جَمِيلُ الثَّنَاءِ، حَسَنُ الْبَلَاءِ، سَمِيعُ الدُّعَاءِ، حَسَنُ الْقَضَاءِ» [الدروع الواقية، ص ٨٨؛ بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ١٤٠].

(٢)- عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى حُسْنِ قَضَائِكَ، وَبِمَا صَرَفْتَ عَنِّي مِنْ بَلَائِكَ، فَلَا تَجْعَلْ خَطِيئَتِي مِنْ رَحْمَتِكَ مَا عَجَّلْتَ لِي مِنْ عَاقِبَتِكَ، فَأَكُونَ قَدْ شَقِيتُ بِمَا أَحْبَبْتُ وَسَعِدْتُ بِمَا كَرِهْتُ» [الصحيفة السجادية، ص ٧٧، دعا ١٨].

(٣)- نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

(٤)- عن النبي ﷺ: «إِخْتِيَارُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ مَا يَسُوؤُهُ، خَيْرٌ مِنْ إِخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ مَا يَسُرُّهُ» [تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ١١٨].



زروعهم كأنها الجبال والآجام، ثم حصدوا وداسوا وذروا فلم يجدوا شيئاً؛ فضعوا إلى موسى عليه السلام وقالوا: إنّما سألناك أن تسأل الله أن يمطر السماء علينا إذا أردنا فأجابنا، ثم صيرها علينا ضرراً! فقال: يا رب إنّ بني إسرائيل ضجّوا ممّا صنعت بهم، فقال: وممّ ذاك يا موسى؟ قال: سألوني أن أسألك أن تمطر السماء إذا أرادوا وتحبسها إذا أرادوا فأجبتهم، ثم صيرتها عليهم ضرراً. فقال: يا موسى أنا كنت المقدر لبني إسرائيل فلم يرضوا بتقديري فأجبتهم إلى إرادتهم فكان ما رأيت».

ما هو مهم هنا هو رد الفعل الإيجابي للإنسان تجاه تقدير الله. القضاء والقدر يمثلان ظرفاً خارجياً، في حين أنّ الرضا أو السخط هما حالتان نفسيّتان تشكّلان كردّ فعل لهذا الظرف. وفقاً للمصادر الإسلامية، فإنّ الرد الإيجابي على القضاء والقدر يُعبّر عنه بالرضا (الرضا بقضاء الله)، بينما الرد السلبي يُعبّر عنه بالسخط (السخط على القضاء).

ورد في المصادر الإسلامية مصطلح (الرضا بقضاء الله)، كما جاء في قول الإمام علي عليه السلام: «عَلَامَةُ رِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الْعَبْدِ رِضَاهُ بِمَا قَضَى بِهِ سُبْحَانَهُ لَهُ وَعَلَيْهِ»^(١).

وفي حديث آخر عن الإمام علي عليه السلام: «إِنْ عَقَدْتَ أَيْمَانَكَ فَارْضَ بِالْمَقْضَى عَلَيْكَ وَلَكَ، وَلَا تَرْجُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَانْتَظِرْ مَا أَتَاكَ بِهِ الْقَدَرُ»^(٢).

(١)- غرر الحكم: ح ٦٣٤٤.

(٢)- مختصر بصائر الدرجات: ٣٦٣، ح ٤١٨.

كما أشار الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى الرضا في تقديرات الله، سواء كانت محبوبة أم مكروهة^(١)، سواء بدت نافعة أم ضارة للإنسان^(٢). ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): «اعلموا أنه لَنْ يُؤْمِنَ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنِ اللَّهِ فِيمَا صَنَعَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَصَنَعَ بِهِ عَلَى مَا أَحَبَّ وَكَرِهَ»^(٣).

من خلال هذه النصوص، يتّضح أنّ الإيمان بخيرية قضاء الله هو العامل الأساس في الرضا عنه. ما يهم هنا هو أنّ التقدير يمثل مصداقاً. وبإلغاء الخصوصية، يتبين أنّ (الخير) يجلب الرضا، بينما (الشر) يجلب السخط. إذا عدّ الإنسان شيئاً شراً، فإنّه يشعر بالسخط تجاهه، وإذا إذا عدّه خيراً، فإنّه يرضى عنه.

بعبارة أخرى، تم تصميم النظام النفسي للإنسان بنحو أنّ الإحساس بالرضا يُثار تجاه (الخير المدرك)؛ لذلك، فإنّ (الخير المدرك) هو الأساس النظري لشعور الرضا. إذا قيّم الفرد حياته على أنّها جيّدة (حياة جيّدة)، فإنّ شعور الرضا سيتولّد.

ب) الأساس النظري للتقدير

في النصوص الدينية، وردت إشارات عديدة إلى خيريّة

(١)- «الصَّبْرُ وَالرِّضَا عَنْ اللَّهِ رَأْسُ طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَنْ صَبَرَ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ فِيمَا قَضَى عَلَيْهِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ، لَمْ يَقْضِ اللَّهُ لَهُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ إِلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ» [الكافي، ج ٢، ص ٦٠، ح ٣].

(٢)- «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَوَفَّقْنِي لِقَبُولِ مَا قَضَيْتَ لِي وَعَلَيَّ، وَرَضْنِي بِمَا أَخَذْتَ لِي وَمَنِي» [الصحيفة السجادية، ص ٦٢، دعاء ١٤؛ المصباح، الكفعمي، ص ٢٨٠].

(٣)- الكافي، ج ٨، ص ٨، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٢١٧، ح ٩٣.



التقدير التكويني والتشريعي لله تعالى (بأنواعه المختلفة). ويمكن تقسيم هذه الإشارات إلى ثلاثة أقسام: خيريّة البلاء، وخيريّة المال، وخيريّة التكليف. السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما النظرية التي يمكن أن تفسّر هذه الأمور؟ يبدو أن الأساس النظري لكلّ هذه الجوانب هو (النمو والتكامل الإنساني)، أو ما يمكن تسميته بـ (التفتح التوحيدي).

الإنسان كائن ذو قدرات واستعدادات متعدّدة، ويجب أن تزدهر جميعها لتصل إلى الكمال. هذا النمو والتفتح يتمشى مع فلسفة خلق الإنسان، التي تهدف إلى جعله توحيدياً. النمو والتكامل الأساسي للإنسان يتحقّق عندما يتجاوز الأمور الدنيوية ويتجاوز نفسه (تجاوز غير الله) ليصبح إلهياً، وهو ما نسمّيه (النمو التوحيدي) أو (التفتح التوحيدي). ومع ذلك، وكما مرّ في المباني، يمكن للإنسان أن يتحول إلى كائن شيطاني ونفسي. ولكن المهم وجود إمكانية الترقّي للإنسان كي يصبح إلهياً، ولتحقيق هذا التفتح، وُضعت النعم، والمصائب، والتكاليف.

في الحقيقة، أحياناً يمنح الله النعمة ليزرع في الإنسان الرؤية التوحيدية من خلال النعم والسرور، حتى يدرك الإنسان أن كلّ شيء يأتي من الله، ويستخدم هذه النعم في سياق نموه وتكامله. وأحياناً يبتليه بالمصائب ليطوّر الرؤية التوحيدية في جانب المصائب، وليثبت ثباته على عهده مع الله. يُظهر

الإنسان من خلال ذلك أنّه حتى لو منحه الله المصائب، فإنّه لن ينصرف عنه. فالمصائب يمكنها أن تعيد الإنسان المخطئ إلى طريق الله وتطهره، ويمكنها أن تحافظ على دينه، أو ترفع درجته. جميع هذه الأمور تصب في سياق النمو التوحيدي.

كما أنّه، من خلال الأمر بما ينفر منه الإنسان والنهي عمّا يرغب فيه، يربي الله محورّيّة الله في الإنسان، ليُظهر ما إذا كان مستعدّاً للتخلّي عن كلّ شيءٍ من أجل الله. هناك خاصيّةٌ مشتركةٌ في جميع هذه الجوانب، وهي أنّ الإنسان يكون مستعدّاً للتخلّي عن كلّ المغريات الدنيوية والرغبات النفسيّة ويركز فقط على الله. هذا هو قمّة النمو والتكامل الإنساني. لذلك، فإنّ فلسفة القضاء التكويني والتشريعي لله تعالى هي التفتح أو الازدهار التوحيدي.

ج) الرضا الصادق والكاذب

نظريّة الرضا في الإسلام هي نظريّة تعتمد الحقائق. وهذا يعني أنّ الرضا يكون صحيحاً عندما يكون بسبب خيرٍ حقيقي، وليس خيراً وهمياً، وأنّ السخط يكون صحيحاً عندما يكون بسبب شرٍّ حقيقي، وليس شراً وهمياً. معيار صحّة أو خطأ الرضا والسخط هو توافقهما أو عدم توافقهما مع الحقائق. لذلك، إذا كان شخص ما غنياً، لا يمكن القول بمجرد كونه غنياً فإنّه يجب أن يكون راضياً، أو إذا كان فقيراً، فإنّه يجب أن



يكون ساخطاً، وإذا كُلف شخصٌ بمهمة، لا يمكن القول بمجرد وجود التكليف يوجب أن يكون ساخطاً.

المال والثروة، رغم جاذبيتهما وحلاوتهما، إذا لم يكونا في المسار الذي يمثل خير المال، فإن الرضا عنهما يكون خاطئاً (رضا كاذب)، والسخط منهما يكون منطقيّاً وصحيحاً (سخط الصادق). المال، بسبب جاذبيته، قد يقف في مواجهة مكونات إيجابية للحياة^(١).

في الروايات الإسلامية، وُصف المال بأنّه «مادة الشهوات الباطلة»^(٢)، و«فخ إبليس»^(٣)، ويُعدّ من «أسباب هلاك الإنسان»^(٤). لذلك، تم التحذير من حبّ المال. هذا النوع من النعم هو ما يُشار إليه في الأدبيات الدينية باسم «نعمة الاستدراج». بناءً على ذلك، يمكن أن يكون المال من أسباب السخط.

أيضاً، إذا كانت المصيبة أو البلاء، على الرغم من مرارتها وصعوبتها، في إطار ما يجعلها خيراً، فإنّ السخط منها يكون

(١)- «الْمَالُ وَالْبُتُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً» (الكهف: ٤٦).

(٢)- روي عن الإمام علي عليه السلام: «الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ» [نهج البلاغة، الحكمة ٥٨].

(٣)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُدِيرُ ابْنَ آدَمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا أَعْيَاهُ جَنَّمَ لَهُ عِنْدَ الْمَالِ فَأَخَذَ بَرَقَتِهِ» [الكافي، ج ٢، ص ٣١٥، ح ٤].

(٤)- عن النبي صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الدِّينَارَ وَالْدِّرْهَمَ أَهْلَكَمَا مَنْ كَانَ قَبْلَهُمَا، وَهُمَا مُهْلِكَاهُمَا» [الكافي، ج ٢، ص ٣١٦، ح ٦].

غير منطقي وخاطيء (سخط كاذب)، والرضا عنها يكون صحيحاً (رضا صادق). المصيبة تكون سيئةً عندما لا يصبر الإنسان عليها ويسخط على الله. في بعض الروايات، ذُكر أنَّ المصاب الحقيقي هو من يُحرم من ثواب المصيبة^(١). هذا يُظهر أنَّ المصيبة في حدِّ ذاتها ليست حرماناً؛ بل فقدان ثوابها هو الحرمان الحقيقي. بناءً على ذلك، يمكن أن يكون البلاء أيضاً من أسباب الرضا.

إنَّ الفرد إذا عمل بالتكليف، فإنَّ خيره مضمون، فيكون السخط منه يكون خاطئاً (سخط كاذب)، والرضا عنه منطقياً وصحيحاً (رضا صادق). ولكن إذا لم يعمل بالتكليف، رغم أنَّه قد يشعر بالراحة، فإنَّه يُصاب بالشرِّ؛ لذا فإنَّ رضاه في هذه الحالة يكون خاطئاً (رضا كاذب)، وسخطه يكون صحيحاً ومنطقياً (سخط صادق).

ممَّا سبق يتضح أنَّ الرضا من وجهة نظر الإسلام لا يُعدَّ مجرد ظاهرة نفسية؛ بل هو ظاهرة نفسية مرتبطة بالواقع. نسمي هذا (الرضا الواقعي). في هذه النظرية، الرضا الصحيح هو الذي يتوافق مع الحقائق، بينما الرضا الذي لا يمتلك هذا التوافق ليس رضا صحيحاً؛ بل مجرد إحساسٍ غير مستقرٍّ ومخادعٍ قد يؤدي بالفرد في المستقبل إلى الانهيار والفشل المفاجئ.

(١)- المعجم الكبير ٣: ١٢٩، ح ٢٨٩؛ الأمالي للصدوق: ٣٤٨، ح ٤٢١.



٤. أبعاد الحياة الطيّبة (الخير)

إذا أردنا رؤية الرضا بشكل ملموس في الحياة، علينا أن ندرس أبعاد الحياة الطيّبة والخير في الحياة. هناك أربعة أمور يجب التركيز عليها في الحياة:

التقديرات: وتشمل الأحداث السارة (النعم)، وغير السارة (المصائب) في الحياة، بالإضافة إلى التكاليف الحاكمة على الحياة التي تنشأ عنها الطاعة والمعصية.

المعيشة: وتشير إلى البعد الاقتصادي للحياة.

العلاقات: وتعني التواصل والتفاعل مع الآخرين.

السياسة: وتشير إلى النظام السياسي والاجتماعي السائد في المجتمع.

لذلك، الحياة الطيّبة هي مزيج خاص من التقدير الطيّب، والعلاقات الطيّبة، المعيشة الطيّبة، والنظام الطيّب. وفيما يلي سنتناول هذه العناصر الأربعة بالتفصيل:

أ) التقدير الطيب

جزء من الحياة تتكوّن من التقديرات الخاصة لله تعالى، التي يُشار إليها في الأدبيّات الدنيّة باسم (القضاء والقدر).

القضاء: مأخوذ من الجذر (ق ض ي)، بمعنى إتمام شيء،

وجعله متيناً وفق فلسفته الوجودية.

القدر: مأخوذ من الجذر (ق د ر)، بمعنى تحديد مقدار الشيء وحدوده وجوهره ونهايته. التقدير: يعني تحديد مقدار الشيء.

القضاء والقدر يُستعملان في القرآن الكريم والأحاديث بمعان متعددة. وفقاً لحديث عن الإمام (عليه السلام)، فإن كلمة القضاء وردت في القرآن عشرة معان^(١).

ولكن هنا فالمقصود من القدر يشير إلى هندسة الأشياء وحدودها، والقضاء يعني الحكم بتحقيقها. وبعبارة أخرى، كل ظاهرة تحتاج إلى مقدمات لتحقيقها، والقدر والقضاء هما مقدمتان رئيسيتان لتحقيق أي شيء. القدر: هو قياس أبعاد وجود الظاهرة. والقضاء: هو تنفيذ هذا التقدير وتحقيقه.

الله تعالى، قبل أن يفعل أي شيء أو يخلق أي ظاهرة، يقوم أولاً بتحديد حدود وجودها من جميع الجوانب، فتلك الحدود هي القدر وهذا العمل هو التقدير، وبعد ذلك يأتي القضاء، حيث يحقق الله ما قدره بالفعل. وبعبارة أخرى إن الوجود العيني لكل ظاهرة، يعدّ في الواقع تحقيقاً لوجودها التقديري،

(١)- عن الإمام علي عليه السلام في تفسير القضاء والقدر: «هُوَ عَشْرَةٌ أَوْجُهُ مُخْتَلِفَةٌ الْمَعْنَى، فَمِنْهُ قَضَاءُ فَرَاغٍ، وَقَضَاءُ عَهْدٍ، وَمِنْهُ قَضَاءُ إِعْلَامٍ، وَمِنْهُ قَضَاءُ فِعْلٍ، وَمِنْهُ قَضَاءُ إِيْجَابٍ، وَمِنْهُ قَضَاءُ كِتَابٍ، وَمِنْهُ قَضَاءُ إِيْتِمَامٍ، وَمِنْهُ قَضَاءُ حُكْمٍ وَقَضْلٍ، وَمِنْهُ قَضَاءُ خَلْقٍ، وَمِنْهُ قَضَاءُ نُزُولِ الْمَوْتِ. أَمَّا تَفْسِيرُ قَضَاءِ الْفَرَاغِ...» [دانش نامه عقاید اسلامی، ج ٨، ص ١٤٥، ح ٥٧٦٣].



لذلك فإنَّ القدر يسبق القضاء، رغم أنَّ القضاء يُذكر أولاً في النصوص لتسهيل التعبير والاستخدام.

القضاء والقدر، من منظور معين، ينقسمان إلى تكوينيّ، وتشريعي. القضاء والقدر التكوينيَّان يتعلّقان بجانب الخلق وكيفية تنظيم قوانين الحياة وأحداثها. أمّا القضاء والقدر في مجال التشريع، فمعناهما أنَّ الله تعالى قد وزن أفعال الإنسان الاختيارية، وبناءً على مصالحها ومفاسدها، قسمها إلى: واجب، مستحب، حرام، مكروه، ومباح، وحدد مقدار الثواب والعقاب المترتب على كلّ منها. القضاء التشريعي هو أنَّ الله تعالى قد أصدر الأمر بتنفيذ القدر التشريعي^(١).

ما يتعلّق ببحثنا من القضاء والقدر التكوينيّين هو الحوادث والوقائع التي تطرأ في مسار حياة كلّ فرد. تنقسم حوادث الحياة إلى قسمين: الأيام السارة، والأيام غير السارة؛ لهذا السبب، قسّم الإمام عليّ عليه السلام الحياة إلى قسمين: «يومٌ لك» و«يومٌ عليك»^(٢). وهناك مفاهيم أخرى تتصل بهذه الحقيقة: السعادة في الحياة «يومٌ لك» هي ما يُطلق عليه في الأدبيّات الدينيّة (النعمة).

(١)- عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية... والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، كلّ ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا» [الاحتجاج، ج ١، ص ٤٩٢، ح ١٢١؛ كنز الفوائد، ج ١، ص ٣٦٣]. وعن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير القضاء: «الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة» [عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٤، ح ١٧؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٩٨، ح ٣٠٤؛ روضة الواعظين، ص ٤٧].

(٢)- تحف العقول، ص ٢٠٧؛ بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٢١٠، ح ١ ج ٧٨، ص ١٣، ح ٧١؛ نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٦.

الشقاء في الحياة «يومٌ عليك» هو ما يُشار إليه بمصطلحات مثل البلاء، المصيبة، والنقمة.

في الروايات، وردت ثلاث كلمات معاً: القضاء، والبلاء، والنعماء، كما وردت أيضاً ثلاثة مفاهيم مترابطة: الرضا، والصبر، والشكر. الرضا هو رد الفعل تجاه القضاء. والصبر هو رد الفعل تجاه البلاء. والشكر هو رد الفعل تجاه النعماء.

على سبيل المثال، ورد في حديث عن النبي ﷺ أَنَّ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ تَكُونُ رُدُودُ أَعْمَالِهِمْ تَجَاهَ الْقَضَاءِ وَالْبَلَاءِ وَالنِّعَمِ هِيَ الرِّضَا وَالصَّبْرُ وَالشُّكْرُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعِدُّهُمْ مِنْ عِبَادِهِ الصَّادِقِينَ^(١).

رُوي عن الإمام الكاظم عليه السلام: «رَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْمٌ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَقَالَ: مَنْ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا: مُؤْمِنُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: وَمَا بَلَغَ مِنْ إِيْمَانِكُمْ؟ قَالُوا: الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حُلَمَاءُ عُلَمَاءٍ، كَادُوا مِنَ الْفَقْهِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ. إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَصِفُونَ، فَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»^(٢).

كما نُقل عن الإمام علي عليه السلام أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ هَذِهِ الْمَفَاهِيمَ

(١) - «إِنَّ اللَّهَ -جَلَّ ثَنَاهُ- يَقُولُ: وَعَزَّيْ وَجَلَالِي، مَا خَلَقْتُ مِنْ خَلْقِي خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، وَلِذَلِكَ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِي مُؤْمِنًا... فَلْيَرْضَ بِقَضَائِي، وَلْيَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلْيَشْكُرْ نِعْمَائِي، أَكْتُبُهُ يَا أَحْمَدُ مِنَ الصَّادِقِينَ عِنْدِي» [مشكاة الأنوار، ص ٣٣].

(٢) - الكافي، ج ٢، ص ٤٨، ح ٤؛ مشكاة الأنوار، ص ٧٥، ح ١٤٣.



الثلاثة بالطريقة، وقال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ رُزِقَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ هُنَّ: الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرُ فِي الرَّخَاءِ»^(١). وقال ﷺ أَيْضًا: إِنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْبَلَاءِ، وَشَكَرْتُمْ فِي الرَّخَاءِ، وَرَضِيْتُمْ بِالْقَضَاءِ، كَانَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الرِّضَا»^(٢). لذلك كان يدعو الله أَنْ يمنحه هذه الصفات الثلاث في دعائه^(٣).

في بعض الروايات، ورد ذكر العنوانين (الرضا والصبر) معاً^(٤). وفي جزءٍ آخر من الروايات، استعملت تعبيرات بديلة عن كلمتي البلاء والنعمة، يمكن من خلالها تفسير العلاقة بينهما وبين الرضا. هذه التعبيرات تشير إلى كون ظروف الحياة إمّا مريحة وإمّا غير مريحة. على سبيل المثال، يقول الإمام علي ﷺ: «عَلَامَةُ رِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الْعَبْدِ، رِضَاهُ بِمَا قَضَى بِهِ سُبْحَانَهُ لَهُ وَعَلَيْهِ»^(٥).

هذا الحديث يوضح بجلاء أَنَّ حكم الله وقضائه على عبده إمّا أَنْ يكون لصالحه (نعمة)، وإمّا ضده (بلاء).

استعمل الإمام زين العابدين ﷺ تعبيرات مثل: (فيما قضى

(١)- غرر الحكم، ح ٦٢٨٣.

(٢)- م. ن، ح ٣٨٤٥.

(٣)- «اللَّهُمَّ... وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَنِي شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَصَبْرًا عَلَى بَلَّتِكَ، وَرِضًا بِقَدْرِكَ» [مهج الدعوات، ص ١٣٠].

(٤)- عن الإمام علي ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَكَى مِنْ عَدَمِ الْقَنَاعَةِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: قُلْ: اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ، وَصَبِّرْنِي عَلَى بَلَائِكَ، وَبَارِكْ فِي أَقْدَارِكَ، حَتَّى لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ شَيْءٍ آخِرَتَهُ، وَلَا تَأْخِيرَ شَيْءٍ عَجَلَتَهُ» [قرب الإسناد، ص ٢٢٠].

(٥)- غرر الحكم، ح ٦٣٤٤.

عَلَيْهِ)، (فيما أَحَبَّ أو كَرِهَ)^(١)، (ما قَضَيْتَ لي وَعَلَيَّ)^(٢). في وصية لقمان لابنه، تم الإشارة إلى أَنَّ قضاء الله تعالى إمَّا أَنْ يكون محبوباً لدى الإنسان (نعمة) وإمَّا مكروهاً (بلاء)^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام في هذا السياق: «اعلموا أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنِ اللَّهِ فِيما صَنَعَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَصَنَعَ بِهِ عَلَى ما أَحَبَّ وَكَرِهَ، وَلَنْ يَصْنَعَ اللَّهُ بِمَنْ صَبَرَ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ إِلَّا ما هُوَ أَهْلُهُ، وَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا أَحَبَّ وَكَرِهَ»^(٤).

وفي حديث آخر منقول عن الإمام علي عليه السلام قَسَمَ فِيهِ الْقَضَاءُ إِلَى قَسَمَيْنِ: النِّفْعَ وَالضَّرَرَ. قال الإمام عليه السلام: «إِنْ عَقَدْتَ أَيْمَانَكَ فَارْضَ بِالْمَقْضِيِّ عَلَيْكَ وَلَكَ، وَلَا تَرْجُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَانْتَظِرْ مَا أَتَاكَ بِهِ الْقَدَرُ»^(٥).

في جميع الروايات المذكورة، أُشير إلى أَنَّ القضاء الإلهي إمَّا أَنْ يكون محبوباً وإمَّا أَنْ يكون مكروهاً. إذا وضعنا هذا بجانب تلك الروايات التي ذكرت فيها الكلمات الثلاث (القضاء، البلاء، والنعمة) معاً، يتبين أَنَّ السعادة في قضاء الله هي حالة (نعمة)،

(١) - «الصَّبْرُ وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ رَأْسُ طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَنْ صَبَرَ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ فِيما قَضَى عَلَيْهِ فِيما أَحَبَّ أو كَرِهَ، لَمْ يَقْضِ اللَّهُ لَهُ فِيما أَحَبَّ أو كَرِهَ إِلَّا ما هُوَ خَيْرٌ لَهُ» [الكافي، ج ٢، ص ٦٠، ح ٣].

(٢) - «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَوَفَّقْنِي لِقَبُولِ ما قَضَيْتَ لي وَعَلَيَّ، وَرَضْنِي بِما أَخَذْتَ لي وَمَنِي» [الصحيفة السجادية، ص ٦٢، دعاء ١٤؛ المصباح، الكفعمي، ص ٢٨٠].

(٣) - «يَا بَنِي! اخْتُكْ عَلَى سِتِّ خِصَالٍ، لَيْسَ مِنْهَا خِصْلَةٌ إِلَّا وَهِيَ تَقَرُّبُكَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ، وَتُبَاعِدُكَ مِنْ سَخَطِهِ... وَالثَّانِيَةُ: الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ فِيما أَحَبَّبتَ وَكَرِهْتَ...» [كنز الفوائد، ج ٢، ص ١٦٤].

(٤) - الكافي ٨: ٨، ح ١.

(٥) - مختصر بصائر الدرجات: ٣٦٣، ح ٤١٨.



وأنَّ الشقاء في قضاء الله هو حالة (بلاء)؛ لذلك، يمكن القول إنَّ القضاء يظهر ويتجسّد في شكلين: البلاء والنعماء.

بناءً على ذلك، فإنَّ تقدير الله تعالى قائمٌ على الخير، وعلى هذا الأساس يُفهم الرضا بقضاء الله، والصبر على بلائه، والشكر على نعمه. وقد نقل الإمام الصادق (عليه السلام) كلامًا عن الله تعالى يثبت فيه أنَّ الرضا، الصبر، والشكر مبنيان على مبدأ (خيرية القضاء): «عَبْدِي الْمُؤْمِنُ لَا أَصْرِفُهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا جَعَلْتُهُ خَيْرًا لَهُ، فَلْيَرْضَ بِقَضَائِي، وَلْيَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلْيَشْكُرْ نِعْمَائِي، أَكْتُبُهُ - يَا مُحَمَّدٌ - مِنَ الصَّادِقِينَ عِنْدِي»^(١).

وفي حديثٍ آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) يشير الله تعالى بتفصيلٍ أكبر إلى بعض الأمثلة، ويؤكد أنَّ العناوين الثلاثة مبنيةٌ على المبدأ الأساسي نفسه: «يَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ! مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، فَإِنِّي إِنَّمَا أَبْتَلِيهِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأُعَافِيهِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَزْوي عَنْهُ مَا هُوَ شَرٌّ لَهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ عَبْدِي، فَلْيَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلْيَشْكُرْ نِعْمَائِي، وَلْيَرْضَ بِقَضَائِي، أَكْتُبُهُ فِي الصَّادِقِينَ عِنْدِي، إِذَا عَمَلَ بِرِضَائِي وَأَطَاعَ أَمْرِي»^(٢).

ما سبق يتعلّق بالتقدير التكويني. أمّا الآن يجب أيضًا دراسة التقدير التشريعي. التشريع يسبب التكليف، بمعنى أنّه عندما

(١) - الكافي ٢: ٦١، ح ٦.

(٢) - م ن ٢: ٦١، ح ٧.

يتم وضع قانون، يصبح مخاطبو هذا القانون مكلفين بالالتزام به. التكليف، نظراً لما ينطوي عليه من صعوبات، يُعَدُّ من الأمور غير المرغوبة. الأمور غير المرغوبة تحتاج إلى الصبر. الصبر يعني (تحمل المشاق والصعوبات والامتناع عن الجزع وفقدان الصبر). موضوع الصبر الأساس هو الأمور غير المرغوبة التي تجعل النفس غير مستقرّة، وتميل إلى الجزع والقلق؛ لذلك، موضوع الصبر يشمل الأمور المكروهة وغير المرغوبة. وهذه الأمور غير المرغوبة تنبع إمّا من متعة يجب تركها، وإمّا من محنة يجب تحملها؛ لهذا السبب، قُسم الصبر في الروايات الإسلاميّة إلى قسمين:

- الصبر على المحنة.

- الصبر عن اللذة^(١).

وفقاً للروايات الإسلاميّة، الطاعة تصاحبها المحنة، والمعصية تصاحبها اللذة. لذلك، فإن أداء الطاعة وترك المعصية كلاهما صعب وغير مرغوب. يقول الإمام علي عليه السلام بعد نقل جملة من النبي ﷺ: «وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كَرِهٍ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ»^(٢).

البُعد الآخر للأمور غير المرغوبة التي يجب تحملها هو

(١)- قال الإمام علي عليه السلام: «الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ» [نهج البلاغة، الحكمة ٥٥].

(٢)- نهج البلاغة الخطبة: ١٧٦.



البلاء، كما ذُكر في المناقشة السابقة؛ لذلك، يشمل الصبر على المحنة: الصبر على البلاء والصبر على الطاعة. كما يشمل الصبر عن اللذة: الصبر عن المعصية. لهذا السبب، ورد في بعض الروايات تقسيم الصبر إلى ثلاثة أنواع^(١).

علاقة التقدير الإلهي بدور الإنسان

رغم أنَّ التقدير الإلهي قائم على الخير، إلّا أنَّ تحقيق نتائجه يعتمد على رضا الإنسان نفسه بقضاء الله. وهذا قانونٌ آخر من قوانين الحياة؛ لذلك، فإنَّ كون التقدير الإلهي خيراً يُبرر رضا الإنسان، ورضا الإنسان هو مفتاح لجعل التقديرات الإلهية مشمرةً في حياته.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما قَضَى اللَّهُ لِمُؤْمِنٍ قَضَاءً فَرَضِي بِهِ، إلّا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْخَيْرَ فيما يَقْضِي»^(٢)، كما أوضح النبي صلى الله عليه وآله هذا الأمر بقوله: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَبْتَلِي الْعَبْدَ بِالرِّزْقِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُ؛ فَإِنْ رَضِيَ بِوَرِكٍ لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ»^(٣).

في روايات أخرى، ورد هذا المبدأ في مواقف معينة، وفي حديث آخر نقل عن النبي صلى الله عليه وآله قول الله تعالى في حديث قدسي: «قَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): لَوْلا أَنِّي أَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، مَا

(١)- قال النبي صلى الله عليه وآله: «الصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ: صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ» [الكافي، ج ٢، ص ٩١، ح ١٥].

(٢)- التمهيد، ص ٥٩، ح ١٢٣؛ مشكاة الأنوار، ص ٧٣، ح ١٣٥.

(٣)- حلية الأولياء، ج ٢، ص ٢١٣؛ كنز العمال، ج ٣، ص ٣٩٦، ح ٧١٢١.

تَرَكْتُ عَلَيْهِ خِرْقَةً يَتَوَارَى بِهَا، وَإِذَا أَكْمَلْتُ لَهُ الْإِيمَانَ ابْتَلَيْتُهُ بِضَعْفٍ فِي قُوَّتِهِ، وَقِلَّةٍ فِي رِزْقِهِ، فَإِنْ هُوَ جَزَعَ أَعَدْتُ عَلَيْهِ، وَإِنْ صَبَرَ بَاهَيْتُ بِهِ مَلَائِكَتِي»^(١).

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قد أبدى تعجبه من حال المؤمن، وقال: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(٢).

في الحقيقة، كون قضاء الله خيراً للمؤمن يعود إلى رضا المؤمن في كل الأحوال، حتى لو أخذت حياته^(٣).

في جزءٍ آخر من الروايات، تم التصريح بأن تأثير المال وفعاليته يعتمدان على شكر النعمة. هذه النقطة ذات أهمية خاصة في موضوع الرضا. إذا كان المال موجوداً ولكنه فاقداً لخاصية التأثير، فإن وجوده كعدمه؛ لذا، فإن المال لا يكون

(١) - الأماشي، الطوسي، ص ٣٠٦، ح ٦١٣؛ المؤمن، ص ٤٥، ح ٦١.

(٢) - صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٢٩٥، ح ٦٤؛ مسند ابن حنبل، ج ٦، ص ٥٠٥، ح ١٨٩٦١؛ صحيح ابن حبان، ج ٧، ص ١٥٥، ح ٢٨٩٦. وفي رواية أخرى عن صهيب عنه ﷺ: «الْمُؤْمِنُ كُلُّهُ فِيهِ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ فَشَكَرَ اللَّهُ فَلَهُ أَجْرٌ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ فَصَبَرَ فَلَهُ أَجْرٌ، فَكُلُّ قَضَاءٍ لِلَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ» [السنن الكبرى، ج ٣، ص ٥٢٦، ح ٦٥٥٤؛ المعجم الكبير، ج ٨، ص ٤٠، ح ١٧٣١٦]. وعن صهيب: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ ضَحَكَ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنْ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ مَا يُحِبُّ، حَمِدَ اللَّهَ وَكَانَ لَهُ خَيْرٌ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مَا يَكْرَهُ، فَصَبَرَ كَانَ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، إِلَّا الْمُؤْمِنُ» [مسند ابن حنبل، ج ٩، ص ٢٤١، ح ٢٣٩٨٥].

(٣) - «الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ، تَنَزَّعَ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنَّتَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ» [سنن النسائي، ج ٤، ص ١٢؛ مسند ابن حنبل، ج ١، ص ٦٣٦، ح ٢٧٠٤].



مثمراً إلا إذا أوصل صاحبه إلى مرحلة الشكر. يصوّر الإمام الصادق عليه السلام حقيقة الذين أعطوا المال ولم يشكروا عليه كمن لا يملكون المال^(١). وفي رواية أخرى عنه، عدّ مثل هذا المال سبباً للابتلاء والمحنة^(٢).

يقول الإمام علي عليه السلام في تعبير جميل: «النَّعْمَةُ مَحَنَةٌ؛ فَإِنْ شُكِرَتْ صَارَتْ نِعْمَةً، فَإِنْ كُفِرَتْ صَارَتْ نِقْمَةً»^(٣)؛ لذلك، ما يجعل النعمة مفيدة هو الشكر. من الواضح أنّ النعمة تصبح سبباً للرضا فقط عندما يصل الشخص إلى مرحلة الشكر. لهذا السبب، عندما طلب ثعلبة بن حاطب من النبي صلى الله عليه وآله أن يدعو له بالثراء، قال له النبي صلى الله عليه وآله: «قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرُهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ»^(٤).

يمكننا القول بأنّ هناك مفهومين: الخير المقدّر، والخير المؤثّر، الخير الذي قدره الله في ظواهر الكون يمكن أن يصبح مؤثّراً، ويجعل الحياة خيراً في الواقع عندما يكون الإنسان راضياً عنه. لذلك، رضا الإنسان يعتمد على كون تقديرات الله خيراً، وتأثير التقديرات الإلهية في حياة الإنسان يعتمد على رضاه

(١)- «إِنَّ الَّذِينَ أُعْطُوا الْمَالَ ثُمَّ لَمْ يَشْكُرُوا لَا مَالَ لَهُمْ» [الكافي، ج ٨، ص ٨١، ح ٥].

(٢)- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْعَمَ عَلَى قَوْمٍ فَلَمْ يَشْكُرُوا فَصَارَتْ عَلَيْهِمْ وَبَالًا، وَابْتَلَى قَوْمًا بِالْمَصَائِبِ فَصَبَرُوا فَصَارَتْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً» [الكافي، ج ٢، ص ٩٢، ح ٢؛ تحف العقول، ص ٢٦٤].

(٣)- بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ١١٣، ح ٧٨.

. تاريخ دمشق، ج ١٢، ص ٩، ح ٢٨٨٩؛ تفسير القرطبي، ج ٨، ص ٢٠٩.

(٤)- تاريخ دمشق ١٢: ٩، ح ٢٨٨٩.

عنها.

هذا التفسير مبنيٌّ على التفريق بين مقام (القضاء والقدر)، (مقام الجعل)، و(مقام الرضا)، و(مقام التنفيذ). في مقام الجعل تكون تقديرات الإنسان مبنيةً على الخير. وفي مقام التنفيذ، يصل الإنسان إلى الرضا من خلال التفاعل مع ما تقرر في مقام الجعل.

نتيجة لذلك، تصبح التقديرات في حياة الإنسان مصدرًا للخير. العامل الأساس في تحويل هذا الخير، هو ردود فعل الإنسان الإيجابية تجاه أنواع التقدير المختلفة. في بعض الروايات، تمّ التصريح بأنّ قضاء الله يشمل كلا البعدين السار وغير السار، وتمّ التأكيد على أنّ الصبر والشكر هما العاملان اللذان يجعلان قضاء الله مثمرًا بالخير. فيما يتعلّق بالبعد التشريعي، لم يُعثر على نصٍّ صريحٍ يشترط فعالية الخير الكامن في التقديرات التشريعية على العمل بالطاعة، ولكن من خلال الاستفادة من المناقشات السابقة ومنطق العقل، يمكن القول إنّ آثار الطاعة تُكتسب فقط عند القيام بها، وإنّ تجنّب أضرار المعصية يتحقّق بتركها. لذلك، ورغم أنّ الخير هو أساس التكليف، فإنّ تحقيق ثماره يعتمد على الامتثال للتكليف.

ب) المعيشة الطيّبة

ذكرت في المصادر الإسلامية، الوسائل المادية مثل:



المسكن، ووسيلة النقل، والوظيفة، وغيرها، بوصفها عوامل للسعادة؛ لأنَّ الإنسان كائنٌ محتاجٌ، وإحدى جوانب حياته تعتمد على تلبية احتياجاته؛ لهذا السبب، وضع الله تعالى في الطبيعة ما يلبي احتياجاته^(١).

والأمر الآخر تصنيف الاحتياجات حسب أهميتها للبقاء على قيد الحياة، فكلّما زادت أهمية الحاجة للإنسان وأصبحت أكثر حيوية، سهّل الله الوصول إليها. وكلّما قلت ضرورتها، أصبح الوصول إليها يعتمد على وسائل إضافية^(٢). هذا هو قانون العالم. لذلك، أوصى الله تعالى بتوفير وسائل العيش، بل عدّ ذلك واجباً.

من منظور الإسلام، المؤمن هو الذي يهتم بأمر دنياه بجانب اهتمامه بآخرته. في القرآن الكريم أمر الله عباده بالسعي وراء

(١)- روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال للفضل بن عمر: «يا مُفَضَّلُ! فكّر في هذه الأشياء التي تراها موجودة معدّة في العالم من مآربهم، فالتراب للبناء، والحديد للصناعات، والحشب للسفن وغيرها، والحجارة للأرحاء وغيرها، والنحاس للأواني، والذهب والفضة للمعاملات، والجوهر للذخيرة، والحبوب للغذاء، والثمار للتفكه، واللحم للمأكّل، والطيب للتلذذ، والأدوية للتصحيح، والدوابّ للحمولة، والحطب للتوقّد، والرّماد للكلس، والرمل للأرض، وكم عسى أن يحصى المحصى من هذا وشبهه» [توحيد المفضل، ص ٨٥؛ بحار الأنوار، ج ٣، ص ٨٦].

(٢)- راجع: توحيد المفضل، ص ٨٧؛ بحار الأنوار، ج ٣، ص ٨٧.
روي عن الإمام الصادق عليه السلام من قوله للمفضل: «اعتبر -يا مُفَضَّل- بأشياء خلقت لمآرب الإنسان وما فيها من التدبير، فإنّه خلق له الحبّ لطعامه؛ وكلّف طحنه وعجنه وخبزه، وخلق له الوبر لكسوته؛ فكلّف ندفه وغزله ونسجه، وخلق له الشجر؛ فكلّف غرسها وسقيها والقيام عليها، وخلق له العقاقير لأدويته؛ فكلّف لقطها وخلطها وصنعها، وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال. فانظر كيف كفى الخلقه التي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كلّ شيء من الأشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك من الصلاح؛ لأنّه لو كفى هذا كلّ حتّى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل لما حملته الأرض أشراً وبطراً، ولبلغ به كذلك إلى أن يتعاطى أموراً فيها تلف نفسه» [توحيد المفضل، ص ٨٥؛ بحار الأنوار، ج ٣، ص ٨٦].

الرزق بعد أداء الصلاة^(١)، وأثنى على الذين يفعلون ذلك^(٢)، فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ (الجاثية: ١٢) لذلك، فإنَّ السعي وراء الرزق لا يتعارض مع التدين.

من الواضح أنَّ تأمين الرزق يؤدي دورًا كبيرًا في تحقيق الطمأنينة، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالعمل والاجتهاد. الرزق لا يتحقق بمجرد الجلوس والدعاء. عندما لا يؤمِّن الرزق، يصبح الإنسان مضطربًا، والاضطراب يؤدي إلى السخط؛ لذلك، فإنَّ من أبعاد الحياة الطيِّبة، التمتع بمعيشة طيبة. وستحدث عن هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيلًا في الفصل السابع.

ج) العلاقات الطيِّبة

من الجوانب المهمة للحياة العلاقة مع الآخرين؛ لأنَّ الإنسان كائن اجتماعي. يوضح القرآن الكريم أنَّ فلسفة اختلاف البشر هي التواصل الاجتماعي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية الكريمة: «إنَّ الناس بما هم ناس يساوي بعضهم بعضًا، لا اختلاف بينهم، ولا

(١)- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ١٠).

(٢)- ﴿وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (المزمل: ٢٠).



فضل لأحدهم على غيره، وإنَّ الاختلاف المترائي في الخلقة من حيث الشعوب والقبائل إنما هو للتوصل به إلى تعارفهم، ليقوم به الاجتماع المنعقد بينهم؛ إذ لا يتمُّ اتِّلافٌ ولا تعاونٌ وتعاضدٌ من غير تعرّف، فهذا هو غرض الخلقة من الاختلاف المجعول، لا أن تتفاخروا بالأنساب، وتتفاضلوا بأمثال البياض والسواد، فيستعبد بذلك بعضهم بعضاً، ويستخدم إنسان إنساناً، ويستعلي قومٌ على قومٍ فينجر إلى ظهور الفساد في البر والبحر، وهلاك الحرث والنسل، فينقلب الدواء داءً^(١).

وفي هذا السياق دعا الإمام الصادق عليه السلام شيعته للتواصل مع أهل الطوائف الأخرى، معللاً ذلك بأنَّ الإنسان مضطّرٌّ للتواصل مع الآخرين ولا يمكنه الاستغناء عنهم^(٢).

في المصادر الدينية، يُعدّ وجود علاقةٍ جيدةٍ وإيجابيةٍ مع الآخرين (بجوانبها المختلفة) من عوامل السعادة. هذا يُظهر أنَّ العلاقات مع الآخرين ليست فقط ضرورة، بل هي أيضاً سبب للسعادة. لقد أشارت هذه المصادر إلى أنَّ وجود الأسرة الجيدة والجيران والأصدقاء الجيدين، والتعامل الحسن مع المخالفين، يعدّ من مصاديق التعامل مع الآخرين.

(١) - تفسير الميزان، ج ١٨ ص ٣٢٧.

(٢) - «إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنَ النَّاسِ، إِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَغْنِي عَنِ النَّاسِ حَيَاتُهُ، وَ النَّاسُ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ» [الكافي (دار الحديث)، ج ٤، ص ٦٧٩، ح ٣٥٩٨].

فلو كان للإنسان زواج جيد^(١)، وله زوجة صالح^(٢) مؤاتية^(٣) أمينة^(٤)، وجميلة مهما أمكن^(٥)، وله ذرية^(٦) صالحة^(٧)، فقد اكتملت إحدى أبعاد سعادته الاجتماعية. وكذلك لو كان له في محيط سكنه جيران صالحون^(٨)، أو كان مورد اعتماد الناس في المجتمع^(٩)، وعدة أصدقاء^(١٠) صلحاء^(١١) وكرماء^(١٢)، فقد تم

(١)- قال النبي ﷺ: «مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أُعْطِيَ نِصْفَ السَّعَادَةِ» [مستدرک الوسائل، ج ١٤، ص ١٥٤، ح ١٦٣٥٢].

(٢)- قال النبي ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ» [الجعفریات، ص ٩٩؛ مسند ابن حنبل، ج ١، ص ١٦٨؛ المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ١٤٤].

(٣)- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ثَلَاثَةٌ مِنَ السَّعَادَةِ... الزَّوْجَةُ الْمُؤَاتِيَةُ» [الكافي، ج ٥، ص ٢٥٨؛ تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ٧].

(٤)- عن النبي ﷺ أنه قال: «ثَلَاثٌ مِنَ السَّعَادَةِ... الْمَرْأَةُ تَرَاهَا تُعْجِبُكَ، وَتَغِيبُ فِتَامُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِك» [المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ١٦٢]. وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «مِنْ شَقَاءِ الْمَرْءِ أَنْ تَكُونَ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ مُعْجَبٌ بِهَا، وَهِيَ تَخُونُهُ» [الكافي، ج ٥، ص ٢٥٨، ح ٣].

(٥)- عن النبي ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يُشَبِّهَهُ وَلَدُهُ، وَالْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ ذَاتُ دِينٍ» [قرب الإسناد، ص ٣٧].

(٦)- عن النبي ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ.. الْوَلَدُ الصَّالِحُ» [الجعفریات، ص ٩٩؛ مسند ابن حنبل، ج ١، ص ١٦٨].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ... وَيَكُونَ لَهُ وَلَدٌ يَسْتَعِينُ بِهِمْ» [الكافي، ج ٥، ص ٢٥٧، ح ١؛ كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٩٩، ح ٣٨٥، الخصال، ج ١، ص ١٥٩، ح ٢٠٧].

الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْوَلَدُ، يَعْرِفُ بِهِ شِبْهَ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ وَسَمَائِلِهِ» [الكافي، ج ١، ص ٣٠٦، ح ٣].

(٧)- عن النبي ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ الْمُسْلِمِ... الْجَارُ الصَّالِحُ» [الخصال، ج ١، ص ١٨٣، ح ٢٥٢].

(٨)- عن النبي ﷺ: «كُفِيَ بِالْمَرْءِ سَعَادَةً أَنْ يُوَثَّقَ بِهِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا» [الفردوس، ج ٣، ص ٢٨٥، ح ٤٨٥٦؛ مسند الشهاب، ج ٢، ص ٣٠٥، ح ٨٦٦].

(٩)- عن الإمام الرضا عليه السلام: «كَثْرَةُ الْمُحِبِّينَ مِنَ السَّعَادَةِ» [بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٣٠٣].

(١٠)- عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ... يَكُونَ خُلُطَاؤُهُ صَالِحِينَ» [الكافي، ج ٥، ص ٢٥٧، ح ١؛ كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٩٩، ح ٣٨٥].

(١١)- عن النبي ﷺ: «أَسْعَدَ النَّاسَ مَنْ خَالَطَ كَرَامَ النَّاسِ» [كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٨٢، ح ٨٣٦؛ معاني الأخبار، ص ١٩٦].



تأمين أبعاد أخرى من سعادته.

لذلك، يُعدُّ التواصل مع الآخرين أحد ضرورات حياة الإنسان، وقد وردت لذلك في المصادر الدينيّة توصيات كثيرة بشأن التواصل مع الآخرين، كما تم تقديم العديد من الإرشادات لتحسين العلاقات وتنظيم التواصل مع مختلف أفراد وفئات المجتمع. هدف هذا القسم من النصوص الإسلاميّة هو تحقيق علاقات ناجحة ومرضية، بنحو إذا ابتعد الفرد عن الناس اشتاقوا إليه، وإذا مات ذرفوا الدموع حزناً عليه، لا أن يحمدوا الله على رحيله! ^(١). أو على الأقل، أن تقلّ أضرار العلاقة إلى أدنى حد، ويضبط الاستياء. هذا هو ما أُشير إليه بـ(الرضا الاجتماعي). هذا النمط من العلاقات يتطلب أسلوباً ومهارات تم شرحها بالتفصيل في النصوص الدينيّة. وستحدث عن هذا الموضوع في الفصل الثامن.

(د) النظام الجيد

النظام السياسي أوسع نطاقاً من العلاقات الاجتماعية؛ إذ يشمل جميع أركان المجتمع. إنّ وجود النظام السياسي ووجود الحاكم يُعدُّ من ضروريات حياة الإنسان. يُعرف هذا المفهوم في الأدبيات الدينيّة بمصطلح (الولاية والإمامة).

(١) عن الإمام علي عليه السلام: «خالطوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مَثَمَ مَعَهَا بَكُوا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عَشِمَتْ غَبِثُمْ حَتَّى إِلَيْكُمْ» [نهج البلاغة، الحكمة ١٠].

إنَّ الإسلام، مع تأكيده على أعلى مراتب الإمامة والقيادة لتحقيق كمال الإنسان والمجتمع الإنساني، يشدّد أيضًا على ضرورة القيادة السياسية حتى في الظروف التي لا تتوفّر فيها القيادة المثالية. والإسلام مع فرضه على المسلمين واجب التمهيد لحكومة الصالحين، لا ينكر أبدًا حاجة المجتمع إلى القيادة السياسيّة. لا يسمح الإسلام للمجتمع الإسلامي بأن يغفل عن مسألة القيادة السياسيّة أو أن يستسلم للفوضى. جميع الروايات التي تؤكد على ضرورة وجود القيادة السياسيّة تُشير إلى أنّها أفضل من الفتنة والفوضى^(١).

لذلك، الخطوة الأولى نحو سعادة الإنسان هي وجود نظام سياسي. أمّا الخطوة الثانية والأهم فهي وجود نظام سياسيٍّ صالحٍ وعادل. الخطوة الأولى هي خطوة تهدف إلى إزالة الاستياء، بينما الخطوة الثانية تُعدّ خطوةً تكامليةً تهدف إلى تحقيق السعادة الحقيقية. ولهذا السبب يعدّ اتباع النبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته ﷺ في النصوص الإسلاميّة، من العوامل

(١)- قال الإمام علي عليه السلام في مقام الرد على شعار الخوارج «لا حُكَمَ إلّا لله: «كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ. نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكَمَ إلّا لله، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إلّا لله، وَإِنَّهُ لَا يَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ؛ يَعْمَلُ فِي أَمْرِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتَعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِي، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاخَ مِنَ فَاجِرٍ» [نهج البلاغة: الخطبة ٤٠].



الرئيسة لتحقيق السعادة^(١). أمّا مواصفات الحكومة الجيدة، فهو موضوع يتطلب دراسة منفصلة. ما يهمنا هو أنّ النظام السياسي يُعدّ أحد العوامل المؤثرة في تحقيق الرضا، وأحد الأبعاد المهمة للحياة الطيبة.

٥. بناء الرضا

في مناقشة بناء الرضا، الهدف هو تحديد مكونات وعناصر الرضا. من خلال ما سبق، يتبيّن أنّ الحياة الطيبة تتألف من أربعة أبعاد رئيسة: تقدير جيّد يشمل التقديرات السارة (النعم)، والتقديرات غير السارة (المصائب والتكاليف)، ومعيشة جيدة، وعلاقات جيّدة، ونظام جيّد.

النقطة المهمة هنا هي أنّ الأبعاد الأربعة للحياة الطيبة تنقسم إلى قسمين رئيسيين: التقدير الجيد، ومجالات الحياة الطيبة.

(١) عن علي بن عبد الله، قال: سأل رجل عن قوله تعالى: «فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى»، قال: «من قال بالأئمة، واتبع أمرهم، ولم يجز طاعتهم» [الكافي، ج ١، ص ٤١٤، ح ١٠].
عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أنّه سأل أباه عليه السلام عن قول الله (عز وجل): «فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى» قال: «قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس! اتبعوا هدى الله تهتدوا و ترشدوا، وهو هداي وهدي علي بن أبي طالب، فمن اتبع هداي في حياتي، وبعد موتي، فقد اتبع هداي، ومن اتبع هداي، فقد اتبع هدى الله ومن اتبع هدى الله «فلا يضل ولا يشقى» [بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ١٤٩، ح ٣٠].

وعن النبي ﷺ: «يا بني عبد المطلب! أطعوا عليّاً، واتبعوه، وتولّوه، ولا تخالفوه، وأبرؤوا من عدوه، وآزروه، وأنصروه، وأقتدوا به؛ ترشدوا وتهتدوا وتسعدوا» (كتاب سليم بن قيس، ص ٩٠٧، ح ١٢).
النبي ﷺ: «ألا إنّ السعيد كلّ السعيد من أحبك وأخذ بطريقك، ألا إنّ الشقيّ كلّ الشقيّ من خالفك وزغّب عن طريقك، إلى يوم القيامة» [الأمالي، الطوسي، ص ٤٩٨، ح ١٠٩٣].
سلمان الفارسي: «خرّج رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفة، فقال لعلي عليه السلام: إنّ السعيد كلّ السعيد حقّ السعيد، من أطاعك وتولّك من بعدي» [الأمالي، المفيد، ص ١٦١، ح ١٣].

يعود ذلك إلى أنّ تقديرات الحياة ليست عنصراً موازياً للعناصر الأخرى، بل تأتي فوقها وتؤثّر عليها. بمعنى أنّ كلّ مجالٍ من مجالات الحياة يمتلك أبعاد التقدير الثلاثة: فمن جهةٍ يكون في حالة سارّة أو غير سارّة، ومن جهةٍ أخرى، له تكليفه الخاصّ.

لذلك، فإنّ التقدير الإلهي هو حالةٌ شاملةٌ تُلقِي بظلالها على جميع الأبعاد المذكورة أعلاه أو الأبعاد المحتملة الأخرى. يمكن القول إنّ الأبعاد الاجتماعية والمعيشية والسياسية للحياة هي أمورٌ يكون للإنسان دورٌ أكبر فيها، مع أنّ كلّ شيءٍ يقع ضمن إرادة الله تعالى، بينما يكون للتقدير دورٌ يتعلّق أكثر بمشيئة الله، مع تأثيرٍ محدودٍ للإنسان فيه.

بناءً على ذلك، قد يكون يكون الدور الأساس لله تعالى في موضوع التقدير، أمّا في الأبعاد الثلاثة الأخرى، يكون الدور الأساس للإنسان. وبمعنى آخر، الإنسان له دورٌ في تحقيق الرضا عن الحياة، وعليه القيام بأعمالٍ معيّنة لكي يحقّق الله له الحياة الطيّبة. أمّا في موضوع التقدير، فإنّ الله تعالى يقدر للإنسان أموراً تتعلّق بأحد الأبعاد الثلاثة، ويجب على الإنسان أن يتعامل معها بردّ فعلٍ مناسب. هذا هو تصوير لمواقف الحياة.

المهم بعد ذلك هو أنّ ردود فعل الإنسان في كلّ موقفٍ من هذه المواقف تدخل مفاهيم جديدة في النقاش، (الخير المدرك) يؤثّر على مستويين:



- في المستوى الأوّل، يؤدّي إلى الشعور بالرضا.

- في المستوى الأدنى والأكثر واقعية، يجعل الفرد في الجانب السارّ يرى جميع ما يمتلكه في حياته ويعدّها نعمًا وهدايا من الله فيشتمّها، ثم يشكر الله عليها (الشكر). وفي الجانب غير السارّ، يرى الإنسان الآلام ومصاعب المصيبة والتكليف في مصلحته ويصبر عليها، ممّا يؤدّي إلى تحقّق (الصبر).

والمحور المهم الآخر هو أنّه في مناقشة الحياة الطيّبة هناك مقامان: أحدهما مقام (التقدير)، والآخر مقام (التحقّق). مقام التقدير يختلف عن مقام التحقّق. الله سبحانه وتعالى يقدر كلّ شيء، وهو ما نطلق عليه (الخير المقدّر)، ولكن ليس كلّ ما يقدره الله يتحقّق في حياة الإنسان. تحقّق ذلك مشروط (تقدير مشروط)، وشرطه هو استجابة الإنسان المناسبة. وعليه فإنّنا في مناقشة الحياة الطيّبة، أمام ثلاث مراحل: التقدير، والاستجابة، والتحقّق. نوع استجابة الإنسان هو الذي يحدّد تحقّق الخير أو عدمه. الاستجابة المناسبة تؤدّي إلى تحقّق التقدير وهو ما نطلق عليه الخير المؤثّر، والاستجابة غير المناسبة تؤدّي إلى عدم تحقّقه.

الاستجابة المناسبة للخير المقدّر عمليةٌ معقّدةٌ ولها أنواعٌ متعدّدة. أحد هذه الأنواع هو الاستجابة النفسية للتقدير. هذه الاستجابة لها مستويان: المستوى الأوّل هو الاستجابة العامّة تجاه تقدير الله، والمستوى الثاني هو الاستجابة المتعلّقة

بالمواقف الثنائية (السارة وغير السارة). الاستجابة العامة هي الرضا، والاستجابات المتعلقة بالمواقف هي الشكر والصبر، كما أُشير إليها سابقاً.

ما يفسّر تقسيم الاستجابة النفسية إلى مستويين هو نوع العلاقة بين القضاء والقدر وأبعادهما الأربعة. هناك تقديرٌ عامٌّ يظهر في شكلين: السارّ وغير السارّ. هذا النوع من التقدير يؤدي إلى نوعين من التقييم. عندما يتمّ تقييم الخير المقدّر ككل، من دون النظر إلى تفاصيل الأبعاد، يحدث الرضا عن التقدير. وعندما يتمّ تقييم أبعاده الثنائية، ينشأ الشكر في الجوانب السارة والصبر في الجوانب غير السارة.

النوع الآخر من الاستجابة هو الاستجابة العملية، وهي جزءٌ آخر يحدّد بناء الرضا. في تصميم الله تعالى، بالإضافة إلى التقدير، هناك دورٌ للاستجابة العملية وجهود الإنسان ضمن عملية تحقيق الحياة الطيّبة. بناءً على ذلك، يجب على الإنسان أن يسعى لتأمين الحياة الطيّبة التي قُدرت له، أو بعبارةٍ أخرى أن يبينها. السبب في ذلك أنّ الله يقدر، والإنسان يجب أن يسعى للوصول إلى ما قُدر له. بعبارةٍ أخرى، في مجال التقدير الإلهي، الأمر المهمّ هو أن نؤمن بخيريته ونقبله - كما تمّ توضيحه سابقاً - ولكن عندما تنتقل إلى مجالات الحياة، إلى جانب التقدير، يُطرح دور الفرد في تحقيق الخير، بمعنى أنّه يجب عليه أن يسعى في إطار إرادة الله لبناء حياةٍ طيّبة. من خلال ضرب



التقدير الجيّد في البناء الجيّد، تتحقّق الحياة الطيِّبة.

إزاء تقدير الله، هناك نوعان من الاستجابة لدى الإنسان: الأولى هي الاستجابة النفسيّة (الرضا، والشكر، والصبر)، والثانية هي الاستجابة العمليّة (السعي لبناء الحياة الطيِّبة). عندما يتحقّق هذا الأمر، يتحوّل الخير المقدّر إلى خير مؤثّر، ويؤدّي الخير المؤثّر إلى تشكيل حياة طيِّبة، ممّا يثمر في النهاية عن رضا ثانوي عن الحياة. الرضا الأوّل هو الرضا عن التقدير الخير، والرضا الثاني هو الرضا عن تحقّق الخير (الحياة الطيِّبة).

بناءً على ما سبق، إذا أراد الخير المقدّر أن يتحقّق في الحياة ويشكل حياة طيِّبة قائمةً على الخير، فإنّه يعتمد من جهة على: الرضا العامّ عن التقدير، والشكر في الحالات السارّة، والصبر في الحالات غير السارّة، ومن جهة أخرى، يعتمد على: بناء الحياة. ثم إنّ تحقّق الحياة الطيِّبة يُنتج أيضاً رضا ثانوياً عن الحياة.

خلاصة الفصل

إنَّ السعي وراء السعادة والهناء هو الهدف النهائي للإنسان، وتحقيق أيِّ هدفٍ آخر ليس إلَّا وسيلة للوصول إلى هذا الغاية. تتكون السعادة من بعدين:

البُعد العاطفي: ويتضمَّن المشاعر الإيجابية الكثيرة، والمشاعر السلبية القليلة.

البُعد المعرفي: الذي يشير عادةً إلى الرضا عن الحياة.

من المهمَّ التمييز بين الرضا عن الحياة والسعادة، إذ يُنظر إلى الرضا عن الحياة في علم النفس كأمرٍ معرفيٍّ وتقييميٍّ ينتج عن مقارنة بين الطموحات والإنجازات. كلما قلَّت الفجوة بين الطموحات والواقع الحالي، زاد الشعور بالرضا، والعكس صحيح.

أمَّا في الثقافة الإسلامية، فإنَّ الرضا يتكوَّن من:

١. التطابق: أي توافق الوضع الحالي مع الوضع المتوقع.

٢. القبول: أي قبول الوضع والتسليم به.

٣. الرضا: أي الشعور بالسعادة، أو على الأقل عدم الشعور بعدم الرضا.

تشير الدراسات إلى أنَّ (الخير المدرك) هو الأساس النظري للرضا في الإسلام. وهذا يعني أنَّ اعتماد الحياة على الخير



الحقيقي يشكّل أساس الرضا. وهذا يشير إلى أنّ النظام النفسي للإنسان مصمّم بطريقة تجعله يستجيب بالرضا للخير المدرك. ومن ثمّ إذا قيّم الإنسان حياته على أنّها جيدة، فإنّه يحقق الشعور بالرضا في نفسه.

من منظور الإسلام، لا يُنظر إلى الرضا بوصفه ظاهرةً نفسيةً بحتة؛ بل بوصفه ظاهرةً نفسيةً مرتبطةً بالواقع. نُطلق على هذا (الرضا الواقعي). في هذه النظرية، الرضا الصحيح هو الذي يتطابق مع الحقائق، وأيّ رضا لا يمتلك هذا التوافق ليس رضاً صحيحاً؛ بل هو مجرد شعور غير مستقرّ ومضللٍ قد يؤدي بالإنسان لاحقاً إلى الفشل والانهايار.

إذا أردنا رؤية الرضا بشكلٍ ملموسٍ في الحياة، يجب أن ننظر إلى أبعاد الحياة الطيبة والخير فيها. تشمل هذه الأبعاد أربعة أمور:

التقدير: الأحداث السارة (النعمة) وغير السارة (المصيبة) في الحياة، بالإضافة إلى التكاليف التي تكون نتيجتها الطاعة أو المعصية.

المعيشة: الجانب الاقتصادي للحياة.

العلاقات: التواصل والتفاعل مع الآخرين.

السياسة: النظام السياسي والاجتماعي السائد في المجتمع.

بالتالي، الحياة الطيبة هي مزيجٌ من التقدير الجيد، والعلاقات

الجيدة، والمعيشة الجيدة، والنظام الجيد.

يتّضح ممّا سبق أنّ الخير المدرك يجلب الرضا، بينما الشر يسبّب السخط. إذا عدّ الإنسان شيئاً شراً، فإنّه يشعر بعدم الرضا عنه، وإذا عدّه خيراً، فإنّه يرضى به. ومن ثمّ، فإنّ الخير هو الأساس النظري للرضا، وامتلاك الحياة الطيّبة هو العامل الرئيس له.

هذه القاعدة تنطبق على المجالات الثلاثة للحياة:

١. مجال المعيشة.

٢. مجال العلاقات الاجتماعية.

٣. مجال النظام السياسي.

ما يهمّ هو أنّ الخير يجلب الرضا، وهذا الخير قد يكون في تقدير الله الشامل أو في المجالات المعيشة، أو مجالات العلاقات الاجتماعية، أو المجالات السياسيّة.

في مجال التقدير الإلهي، يجب أن نؤمن بخيريّة التقدير ونقبله. ولكن عند الانتقال إلى مجالات الحياة، يصبح دور الفرد في تحقيق الخير أمراً أساسياً، ممّا يعني أنّه يجب أن يسعى في إطار إرادة الله لبناء حياة طيّبة. هذا الموضوع سيتمّ تناوله في مناقشة عوامل الرضا.

الفصل الثالث

استراتيجية الخير

(المتطلبات الأساسية)

الفصل الثالث

استراتيجية الخير (المتطلبات الأساسية)

في التعريف السابق، تبين أنَّ الرضا يتكوّن من ثلاثة عناصر: المطابقة، والقبول، والسرور. كما أُشير إلى أنَّ الأساس النظري للرضا هو (الخير المُدرَك). بناءً على ذلك، يمكن القول إنَّ استراتيجيّات الرضا تشمل: الانطباق، والخير، والقبول، والسرور. في هذا الفصل والفصل التالي، سنتناول استراتيجية الخير، وفي الفصول اللاحقة سنناقش الاستراتيجيّات الأخرى.

كما ذكر سابقاً، تُظهر الدراسات أنَّ الخير المُدرَك هو أساس الرضا في الإسلام؛ أي أنَّ اعتماد الحياة على الخير الحقيقي هو العامل الأساسي للرضا. هذه القاعدة تنطبق على المجالات الثلاثة للحياة، بمعنى أنَّ إدراك الخير يوجب الرضا بنحو عام، سواء أكان في تقدير الله أم في نطاق المعيشة، أم نطاق العلاقات الاجتماعية والنظام السياسي.

في مجال التقدير الإلهي، المهم هو أنَّ نؤمن بخيريّة هذا التقدير ونقبله. ولكن عندما ننتقل إلى مجالات الحياة، تتغير القضية. أولاً، بجانب التقدير، يظهر دور الفرد في تحقيق الخير؛ بمعنى أنَّه يجب عليه السعي لبناء حياة طيبة ضمن إطار إرادة



الله. في هذه الحالة، (التقدير الجيّد مع البناء الجيّد) تتحقّق حياة طيِّبة، وعلى الفرد أن يدركها ويؤمن بها للوصول إلى الرضا. بعبارة أخرى، في جانب التقدير، يجب أن يكون لدينا إيمانٌ بخيريّة التقدير. أمّا في جانب أبعاد الحياة، فعلينا أن نبني حياة طيِّبة. ثانيًا، يجب أن يمتلك الفرد القدرة على اكتشاف وتحديد الخير الموجود في حياته. بعبارة أخرى، في جانب التقدير، يجب أن نؤمن بخيريّة التقدير، وهو ما نسّميه الإيمان بالخير. أمّا في جانب أبعاد الحياة، فمن جهة علينا أن نبني حياة طيِّبة وهو ما نسّميه (تحقيق الخير)، ومن جهة أخرى علينا أن نتعرّف على الخير الموجود وهو ما نسّميه (اكتشاف الخير). بناءً على ذلك، فإنّ الرضا هو مزيجٌ من الإيمان بالخير، وتحقيق الخير، واكتشاف الخير.

فعاليّة هذه المبادئ الثلاثة تتطلّب ثلاثة أمورٍ أساسيّة:

١. معرفة الخير.
٢. معرفة الحوائج.
٣. النزعة نحو الخير في التقييم.

من دون التعرّف على الخير الحقيقي والتميز بينه وبين الخير الوهمي، ومن دون وجود قائمةٍ حقيقيّةٍ بالحوائج اللازمة لحياة ناجحة، لن يتمكن الإنسان من تحقيق الإيمان بالخير أو اكتشافه

أو تحقيقه. بالإضافة إلى ذلك، لما كان الرضا في حقيقته حكماً وتقويماً للحياة، فيجب أن يكون نموذج هذا الحكم قائماً على النزعة نحو الخير؛ لذلك، فإن معرفة الخير، ومعرفة الحوائج، والنزعة نحو الخير في التقييم، هي متطلبات أساسية للرضا.

الآن نناقش هذه المتطلبات الثلاثة:

١. معرفة الخير

للوصول إلى الرضا، نحتاج إلى معرفة مصاديق الخير بنحو ملموس. يجب أن يعرف الفرد ما هو الخير في حياته حتى يتمكن من تقييم حياته بناءً عليه أو السعي لتحقيقه. من بين القدرات اللازمة لتحقيق الرضا، القدرة على التعرف على الخير وتمييزه عن الشر، وهي إحدى الميزات التي تميز الإنسان عن الحيوان^(١)؛ لذلك، فإن إحدى مهام النصوص الدينية هي تعريف الخير والشر. ولأن الوحي مطلع على المصالح والمفاسد الحقيقية للإنسان، فهو أفضل وأوثق مصدر لمعرفة الخير^(٢).

خُصِّصَتْ بعض النصوص الدينية لهذا الموضوع. قدّم الله تعالى والمعصومون (عليهم السلام) معلومات شاملة حول الخير وأبعاده المختلفة. جمع كتاب (الخير والبركة في القرآن والحديث)

(١)- قال علي (عليه السلام): «مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْبَهِيمَةِ» [الكافي، ج ٨، ص ٢٤، ح ٤٤].

(٢)- قال علي (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيَّنَّ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا عَنِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا» [نهج البلاغة، الخطبة ١٦٧].



الروايات حول هذا الموضوع وصنّفها بشكلٍ ملائم. كما أنّ النصوص الدينيّة الأخرى تتناول أبعاد الخير في التقديرات التكوينيّة والتشريعيّة لله. من هنا، فإنّ القرآن والحديث هما مصدران أساسيان لمعرفة الخير؛ لذلك، يجب أن يستعين الإنسان بالنصوص الدينيّة لاكتشاف الخير.

مع ذلك، يجب أن نلاحظ أنّ الثروة والممتلكات، مع كونها إحدى مصاديق الخير بلا شك، فهي ليست كلّ الخير ولا أعظمه قيمة. عندما سُئل الإمام عليّ عليه السلام عن ماهية الخير، قال: «لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعِظَمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدَتَ اللَّهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرَتَ اللَّهَ»^(١).

في هذه الرواية، ذُكرت أمور مثل: العلم، والحلم، وعبادة الله، وحمد الله، والاستغفار لله بوصفها مصاديق للخير، ممّا يدلّ على أنّ حصر الخير في الأمور المادية هو خطأ، وأحد أسباب عدم الرضا. ومن ثَمَّ، فإنّ أحد الطرق الفعّالة لتحقيق الرضا هو التعرّف على موارد الخير ومصاديقه، التي سنناقشها باختصار فيما يأتي:

في بعض الروايات، ورد ذكر أمور بوصفها خير الدنيا والآخرة، وأهمّها:

(١)- نهج البلاغة، الحكمة ٩٤؛ تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٢٤؛ حلية الأولياء، ج ١، ص ٧٥؛ كنز العمال، ج ١٦، ص ٢٠٨، ح ٤٤٢٣٣.

- لسانُ ذاكِرُ لله، وذكرُ مخصوصٌ لأغراضٍ معيَّنة^(١).

- قلبُ شاكِرٍ وخاشعٍ، وجسدُ صابرٍ على البلاء، وزوجةٌ أُمينةٌ على العرض والمال^(٢).

- التوكُّل على الله^(٣).

بعض هذه الأمور وردت تحت مصطلح (جوامع الخير)، وهي صفاتٌ إذا تحلَّى بها الإنسان، فإنَّه يحقق باقي القيم الأخلاقية والعملية. وأهمّها:

(١)- قال النبي ﷺ: «مَنْ أَعْطَى لِسَانًا ذَاكِرًا فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [الكافي، ج ٢، ص ٤٩٩، ح ١].

وروي عن النبي ﷺ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، مَنْ قَالَهَا نَظَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [معجم السفر، ص ١٨٤، ح ٥٨٧؛ الفردوس، ج ٥، ص ١٠، ح ٧٢٨٥].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَكُونُ بِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ وَإِذَا كَرِهْتُمْ وَأَغْمَمْتُمْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ بِهِ فَفَرَّجَ عَنْكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّنَا لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ ادْعُوا بِمَا بَدَأَ لَكُمْ» [المحاسن، ج ١، ص ١٠٠، ح ٧١؛ الدعوات، ص ٥٦، ح ١٤٣].

(٢)- وعن النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَبَدَنًا عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرًا، وَزَوْجَةً لَا تَبْغِيهِ خَوْنًا فِي نَفْسِهَا وَلَا مَالِهِ» [المعجم الكبير، ج ١١، ص ١٠٩، ح ١١٢٧٥؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٩٠؛ مشكاة الأنوار، ص ٤٨١، ح ١٦٠٠].

وعنه عليه السلام: «قَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ لِلْمُسْلِمِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَعَلْتُ لَهُ قَلْبًا خَاشِعًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَجَسَدًا عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُسَرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا، وَتَحْفَظُهُ إِذَا غَابَ عَنْهَا فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ» [الكافي، ج ٥، ص ٣٢٧، ح ٢].

وعنه عليه السلام: «خَصَلْتَانِ مَنْ رَزَقَهُمَا قَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: مَنْ إِذَا أَبْثَلِي صَبَرَ، وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ» [تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ٢٤٧].

وعن الإمام علي عليه السلام: «الْحَيْرُ الَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ: الشُّكْرُ مَعَ التَّعَمُّ، وَالصَّبْرُ عَلَى النَّازِلَةِ» [تحف العقول، ص ٢٣٤].

(٣)- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ثَلَاثَةٌ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِنَّ نَالَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بُعَيْتَهُ: مَنْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ، وَرَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ» [تحف العقول، ص ٣١٦].

عبادة الله، وجزاء الأعمال، وإجابة الدعاء من الله، وحبّ الخير للآخرين كما يحبّه لنفسه^(١)، وخشية الله^(٢)، والحبّ والبغض لأجل الله^(٣)، ومعرفة أهل البيت (عليهم السلام وولايتهم)^(٤)، والإحسان^(٥). والقيام بالأعمال الباقية والابتعاد عن الأمور الزائلة^(٦)، وحبّ الإسلام والمسلمين والفقراء ومجالستهم، وعدم اليأس من الأشرار (لعلهم يصبحون صالحين)، وعدم الأمن من الأخيار (لعلهم ينحرفون)، والامتناع عن الانشغال بعيوب الآخرين^(٧)، والعبرة، والصمت المتأمل،

(١)- وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «أَوْحَى اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) إِلَى آدَمَ (عليه السلام): يَا آدَمُ! إِنِّي أَجْمَعُ لَكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ؛ وَاحِدَةً لِي، وَوَاحِدَةً لَكَ، وَوَاحِدَةً فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَوَاحِدَةً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ: فَأَمَّا الَّتِي لِي: فَتَعْبُدُنِي وَلَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا؛ وَأَمَّا الَّتِي لَكَ: فَاجْزِكْ بِعَمَلِكَ أَحَدًا مَا تَكُونُ إِلَيْهِ. وَأَمَّا الَّتِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ: فَعَلَيْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَيَّ الْإِجَابَةُ. وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ: فَتَرْضَى لِلنَّاسِ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ» [كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٥، ح ٥٨٧٧؛ الكافي، ج ٢، ص ١٤٦، ح ١٣؛ الخصال، ص ٢٤٣، ح ٩٨؛ معاني الأخبار، ص ١٣٧].

(٢)- وعن النبي (صلى الله عليه وآله): «جَمَاعُ الْخَيْرِ خَشْيَةُ اللَّهِ» [تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ١٢٢].

(٣)- وعن الإمام علي (عليه السلام): «جَمَاعُ الْخَيْرِ فِي الْمُوَالَاةِ فِي اللَّهِ، وَالْمُعَادَاةِ فِي اللَّهِ، وَالْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ، وَالبُغْضِ فِي اللَّهِ» [غرر الحكم، ح ٤٧٨١].

(٤)- وعن النبي (صلى الله عليه وآله): «مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَعْرِفَةِ أَهْلِ بَيْتِي وَوَلَايَتِهِمْ، فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ» [الأمالي، الصدوق، ص ٥٦٠، ح ٧٥١؛ بشارة المصطفى، ص ١٧٦].

(٥)- وعن الإمام علي (عليه السلام): «جَمَاعُ الْخَيْرِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ» [غرر الحكم، ح ٤٧٩٦].

(٦)- وعن الإمام علي (عليه السلام): «جَمَاعُ الْخَيْرِ فِي الْعَمَلِ بِمَا يَبْقَى، وَالِاسْتِهَانَةِ بِمَا يَبْقَى» [م.ن، ح ٤٧٣٥].

(٧)- وعن النبي (صلى الله عليه وآله): «سَبْعُ خِصَالٍ مِنْ جَوَامِعِ الْخَيْرِ: حُبُّ الْإِسْلَامِ، وَأَهْلِهِ، وَالْفُقَرَاءِ، وَمُجَالَسَتُهُمْ، وَلَا تَيَأَسَ مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ عَلَى شَرٍّ فَيَرْجِعْ إِلَى خَيْرٍ فَيَمُوتَ عَلَيْهِ، وَلَا تَأْمَنَ رَجُلًا يَكُونُ عَلَى خَيْرٍ فَيَرْجِعْ إِلَى شَرٍّ فَيَمُوتَ عَلَيْهِ. لِيَسْغَلَكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ» [الفرودس، ج ٢، ص ٣٣١، ح ٣٤٩٤؛ كنز العمال، ج ١٥، ص ٩٠٨، ح ٤٣٥٦٩].

والكلام الذي يذكر بالله^(١)، واستشارة الناصحين^(٢)، وإيصال النعمة للآخرين، والوفاء بالعهود، وصلة الرحم^(٣)، ومعرفة النفس^(٤)، ضبط النفس^(٥)، وقطع الأمل عن الناس^(٦)، وإدخال السرور على المؤمنين^(٧).

ربما يمكن جمع هذه الأمور كلها تحت مفهوم (التدين). فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنَّ من كان متديناً، فقد رزق خير الدنيا والآخرة، وهذا لأنَّ جميع هذه الأمور أو غيرها ممَّا لم يُذكر، قد وردت في معارف الدين. بناءً على ذلك، إذا عمل الإنسان بالدين حقاً، فإنَّه يحقق جميع هذه الأمور.

المهم هو أنَّ الخير ليس محصوراً في الأمور الماديّة

(١)- وعن الإمام علي عليه السلام: «جُمِعَ الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: النَّظَرُ وَالسُّكُوتُ وَالْكَلَامُ. فَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ اعْتِبَارٌ فَهُوَ سَهْوٌ، وَكُلُّ كَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَغْوٌ، وَكُلُّ سُكُوتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرٌ فَهُوَ غَفْلَةٌ. فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ نَظَرُهُ عِبْرًا، وَسُكُوتُهُ فِكْرًا، وَكَلَامُهُ ذِكْرًا، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ وَأَمِنَ النَّاسَ شَرَّهُ» [كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٥، ح ٥٨٧٦؛ معاني الأخبار، ص ٣٤٤، ح ١].

(٢)- وعن الإمام علي عليه السلام: «جَمَاعُ الْخَيْرِ فِي الْمُشَاوَرَةِ، وَالْأَخَذِ بِقَوْلِ النَّصِيحِ» [غرر الحكم، ح ٤٧٦٩].

(٣)- وعن الإمام علي عليه السلام: «ثَلَاثُ هُنَّ جَمَاعُ الْخَيْرِ: إِسْدَاءُ النِّعَمِ، وَرِعَايَةُ الذَّمِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ» [غرر الحكم، ح ٤٦٧٥].

(٤)- وعن الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ» [الإرشاد، ج ١، ص ٢٣١؛ تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ١١٥].

(٥)- وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «الْخَيْرُ كُلُّهُ صِيَانَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ» [تحف العقول، ص ٢٧٨].

(٦)- «رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِي قِطْعِ الطَّعْمِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ» [الكافي، ج ٢، ص ١٤٨، ح ٣، وص ٣٢٠، ح ٣].

(٧)- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَا عَلَيَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَبَالَ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِالْيسِيرِ». قَالَ الرَّاوي: قُلْتُ: بِمَاذَا، جُعِلَتْ فِدَاكَ؟ قَالَ: «يُسْرُنَا بِإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شَيْعِنَا» [قضاء حقوق المؤمنين، ص ٢٠، ح ١٦؛ رجال النجاشي، ج ٢، ص ٢١٦، ح ٨٩٤].



والحسّية، بل يشمل طيفاً واسعاً من الأمور. بناءً على ذلك، في نظرية الخير المُدرَك، فإنّ الخير له مفهوم ومصاديق واسعة، والاهتمام به يمكن أن يبعث شعور الرضا.

٢. معرفة الحوائج

للوصول إلى الرضا في الحياة، يحتاج الإنسان إلى موارد متعددة، ولكن تحديد ماهية هذه الموارد هو مسألة حاسمة، إذ إنّ الخطأ في هذا التحديد يؤدي إلى الشعور بعدم الرضا. إنّ قائمة النعم هي العنصر الذي من خلاله يتمّ قياس مدى التمتع أو الحرمان، كما أنّها تحدّد اتجاه الجهد والنشاط البشري.

بعض الأشخاص يرون أنّ ما يمتلكونه في الحياة يقتصر على الأمور الماديّة؛ ولذلك فإنّ معيار تقييمهم وقياسهم يعتمد على امتلاك أو عدم امتلاك الموارد الماديّة. بناءً على ذلك، عندما تنقص الموارد الماديّة، فإنّهم لا يأخذون في الاعتبار الموارد غير الماديّة، ممّا يجعلهم يشعرون بأنّهم محرومون. لكن في الواقع، عندما يتمّ تقييم الموارد وفقاً لمقياس الإنسان، تظهر أيضاً مصاديق غير ماديّة؛ لذا، مع وجود الموارد غير الماديّة، لا يمكن الشعور بالحرمان وعدم الرضا بنحو كامل. كما أنّه لا يمكن تجاهل تأمين هذا الجزء من الموارد؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى الشعور بعدم الرضا الحقيقي. بناءً على ذلك، فإنّ أحد عوامل الرضا هو تصحيح قائمة الموارد استناداً إلى الحقائق الإنسانيّة.

نظراً لأنَّ الإنسان يمتلك بُعداً غير مادّي، وهدفاً يتجاوز التمتع الدنيوي، فإنَّ ما يمتلكه يشمل أيضاً أموراً غير ماديّة. الحقيقة هي أنَّ حياة الإنسان - لا سيّما المؤمن - ليست فارغة. هناك العديد من النعم في حياة الإنسان التي يمكن أن تجلب له شعوراً بالسعادة، لكنّها تظلّ غير معروفة؛ ولذا لا تؤثر في حياته.

مع أنَّ الدين يعدّ الأمور الماديّة جزءاً من الموارد اللازمة للحياة، فإنّه يرفض حصر الموارد في هذه الأمور؛ ذلك لأنَّ الحديث هنا عن الإنسان، وليس عن الجمادات أو النباتات أو الحيوانات. بناءً على ذلك، فإنَّ ما يمتلكه الإنسان ويحتاجه في حياته يتم تعريفه بناءً على ماهيته. ومن جهة أخرى، لا ينبغي التوقّف عند الماديّات فحسب وإهمال الأمور غير الماديّة في مجال توفير الموارد.

المقصود بالمصاديق هو الموارد اللازمة لتحقيق الرضا. الحياة تحتاج إلى أمور (احتياجات)، يتم من خلالها تحقيقها (الموارد). بناءً على ذلك، ما يمتلكه الفرد من هذه الموارد يُسمّى (حوائج الحياة). ولكن السؤال الأوّل هنا هو: في أيّ مجالات يجب البحث عن حوائج الإنسان؟ وما هي الأمور التي تُعدّ حوائج بالنسبة للإنسان؟ هذه من أهمّ القضايا في تحقيق الرضا.

هناك من يشعرون بعدم الرضا الزائف؛ لأنّهم لا يدركون ما الذي يُعدّ جزءاً من حوائج الإنسان، وما الذي يمتلكونه بالفعل. وهناك أيضاً من يشعرون بالرضا الزائف؛ لأنّهم لا يعلمون ما الذي يُعدّ من الحوائج وما الذي يفتقرون إليه. إذا تمّ توعية



الناس بأنواع الأمور التي يمتلكونها، سيتم القضاء على مشاعر الرضا وعدم الرضا الزائفة. لذلك، فإنّ إعادة اكتشاف حوائج حياة الإنسان تؤدّي دوراً مهماً في تحقيق الرضا الصادق.

فيما يتعلّق بحوائج الحياة، هناك نصوص كثيرة وردت بمصطلحات مختلفة، تشمل هذه الكلمات المفتاحيّة: نعمة، سعادة، عيشة، راحة، وغنى. بسبب كثرة الروايات وتداخل المواضيع، سنبدأ أولاً بتحليل الروايات المتعلّقة بكلّ مصطلح، ثمّ نقوم بتصنيفها.

أولاً: الروايات حول النعمة

جزءٌ من هذه النصوص يجب البحث عنه في الروايات المتعلّقة بالنعمة. وقد بين القرآن الكريم بأنّ الله أعطى الإنسان كلّ ما طلبه، وأنّ نعمه لا تُحصى، ومع ذلك فإنّ الإنسان ظالمٌ وجاحد، لكنّ الله غفورٌ رحيم^(١)؛ ولهذا السبب، يشكر الإمام عليّ عليه السلام الله الذي يعجز المتحدّثون عن مدحه، ويعجز الحاسبون عن عدّ نعمه^(٢)، لذا أشار الإمام عليّ عليه السلام إلى كميل بن زياد بقوله: «يا كميل! إنّهُ لا تَخْلُو مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ (عزّ وجلّ) عِنْدَكَ

(١) - «وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَلْهُمَ كَفَّارٌ» (ابراهيم: ٣٤).

«وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ» (النحل: ١٨).

(٢) - الامام علي عليه السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَلْبُغُ مِدْحَتَهُ الْقَاتِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاهُ الْعَادُونَ» نهج البلاغة، الخطبة [١].

وَعَافِيَتِهِ، فَلَا تَخْلُ مِنْ تَحْمِيدِهِ وَتَمْجِيدِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَقْدِيسِهِ وَشُكْرِهِ
وَذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ^(١).

وذاث يوم سأل النبي ﷺ أمير المؤمنين ع: «ما أول نعمة
بلاك الله (عز وجل)، وأنعم عليك بها؟ قال: أن خلقني جلّ
ثناؤه. ولم أك شيئاً مذكوراً. قال: صدقت»^(٢).

وقد ذكّر الله (عزّ وجلّ) في القرآن الكريم بنعمه الظاهرة
والباطنة^(٣). في تفسير هذه الآية، تحدّث النبي ﷺ عن الإسلام،
والخلق الحسن والمنسجم للإنسان، وكذلك عن الرزق بوصفه
نعمةً ظاهرة، وعن ستر العيوب وعدم الفضيحة أمام الناس
بوصفه نعمةً باطنة.

الإمام الباقر ع وصف النعمة الظاهرة بالتوحيد ومعرفة

(١)- بشارة المصطفى، ص ٢٨.

(٢)- الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٥٢٢.

(٣)- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ
ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (لقمان: ٢٠).



الله، والنعمة الباطنة بولاية أهل البيت (عليه السلام). والإمام الكاظم (عليه السلام) أشار إلى أنَّ النعمة الظاهرة هي الإمام الحاضر، والنعمة الباطنة هي الإمام الغائب^(٢).

كما تحدّث الإمام علي (عليه السلام) عن حسن الخلق^(٣)، واجتناب المعصية^(٤)، وألّفه الناس بعضهم مع بعض كنعمة^(٥). وفي رواية أخرى، وذكرت النعم الآتية في ترتيب تصاعدي: المال، والصحة، وتقوى القلب^(٦).

(١)- وعن النبي ﷺ: «أما الظاهرةُ فما سوىُ من خلّقت، وأما الباطنةُ فما سترَ من عورتك، ولو أبداها لَفَلَاكَ أَهْلُكَ فَمِنْ سِوَاهُمْ» [الدرّ المثنور، ج ٦، ص ٥٢٥]. وعنه ﷺ: «أما الظاهرةُ فالإسلام، وما حسنٌ من خلّقت، وما أسعَى عَلَيْكَ مِنَ الرِّزْقِ، وأما الباطنةُ يا ابنَ عَبَّاسٍ فما سترَ عَلَيْكَ مِنْ عُيُوبِكَ» [كنز العمال، ج ٣٠٢٤].

وعن ابن عباس: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ظَاهِرَةٌ بِباطِنَةٍ﴾، فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! أَمَّا مَا ظَهَرَ فَالْإِسْلَامُ، وَمَا سِوَى اللَّهِ مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا أَفَاضَ عَلَيْكَ مِنَ الرِّزْقِ. وَأَمَّا مَا بَطَّنَ فَسِتْرُ مَسَاوِي عَمَلِكَ وَلَمْ يَقْضَحْ بِهِ، يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ثَلَاثَةٌ جَعَلْتُهُنَّ لِلْمُؤْمِنِ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ: صَلَاةُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ انْقِطَاعِ عَمَلِهِ، وَجَعَلْتُ لَهُ ثَلَاثَ مَالِهِ أَكْفَرُ بِهِ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَالثَّلَاثُ: سِتْرُ مَسَاوِي عَمَلِهِ، وَلَمْ أَفْضَحْ بِشَيْءٍ مِنْهُ وَلَوْ أَبْدَيْتَهَا عَلَيْهِ لَكَبَدَهُ أَهْلُهُ فَمِنْ سِوَاهُمْ» [مجمع البيان، ج ٨، ص ٥٠٠].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «النَّعْمَةُ الظَّاهِرَةُ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) وَتَوْحِيدِهِ، وَأَمَّا النَّعْمَةُ الْبَاطِنَةُ فَوَلَايَتُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَعَقْدُ مَوَدَّتِنَا» [م، ن، ص ٥٠١].

(٢)- عن الإمام الكاظم (عليه السلام): «النَّعْمَةُ الظَّاهِرَةُ الْإِمَامُ الظَّاهِرُ، وَالْبَاطِنَةُ الْإِمَامُ الْغَائِبُ» [كمال الدين، ص ٣٦٨، ج ٦].

(٣)- عن الإمام علي (عليه السلام): «كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا، وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيمًا» [نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٩].

(٤)- عن الإمام علي (عليه السلام): «إِنَّ مِنَ النَّعْمَةِ تَعَدُّرَ الْمَعَاصِي» [غرر الحكم، ج ٣٣٩٥].

(٥)- عن الإمام علي (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ سُحَّانَهُ قَدْ اِمْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ الَّتِي يَتَّقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كُنْفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً؛ لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ، وَأَجَلُ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ» [نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢].

(٦)- عن الإمام علي (عليه السلام): «إِنَّ مِنَ النَّعَمِ سَعَةُ الْمَالِ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ» [شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٩، ص ٣٣٧].

وأيضاً، أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى التوحيد في محبة الله بوصفه أعظم نعمة^(١). وفي روايات أخرى، وُصِفَت الصحة، والفراغ، والأمن بأنها نعم منسية^(٢). وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام، ذُكر أن المصائب التي يُصرفها الله عن الإنسان قبل وقوعها تعدّ نعمة أيضاً بالإضافة إلى ما يمنحه الله من عطايا وما يستتره من أخطاء^(٣).

ثانياً: النعمة في الأدعية

ورد في الأدعية المأثورة عن المعصومين (عليهم السلام) جزءٌ مهمٌّ من النعم، وشمولية هذه الأدعية دفعتنا لتخصيصها ببحثٍ مستقل:

دعاء كميل

في دعاء كميل: «اللَّهُمَّ وَمَوْلَايَ، كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ، وَكَمْ مِنْ فَادِحٍ مِنَ الْبَلَاءِ أَقْلَتُهُ، وَكَمْ مِنْ عِثَارٍ وَقَيْتُهُ، وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهِ دَفَعْتُهُ، وَكَمْ مِنْ ثَنَاءٍ جَمِيلٍ لَسْتُ أَهْلًا لَهُ نَشَرْتُهُ».

(١). عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما أنعم الله على عبدٍ أجلَّ من أن لا يكونَ في قلبه مع الله عز وجل غيرُهُ» [تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ١٠٨].

(٢). «نِعْمَتَانِ مَفْتُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الْفَرَاغُ وَالصَّحَّةُ» [الخصال، ص ٣٥، ح ٧؛ ميزان الحكمة، ج ١٣، ص ٦٣٥٨، ح ٢٠٣٦٧]. وفي حديث آخر: «نِعْمَتَانِ مَكْفُورَتَانِ: الْأَمْنُ وَالْعَافِيَةُ» [ميزان الحكمة، ج ١٣، ص ٦٣٥٨، ح ٢٠٣٦٩].

(٣). «لَمْ تَحُلْ مِنْ لُطْفِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ» [م.ن، ص ٦٥٣٠، ح ٢٠٣٤٠].



دعاء الجوشن الصغير

دعاء الجوشن الصغير هو دعاء ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام يتعلّق بموضوع الشكر، ويحتوي هذا الدعاء على مقاطع متعددة كلّما يذكر فيها الإمام نعمةً من نعم الله، يقول:

«فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ،
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعَمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ،
وَلَا لِأَثَمِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ».

المقاطع البارزة في الدعاء:

- في المقاطع الأولى حتى الثالثة، يشير الإمام عليه السلام إلى الأعداء المتربّصين وأصحاب الحيلة والحاسدين الذين ردّ الله شرّهم عليهم.

- في المقطع الرابع، يتحدّث الإمام عليه السلام عن الكروب التي انهمرت كالمطر، والتي أزالها الله وألبسه لباس العافية.

- في المقطع الخامس، يشير الإمام عليه السلام إلى تحقّق حسن الظنّ بالله ونعمه التي لا تنتهي رغم عصياننا له.

- في المقطعين السادس والسابع، يقارن حاله بمن يقتربون من الموت أو يعانون من الأمراض، وهو في عافيةٍ وصحة.

- في المقاطع من الثامن إلى الثاني عشر، يقارن حاله بمن

يعانون من الخوف، أو النفي، أو المعارك، أو الكوارث الطبيعية، بينما هو في أمان.

- في المقطع الثالث عشر، يقارن حاله بالفقراء والمحتاجين، وهو في رفاه وكرامة.

- في المقطع الرابع عشر، يقارن حاله بمن يعانون من العلل والإعاقات، وهو سالم بفضل الله.

- في المقطع الخامس عشر، يشير إلى المحتضرين الذين لا يملكون التحكم بمصيرهم، بينما هو في راحةٍ بلطف الله.

- في المقطع السادس عشر، يقارن حاله بالمعتقلين الذين يعانون من السجن والتعذيب، بينما هو في حرية.

- في المقطع السابع عشر، يشير إلى الأسرى الذين يرزحون تحت قيود الأعداء بعيداً عن أهلهم، بينما هو في حرية.

وفي نهاية الدعاء، يطلب من الله أن يغفر له ذنوبه ويقضي حاجاته.

دعاء يوم عرفة

١. في دعاء يوم عرفة، يذكر الإمام الحسين عليه السلام نعم الله بشكلٍ مفصّل، ومن بينها:

٢. عندما كنت عدماً، منحني الله نعمة الوجود.



٣. خلقتني من التراب، ثم حفظني في أصلاب الآباء من تقلبات الزمان والمصائب.
٤. بسبب رأفته بي، لم يخلقني في زمن أئمة الكفر، بل في عهد خاتم النبيين.
٥. أكرمني بنعمة الوجود وخلقني من نطفة، وأعطاني الحياة في رحم أمي بين اللحم والدم.
٦. أخرجني إلى الدنيا بخلقٍ متكاملٍ، وأوصلني إلى درجات المعرفة.
٧. حفظني عندما كنت طفلاً عاجزاً، ورزقني لبناً طيباً.
٨. جعل قلوب من حولي تمتلئ بالحنان والرعاية لي.
٩. صانني من الجن والشياطين بعطف الأمهات ورعايتهن.
١٠. أنعم عليّ بجسمٍ كاملٍ وخالٍ من العيوب.
١١. علّمني الكلام، وأكمل نعمه عليّ عامّاً بعد عام.
١٢. بلغني الكمال الجسدي والذهني، وألهمني معرفته في قلبي.
١٣. جعلني أنظر إلى روائع خلقه في السماوات والأرض.
١٤. ذكّرني بذكره، وشكر نعمه التي لا تُحصى.

١٥. رَضِيتَ لِي طَاعَتَكَ وَعِبَادَتَكَ، وَمُنَحْتَنِي فَهَمَ الْعُلُومِ وَالْحَقَائِقِ الَّتِي جَاءَ بِهَا أَنْبِيَائُكَ عِبْرَ الْوَحْيِ.

١٦. وَهَبْتَنِي رُوحًا عَظِيمَةً لَفَهَمِ وَقَبُولِ الْحَقَائِقِ، وَسَهَّلْتَ لِي سَبْعَةَ صَدْرِكَ الْوَصُولِ إِلَى مَقَامِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ، وَكُنْتَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النِّعَمِ مُعِينًا وَمُنَانًا.

١٧. وَبَعْدَ أَنْ خَلَقْتَنِي مِنْ أَفْضَلِ التَّرَابِ، لَمْ تَكْتَفِ بِإِرَاحَةِ نَفْسِي بِنِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِنِعَمٍ لَا تُحْصَى.

١٨. رَزَقْتَنِي كُلَّ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ وَالْأَدَوَاتِ اللَّازِمَةِ لِلْحَيَاةِ، وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ فَقْطَ مِنْ جُودِكَ الْإِلَهِيِّ وَإِحْسَانِكَ الْعَظِيمِ.

١٩. مَعَ أَنَّكَ أَكْمَلْتَ نِعْمَكَ عَلَيَّ، وَأَزَلْتَ كُلَّ مُصِيبَةٍ وَبَلَاءٍ عَنِّي، إِلَّا أَنَّ جَهْلِي وَجَرَأَتِي لَمْ يَمْنَعَاكَ مِنْ إِرْشَادِي وَتَقْرِيْبِي إِلَى مَقَامِ قُرْبِكَ بِإِبْعَادِ كُلِّ مَا يَجْلِبُ غَضَبَكَ.

٢٠. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ جَرَأَتِي وَذُنُوبِي، كُنْتَ تَسْتَجِيبُ لِي كُلَّمَا دَعَوْتُكَ، وَتَمْنَحُنِي كُلَّ مَا أَطْلُبُهُ مِنْكَ، وَتُعْطِينِي جَزَاءً كَامِلًا عِنْدَمَا أَطِيعُكَ.

٢١. إِذَا شَكَرْتُكَ زَدْتَ فِي نِعْمَتِكَ، وَهَذَا الْإِحْسَانُ كُلُّهُ لَتَكْمِلَ نِعْمَكَ عَلَيَّ:

٢٢. «فَسُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُبْدِيٍّ مُعِيدٍ حَمِيدٍ مَجِيدٍ،



وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ وَعَظُمَتْ آلَاؤُكَ. فَأَيَّ نِعَمِكَ يَا إِلَهِي
أُحْصِي عَدَدًا وَذِكْرًا، أَمْ أَيَّ عَطَايَاكَ أَقُومُ بِهَا شُكْرًا! وَهِيَ يَا
رَبِّ أَكْثَرُ (أكبر) مِنْ أَنْ يُحْصِيَهَا الْعَادُونَ أَوْ يَبْلُغَ عِلْمًا بِهَا
الْحَافِظُونَ».

٢٣. يَا رَبِّ! إِنَّ الْمَصَائِبَ الَّتِي صَرَفْتَهَا عَنِّي بِرَحْمَتِكَ أَكْثَرَ مِنْ
كُلِّ النِّعَمِ وَالْعَافِيَةِ الَّتِي أَرَاهَا ظَاهِرًا.

دعاء أبي حمزة الثمالي

دعاء أبي حمزة الثمالي، دعاء علّمه الإمام زين العابدين عليه السلام
لأبي حمزة. فِي هَذَا الدُّعَاءِ، تُذَكِّرُ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى غَالِبًا فِي
مَوَاضِعَ تَرَدَّدَ فِيهَا عِبَارَةُ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» وَمِنْهَا:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدْعُوهُ فَيَجِيبُنِي، وَإِنْ كُنْتُ بَطِيئًا حِينَ
يَدْعُونِي».

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي، وَإِنْ كُنْتُ بَخِيلًا حِينَ
يَسْتَقْرِضُنِي».

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنَادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَتِي، وَأَخْلُو بِهِ
حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي».

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَدْعُو غَيْرَهُ، وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ
لِي دُعَائِي».

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَرْجُو غَيْرَهُ، وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَخْلَفَ رَجَائِي».

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَكَّلَنِي إِلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي، وَلَمْ يَكْلَنِي إِلَى النَّاسِ فَيُهِينُونِي».

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَحَبَّبَ إِلَيَّ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِّي».

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْلُمُ عَنِّي حَتَّى كَأَنِّي لَا ذَنْبَ لِي، فَرَبِّي أَحْمَدُ شَيْءٍ عِنْدِي وَأَحَقُّ بِحَمْدِي».

«فَلَوْ اطَّلَعَ الْيَوْمَ عَلَى ذَنْبِي غَيْرُكَ مَا فَعَلْتُهُ، وَلَوْ خَفْتُ تَعْجِيلَ الْعُقُوبَةِ لَاجْتَنَبْتُهُ، لَا لِأَنَّكَ أَهْوَى النَّاطِرِينَ (إِلَيَّ)، وَأَخَفُّ الْمُطَّلَعِينَ (عَلَيَّ)، بَلْ لِأَنَّكَ يَا رَبَّ خَيْرُ السَّاتِرِينَ، وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (وَأَحْلَمُ الْأَحْلَمِينَ)، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، سَتَّارُ الْغُيُوبِ غَفَّارُ الذُّنُوبِ عَلامُ الْغُيُوبِ، تَسْتُرُ الذَّنْبَ بِكَرَمِكَ وَتُؤَخِّرُ الْعُقُوبَةَ بِحِلْمِكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وَعَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ».

«تُصِيبُ بِرَحْمَتِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي بِكَرَامَتِكَ مَنْ تُحِبُّ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا نَفَيْتَ مِنَ الشُّرْكِ قَلْبِي».

«وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى بَسْطِ لِسَانِي»

وغيرها...

ما ذكر أعلاه هو نماذج من النعم التي وردت في الأدعية، ومع مراجعة أدعية أخرى يمكن تحديد المزيد من هذه النعم.

ثالثاً: روايات السعادة

في روايات السعادة، وردت أمورٌ أخرى ذُكرت كعوامل للسعادة. فقد أشار النبي الأكرم ﷺ إلى الزواج^(١)، والولد الصالح^(٢)، والتشابه مع الأب^(٣)، والمركب^(٤) كعوامل للسعادة.

في بعض الأحاديث، تمّ تفصيل صفات عوامل السعادة، مما يُظهر أنّ هذه الأمور من دون هذه الصفات قد لا تكون نعمةً مكتملة، أو على الأقل قد تكون نعمةً غير مؤكدة. في حديث، أشار النبي ﷺ إلى الزوجة الصالحة، والبيت الواسع، والمركب السريع، والولد الصالح بوصفها أسباباً للسعادة في الدنيا^(٥). وفي حديث آخر، أشار إلى التشابه مع الأب، والجمال والدين كصفات للولد والزوجة^(٦).

(١)- «مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أُعْطِيَ نِصْفَ السَّعَادَةِ» [مستدرک الوسائل، ج ١٤، ص ١٥٤، ح ١٦٣٥٢].

(٢)- «مِنْ سَعَادَةِ الرَّجُلِ الْوَلَدُ الصَّالِحُ» [الكافي، ج ٦، ص ٣، ح ٦؛ عدة الداعي، ص ٧٦].

(٣)- «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُشَبِّهَ أَبَاهُ» [مسند الشهاب، ج ١، ص ١٩٩، ح ٢٩٩؛ الإصابة، ج ٣، ص ٢٠، ش ٦٠١٢].

(٤)- «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الْمَرْكَبُ الْهَنِيُّ» [الكافي، ج ٦، ص ٥٣٦، ح ٨؛ المحاسن، ج ٢، ص ٤٦٦، ح ٢٦١٥].

(٥)- «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيُّ وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ» [الجعفریات، ص ٩٩؛ مسند ابن حنبل، ج ١، ص ١٦٨؛ المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ١٤٤].

(٦)- «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يُشَبِّهَهُ وَلَدُهُ، وَالْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ ذَاتُ دِينٍ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيُّ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ» [قرب الإسناد، ص ٧٧، ح ٢٤٨].

وفي روايةٍ أخرى، عَدَّ النبي ﷺ الزوجة التي يكون النظر إليها باعثاً على السرور، والأمانة على العرض والمال في غياب زوجها، من أسباب السعادة. وعدَّ المركب الذي يسير بسرعة ويوصل الإنسان إلى أصحابه، والبيت الواسع المريح من أسباب السعادة أيضاً^(١).

وفي روايةٍ أخرى، أُضيف إلى المسكن والمركب، الجار الصالح^(٢). وفي حديثٍ آخر، ذكر النبي ﷺ أربعة أمور كان اثنان منها جديدين وهما: الأصدقاء الصالحون، والعمل في الوطن. كما أضاف صفة الانسجام والتوافق للزوجة^(٣). وفي روايةٍ أخرى، أضاف محبة آل محمد ﷺ إلى هذه العوامل الأربعة^(٤).

(١)- «ثَلَاثٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا تُعْجِبُكَ وَتَغِيبُ فِتَامُنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكٍ، وَالدَّابَّةُ تَكُونُ وَطِئَةً فَتُلْحِقُكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُونُ وَاسِعَةً كَثِيرَةَ الْمَرَافِقِ» [المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ١٧٦، ح ٢٦٨٤].

(٢)- «مِنْ سَعَادَةِ الْمُسْلِمِ سَعَةُ الْمَسْكَنِ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَيَّءُ» [الخصال، ص ١٨٣، ح ٢٥٢؛ مسند ابن حنبل، ج ٥، ص ٢٤٠، ح ١٥٣٧٢].

(٣)- «أَرْبَعَةٌ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ: الْخُلَطَاءُ الصَّالِحُونَ، وَالْوَلَدُ الْبَارُّ، وَالْمَرْأَةُ الْمُؤَاتِيَةُ، وَأَنْ تَكُونَ مَعِيشَتُهُ فِي بَلَدِهِ» [النوادر، الراوندي، ص ١١٠، ح ٩٣؛ الجعفریات، ص ١٩٤].
«أَرْبَعٌ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ: زَوْجَةٌ صَالِحَةٌ، وَوَلَدٌ أَبْرَارٌ، وَخُلَطَاءُ صَالِحُونَ، وَمَعِيشَةٌ فِي بِلَادِهِ» [جامع الأخبار، ص ١٠٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ثَلَاثَةٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الزَّوْجَةُ الْمُؤَاتِيَةُ، وَالْأَوْلَادُ الْبَارُونَ، وَالرَّجُلُ يُرْزَقُ مَعِيشَتُهُ بِبَلَدِهِ يَغْدُو إِلَى أَهْلِهِ وَيَرْجِعُ» [الكافي، ج ٥، ص ٢٥٨، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٢٣٦، ح ١٠٣٢].

(٤)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «خَمْسَةٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ، وَالتَّبَوُّنُ الْأَبْرَارُ، وَالْخُلَطَاءُ الصَّالِحُونَ، وَرِزْقُ الْمَرْءِ فِي بَلَدِهِ، وَالْحُبُّ لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ» [دعائم الإسلام، ج ٢، ص ١٩٥، ح ٧٠٦].



كما ذكر عليه السلام حُسن الخلق كعامل للسعادة^(١).

الإمام علي عليه السلام أشار إلى الجمال^(٢)، والسلامة من ألسنة الناس^(٣)، وحُسن السمعة بين الناس^(٤)، والعلم الذي يجلب القيمة في الدنيا والآخرة، والتقوى التي تؤدي إلى العظمة، والقناعة التي تحقق الغنى، والابتعاد عن الناس الذي يجلب الراحة في الدارين، وطاعة الله التي تُفضي إلى السلامة، وقبول الحق الذي يؤدي إلى التواضع، وترك الهوى الذي يجلب العيش الطيب، والكرم الذي يجعل الإنسان محموداً بين الناس كنعمة من نعم الله^(٥).

ومن عوامل السعادة ذكر الإمام زين العابدين عليه السلام التجارة في الوطن، والأصدقاء الصالحين، والأبناء الذين يُعينون

(١)- عن النبي ﷺ: «مَنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ حُسْنُ الْخُلُقِ» [مسند الشهاب، ج ١، ص ١٩٩، ح ٣٠٠؛ مشكاة الأنوار، ص ٣٩٣، ح ١٢٩٣].

(٢)- «حُسْنُ الصُّورَةِ أَوَّلُ السَّعَادَةِ» (غرر الحكم، ح ٤٨٠٣)، «وَالصُّورَةُ الْجَمِيلَةُ أَقْلُ السَّعَادَتَيْنِ» [غرر الحكم، ح ١٦٥٩].

(٣)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ سَلِمَ مِنَ أَلْسِنَةِ النَّاسِ كَانَ سَعِيدًا» [مطالب السؤل، ص ٥٦].

(٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «عُنَاوُنُ صَحِيقَةِ السَّعِيدِ حُسْنُ الشَّأْنِ عَلَيْهِ» (كشف الغمة، ج ٣، ص ١٣٧).

(٥)- وعن الإمام علي عليه السلام: «طَلِبْتُ الْقَدْرَ وَالْمَنْزِلَةَ فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِالْعِلْمِ؛ تَعَلَّمُوا يَعْظُمَ قَدْرُكُمْ فِي الدَّارَيْنِ. وَطَلِبْتُ الْكِرَامَةَ فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِالتَّقْوَى؛ اتَّقُوا لِتَكْرَمُوا. وَطَلِبْتُ الْغِنَى فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِالْقَنَاعَةِ؛ عَلَيْكُمْ بِالْقَنَاعَةِ تَسْتَغْنُوا. وَطَلِبْتُ الرَّاحَةَ فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِتَرْكِ مُخَالَطَةِ النَّاسِ إِلَّا لِقَوَامِ عَيْشِ الدُّنْيَا؛ ائْتَرَكُوا الدُّنْيَا وَمُخَالَطَةَ النَّاسِ تَسْتَرِيحُوا فِي الدَّارَيْنِ، وَتَأْمَنُوا مِنَ الْعَذَابِ. وَطَلِبْتُ السَّلَامَةَ فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ؛ أَطِيعُوا اللَّهَ تَسْلَمُوا. وَطَلِبْتُ الْخُضُوعَ فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِقَبُولِ الْحَقِّ؛ اقْبَلُوا الْحَقَّ فَإِنَّ قَبُولَ الْحَقِّ يُبْعِدُ مِنَ الْكِبَرِ. وَطَلِبْتُ الْعَيْشَ فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِتَرْكِ الْهَوَى؛ فَاتْرُكْ [فَاتْرُكُوا] الْهَوَى لِيُطِيبَ عَيْشَكُمْ. وَطَلِبْتُ الْمَدْحَ فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِالسَّخَاوَةِ؛ كُونُوا أَسْخِيَاءَ تَمْدَحُوا. وَطَلِبْتُ نِعَمَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِهَذِهِ الْخِصَالِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا» [جامع الأخبار، ص ٣٤١، ح ٩٥٠].

آباءهم^(١)، وذكر الإمام الباقر عليه السلام الولد الذي يشبه أباه في الشكل، والأخلاق، والصفات^(٢)، وذكر الإمام الصادق عليه السلام البيت الواسع^(٣)، والمركب الذي يُلبى احتياجات صاحبه وحقوق إخوته^(٤)، والقدرة على توفير الرزق للعائلة^(٥)، وأن يكون رزق الفرد في أيدي أهل الخير^(٦)، ورؤية الولد الصالح^(٧). وذكر الإمام الرضا عليه السلام بياض الزوجة^(٨)، وسعة البيت، وكثرة الأحبة، ووفق الزوجة^(٩).

(١)- «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مَتَجَرُّهُ فِي بَلَدِهِ، وَيَكُونَ خُلَطَاؤُهُ صَالِحِينَ، وَيَكُونَ لَهُ وَلَدٌ يَسْتَعِينُ بِهِمْ» [الكافي، ج ٥، ص ٢٥٧، ح ١، وص ٢٥٨، ح ٣؛ كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٦٤، ح ٣٥٩٨].

ونحوه عن الإمام الصادق عليه السلام: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مَتَجَرُّهُ فِي بَلَدِهِ، وَيَكُونَ لَهُ أَوْلَادٌ يَسْتَعِينُ بِهِمْ، وَخُلَطَاءٌ صَالِحُونَ، وَمَنْزَلٌ وَاسِعٌ، وَامْرَأَةٌ حَسَنَاءٌ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سُرَّ بِهَا، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا» [جامع الأحاديث، القمي، ص ٢٠٧].

(٢)- «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْوَلَدُ يَعْرِفُ فِيهِ شِبْهَ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ وَشِمَائِلِهِ» [الكافي، ج ١، ص ٣٠٦، ح ٣، ج ٦، ص ٤، ح ٢].

(٣)- «مِنْ السَّعَادَةِ سَعَةُ الْمَنْزِلِ» [م. ن، ج ٦، ص ٥٢٥، ح ١؛ المحاسن، ج ٢، ص ٤٤٩، ح ٢٥٤٧].

(٤)- «مِنْ سَعَادَةِ الْمُؤْمِنِ دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا فِي حَوَائِجِهِ، وَيَقْضِي عَلَيْهَا حُقُوقَ إِخْوَانِهِ» [الكافي، ج ٦، ص ٥٣٦، ح ٧؛ المحاسن، ج ٢، ص ٤٦٦، ح ٢٦١٦].

(٥)- «مِنْ سَعَادَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ الْقَيْمُ عَلَى عِيَالِهِ» [الكافي، ج ٤، ص ١٣، ح ١٣؛ كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٦٨، ح ٣٦٢٨].

(٦)- قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لِلْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام: «أَدْعُ اللَّهَ لِي أَلَّا يَجْعَلَ رِزْقِي عَلَى أَيْدِي الْعِبَادِ. فَقَالَ عليه السلام: «أَبَى اللَّهُ عَلَيْكَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَلَكِنْ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ رِزْقَكَ عَلَى أَيْدِي خِيَارِ خَلْقِهِ فَإِنَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ، وَلَا يَجْعَلُهُ عَلَى أَيْدِي شِرَارِ خَلْقِهِ فَإِنَّهُ مِنَ الشَّقَاوَةِ» [تحف العقول، ص ٣٦١؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٣٤، ح ٦٦٥].

(٧)- عَنِ الْإِمَامِ الْكَاطِمِ عليه السلام: «إِنَّ جَعْفَرًا عليه السلام كَانَ يَقُولُ: سَعِدَ امْرُؤٌ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى خَلْقَهُ مِنْ نَفْسِهِ» [الغنية، الطوسي، ص ٤١، ح ٢١].

(٨)- «مِنْ سَعَادَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَكْشِفَ الثَّوبَ عَنْ امْرَأَةٍ بَيَضاءَ» [الكافي، ج ٥، ص ٣٣٥، ح ٧].

(٩)- عَنِ الْإِمَامِ الرِّضَا عليه السلام -فِي الْفَقْهِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ-: «كَبُرَ الدَّارُ مِنَ السَّعَادَةِ، وَكَثُرَ الْمُحِبِّينَ مِنَ السَّعَادَةِ، وَمُوافَقَةُ الزَّوْجَةِ كَمَالُ السُّرُورِ» [فقه الرضا عليه السلام، ص ٣٥٤].



في الجانب المقابل:

في روايات الشقاء، أشار النبي ﷺ إلى الجار السيئ، والزوجة السيئة، والبيت الصغير، والمركب السيئ بوصفها عوامل للشقاء في الدنيا^(١). وفي رواية أخرى، جعل ﷺ سوء البيت بسوء الجار وضيق المسكن، وسوء المركب بصعوبته وقلة راحته، وسوء الزوجة بعقمها وسوء خلقها^(٢).

في رواية أخرى، ذكر النبي ﷺ ثلاثة من أسباب الشقاء: امرأة تؤذي زوجها في حضوره وتخونه في غيابه، إضافة إلى دابة بطيئة الحركة، فإذا ضربتها أتعبتك، وإذا ركبها لم توصلك إلى أصحابك، وبيت صغير ضيق يقلل الراحة^(٣). وعدّ الإمام زين العابدين عليه السلام المرأة التي يحبها زوجها لكنها تخونه^(٤)، من أسباب التعاسة.

(١)- وعن النبي ﷺ: «أربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء» [صحيح ابن حبان، ج ٩، ص ٣٤١، ح ٤٠٣٢؛ مسند ابن حنبل، ج ١، ص ٣٥٧، ح ١٤٤٥].

(٢)- عن أسماء: قال رسول الله ﷺ: «إن من شقاء المرء في الدنيا ثلاثة: سوء الدار، وسوء المرأة وسوء الدابة. قالت: يا رسول الله! ما سوء الدار؟ قال: ضيق ساحتها، وخبث جيرانها. قيل: فما سوء الدابة؟ قال: منعها ظهرها وسوء ضلعها، قيل: فما سوء المرأة؟ قال: عقم رحمها وسوء خلقها» [المعجم الكبير، ج ٢٤، ص ١٥٣، ح ٣٩٥؛ فتح الباري، ج ٩، ص ١٣٨].

(٣)- عن النبي ﷺ: «ثلاث من السعادة وثلاث من الشقاوة.. ومن الشقاوة: المرأة تراها فتسوءك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً؛ فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق» [المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ١٧٦، ح ٢٦٨٤].

(٤)- الإمام زين العابدين عليه السلام: «من شقاء المرء أن تكون عنده امرأة معجب بها، وهي تخونه» [الكافي، ج ٥، ص ٢٥٨، ح ٣].

رابعاً: روايات العيش

تأتي مجموعةٌ أخرى من النصوص في روايات العيش. فقد أوضح النبي ﷺ لعلّي عليه السلام أنّ العيش الهنيء يتمثل في ثلاثة أمور: بيت واسع، وجارية حسناء، ودابة سريعة^(١).

وعدّ الإمام علي عليه السلام رفاهية الحياة في الأمن^(٢) والسلامة^(٣)، وأنّ العيش الطيب يتحقق عبر: صديق لا يُحصى أخطاء يوم الصلح ليستخدمها يوم العداء، وزوجة تُدخل السرور عند الحضور وتكون أمينة عند الغياب، وخادم يُلبّي الطلبات قبل أن تُطلب^(٤). وأشار الإمام الكاظم عليه السلام إلى أنّ العيش الأفضل في الدنيا يتمثل في البيت الواسع، وكثرة الأصدقاء، ووجود خادم^(٥).

وفي الجهة المقابلة، عدّ ضيق البيت^(٦)، والانتقال المستمر

(١)- يا عَلِيّ! الْعَيْشُ فِي ثَلَاثَةٍ: دَارٌ قَوْرَاءٌ، وَجَارِيَةٌ حَسَنَاءٌ، وَفَرَسٌ قَبَاءٌ [كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٥٨؛ الخصال، ج ١، ص ١٢٦].

(٢)- «رِفَاهِيَةُ الْعَيْشِ فِي الْأَمْنِ» [غرر الحكم، ح ٥٤٣٨].

(٣)- «لَا عَيْشَ أَهْنًا مَنِ الْعَافِيَةِ» [م ن، ح ١٩٧٢٨].

(٤)- الْعَيْشُ فِي ثَلَاثٍ: صَدِيقٌ لَا يَعدُّ عَلَيْكَ فِي أَيَّامِ صِدَاقَتِكَ مَا يَرْضَى بِهِ أَيَّامَ عِدَاوَتِكَ، وَزَوْجَةٌ تَسُرُّكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهَا وَتَحْفَظُ غَيْبَكَ إِذَا غَبْتَ عَنْهَا، وَغُلَامٌ يَأْتِي عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ كَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا تُرِيدُ [شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٣٠٤، ح ٤٨٨].

(٥)- وروى: أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام سُئِلَ عَنْ فَضْلِ عَيْشِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: «سَعَةُ الْمَنْزِلِ، وَكَثْرَةُ الْمُحِبِّينَ» [الكافي، ج ٢، ص ٤٥٠، ح ٢٥٥١].

(٦)- عن الإمام الباقر عليه السلام: «مِنْ شَقَاءِ الْعَيْشِ ضَيْقُ الْمَنْزِلِ» [الكافي، ج ٦، ص ٥٢٦، ح ٦؛ المحاسن، ج ٢، ص ٤٥١، ح ٢٥٥٥].



من منزلٍ إلى آخر^(١)، وسوء الدابة^(٢)، وفقدان الأمن^(٣)، وتفرق الأصدقاء^(٤)، والحاكم الظالم، والجار السيئ، والزوجة سيئة اللسان^(٥)، مما يفسد العيش.

خامساً: روايات الراحة

تشير روايات الراحة إلى أمورٍ ماديةٍ تسهم في راحة الحياة، مثل: البيت الواسع الذي يستر عورة الشخص ويخفي سوء معيشته عن الآخرين، زوجة صالحة تكون عوناً له في أمور الدنيا والآخرة، ابنة يطمئن عليها سواء بالزواج أو برحيلها عن المنزل^(٦)، ودابة سريعة ومريحة.

سادساً: روايات الغنى

تناولنا روايات الغنى سابقاً بمناسبة أخرى، وهنا نُركّز على جانب آخر يتعلق بمصايدق الغنى. لا شك في أنّ المال والثروة يُعدّان من مصايدق الغنى، لكنهما ليسا كلّ شيء. الإنسان لديه

(١)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «مِنْ مَرِّ الْعَيْشِ الثَّقَلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ» [الكافي، ج ٦، ص ٥٣١، ح ١].

(٢)- عن الإمام الباقر عليه السلام: «مِنْ شَقَاءِ الْعَيْشِ الْمَرْكَبُ السَّوُّءُ» [م، ن، ج ٦، ص ٥٣٧، ح ١٠].

(٣)- عن الإمام علي عليه السلام: «الْخَائِفُ لَا عَيْشَ لَهُ» [غرر الحكم، ح ١٠١١].

(٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «لَا عَيْشَ لِمَنْ فَارَقَ أَجِبَتَهُ» (م، ن، ح ١٠٦٦).

(٥)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثَلَاثَةٌ تُكْذِرُ الْعَيْشَ: السُّلْطَانُ الْجَائِرُ، وَالْجَارُ السَّوُّءُ، وَالْمَرْأَةُ الْبَذِيَّةُ» [تحف العقول، ص ٣٢٠].

(٦)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثَلَاثَةٌ لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا رَاحَةٌ: دَارٌ وَاسِعَةٌ تُؤَارِي عَوْرَتَهُ وَسَوْءُ حَالِهِ مِنَ النَّاسِ، وَامْرَأَةٌ صَالِحَةٌ تُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَابْنَةٌ يُخْرِجُهَا إِذَا بَمَوْتُ أَوْ بَزَوِيحٍ» (الكافي، ج ٥، ص ٣٢٨، ح ٦؛ الخصال، ص ١٥٩، ح ٢٠٦؛ المحاسن، ج ٢، ص ٤٤٩).

أبعاد متعددة، وبناءً عليها تتنوع مصاديق الغنى والامتلاك.

تشير الروايات إلى أنَّ الغنى بالله هو أعظم أنواع الغنى، أمَّا الغنى بغير الله فهو فقرٌ وشقاء. من يمتلئ قلبه بمعرفة الله يملأه الاكتفاء بالله^(١). ومع وجود الله، فإنَّ الفقر المادِّي لا يُسبب ضررًا حقيقيًّا للإنسان^(٢)؛ لذلك، غنى المؤمن هو بالله^(٣) وليس بالمال. فمن يملك الله هو أغنى الناس.

تناولت الروايات أيضًا القرآن الكريم كأحد مصاديق الغنى، فبحسب الروايات، من يملك القرآن لا يُصاب بالفقر، ومن يفتقده لا يعرف الغنى^(٤)؛ ولهذا، يُعدّ من يحمل القرآن في قلبه غنيًّا^(٥).

وتُعدّ ولاية أهل البيت (عليهم السلام) من أعظم كنوز الإنسان في الحياة، وهي نعمةٌ لا تُعادلها أيُّ ثروة. وقد جاء في الروايات تصريح بأنَّ

(١)- عن الإمام علي (عليه السلام): «مَنْ سَكَنَ قَلْبَهُ الْعِلْمُ بِاللَّهِ، سَكَنَهُ الْغِنَى عَنْ خَلْقِ اللَّهِ» [غرر الحكم، ج ١، ص ٨٨٩٦].

(٢)- عن الإمام علي (عليه السلام): «الْفَقْرُ مَعَ الْغِنَى بِاللَّهِ لَا يَضُرُّ» [غرر الحكم، ج ١، ص ٧٢٠١].

(٣)- عن الإمام علي (عليه السلام): «غِنَى الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ» [غرر الحكم، ج ١، ص ٦٣٩٤].

(٤)- عن الإمام علي (عليه السلام): «اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لَأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى؛ فَاسْتَفْهِمُوا مِنْ أَدْوَانِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأَوَائِكُمْ» [نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦].
عن الإمام الصادق (عليه السلام): «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَهُوَ غَنِيٌّ وَلَا فَقْرَ بَعْدَهُ، وَإِلَّا مَا بِهِ غِنًى» [الكافي، ج ٢، ص ٦٠٥، ح ٨؛ ثواب الأعمال، ص ١٢٨، ح ١؛ مجمع البيان، ج ١، ص ٨٤].

لذا نرى الإمام السجاد (عليه السلام) يناجي ربه: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْبِرْ بِالْقُرْآنِ خَلْقَنَا مِنْ عَدَمِ الْإِمْلَاقِ، وَنَسِّقْ إِلَيْنَا بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ، وَخَصِّبْ سَعَةَ الْأَرْزَاقِ» [الصحيفة السجّادية، ص ١٦٠، دعاء ٤٢؛ المصباح المتهجد، ص ٥٢١، ح ٦٠٣].

(٥)- عن النبي (صلى الله عليه وآله): «أَغْنَى النَّاسَ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ؛ مَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَوْفِهِ» [كنز العمال، ج ١، ص ٥١٠، ح ٢٢٦١].



هذه الولاية لا يمكن أن تُقارَن بأيِّ مقدارٍ من المال^(١).

مورد آخر، «العقل». وفقًا للروايات، لا غنى أعظم من العقل، ولا فقر أشدَّ من الجهل^(٢). فالعقل مستغن بعلمه^(٣) وحكمته^(٤)، حتى إن لم يكن لديه مالٌ أو ثروة^(٥)، بينما الجاهل فقير^(٦)، حتى وإن كان ثريًا.

تصنيف المصاديق

نظرًا لتداخل مصاديق الغنى من جهة، واتساع نطاقها من جهة أخرى، يجب فصلها وتصنيفها للحصول على قائمة منظمة بالإمكانات اللازمة للحياة. وهذا التصنيف يساعد في مرحلة

(١)- عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إِنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى سَيِّدِنَا الصَّادِقِ عليه السلام فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَقْرَ، فَقَالَ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ، وَمَا أَعْرَفْتُ فَقِيرًا، قَالَ: وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي مَا أَسْتَبِيحُ، وَذَكَرَ مِنَ الْفَقْرِ قِطْعَةً، وَالصَّادِقُ عليه السلام يَكْذِبُهُ، إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ: خَبِّرْنِي لَوْ أُعْطِيتَ بِالْبَرَاءَةِ مِثْلَ مِائَةِ دِينَارٍ كُنْتَ تَأْخُذُ؟ قَالَ: لَا، إِلَى أَنْ ذَكَرَ أَلْفَ دَنَانِيرَ، وَالرَّجُلُ يَحْلِفُ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ مَعَهُ سِلْعَةٌ يُعْطَى بِهَا هَذَا الْمَالُ لَيَبِيعُهَا، هُوَ فَقِيرٌ؟!» [الأمالي، الطوسي، ص ٢٩٨، ح ٥٨٤؛ بشارة المصطفى، ص ١٩٠].

(٢)- عن الإمام علي عليه السلام: «لَا غِنَى مِثْلَ الْعَقْلِ، وَلَا فَقْرٌ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ» [تحف العقول، ص ٢٠١؛ نهج البلاغة، الحكمة ٥٤]. وفي روايات أخرى أيضًا:

عن الإمام علي عليه السلام: «كَفَى بِالْعَقْلِ غِنًى» [غرر الحكم، ح ٧٠١٥].
وعنه عليه السلام: «أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ» [نهج البلاغة، الحكمة ٣٨؛ تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٥٦١؛ المناقب، الخوارزمي، ص ٣٧٦، ح ٣٩٥؛ كنز العمال، ج ١٦، ص ٢٦٦، ح ٤٤٣٨٨].
وعنه عليه السلام: «لَا غِنَى أَكْبَرَ مِنَ الْعَقْلِ» [كشف الغمة، ج ٢، ص ١٩٨].
وعنه عليه السلام: «لَا عُدَّةَ أَنْفَعُ مِنَ الْعَقْلِ» [الإرشاد، ج ١، ص ٣٠٤؛ كنز الفوائد، ج ١، ص ١٩٩].
وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لَا غِنَى أَحْصَبُ مِنَ الْعَقْلِ» [الكافي، ج ١، ص ٢٩].

(٣)- عن الإمام علي عليه السلام: «غَنَى الْعَاقِلِ بِعِلْمِهِ» [غرر الحكم، ح ٦٣٨١].

(٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «غَنَى الْعَاقِلِ بِحِكْمَتِهِ، وَعِزُّهُ بِقِنَاعَتِهِ» [غرر الحكم، ح ٦٤٢٢].

(٥)- عن النبي صلى الله عليه وآله: «أَمَّا الْعِلْمُ فَيَشْتَعِبُ مِنْهُ الْغِنَى وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا» [تحف العقول، ص ١٦].

(٦)- عن الإمام علي عليه السلام: «لَا غِنَى لِجَاهِلٍ» [غرر الحكم، ح ١٠٤٥٠].

(معرفة الممتلكات) على التقييم الصحيح للموقع.

الفئة الأولى: الإمكانيات الماديّة

تشير الإمكانيات الماديّة إلى الأمور المتعلقة بالجوانب الماديّة والبنية التحتيّة للحياة. وهذه الإمكانيات جاءت في النصوص الدينيّة على النحو الآتي:

نعمة الوجود: أساس كلّ متعة ورفاهيّة هو وجود الإنسان نفسه. مجرّد أن نكون موجودين هو نعمة بحد ذاته.

الخَلْق الحسن والتناسق: خلق الله الإنسان في أحسن صورة وبنية جسديّة متناسقة تتناسب مع احتياجاته الإنسانيّة.

الرزق: الرزق وتوفير متطلّبات الحياة الأساسيّة هو حاجة أوّليّة للإنسان. الله هو الذي يمنح الرزق، ولولا ذلك لما استطاع الإنسان توفير قوت يومه بمفرده.

العمل: وجود وظيفة لتأمين الرزق نعمة أخرى. فالعمل يحقق الاكتفاء، وإن كان العمل داخل الوطن بحيث لا يضطر الشخص لتحملّ عناء السفر، وكان ربّ العمل شخصاً يقدر جهود الآخرين، فإنّ أهميّة هذه النعمة تزداد. وإن كان المرء مستقلاً في العمل فهو المطلوب، أمّا إذا كان يعمل لحساب الآخرين، فمن الضروري أن يختار منهم أهل الخير والشرف.



المال: المال من النعم التي تتيح للشخص تأمين الاحتياجات اللازمة في حياته.

المسكن: حاجة الإنسان إلى مكان للعيش أمر ضروري. المنزل هو نقطة استقرار الفرد. وجود منزل ثابت يلبي احتياجات الأسرة ويوفّر السّتر عن أنظار الغرباء يُعدّ من ضروريات الحياة. كما أنّ كبر مساحة المنزل يُحسن من رفاهيّة الأسرة، بشرط أن يتناسب مع الظروف الماديّة من دون إسراف أو ترف. تذكّر بعض الروايات من له القدرة على شراء دار واسعة، ولكنّه لا يقدم على ذلك، علمًا بأنّ المراد من الدار الواسعة الدار المتناسقة مع ضروريّات حياة كلّ فرد.

وسيلة النقل: الحياة تحتاج إلى الحركة والتنقل؛ لذا فإنّ توفّر وسيلة نقلٍ سريعة ومجهزة أمرٌ مهمٌّ لضمان وصول الفرد إلى مقصده من دون عناء، مع القدرة على تلبية احتياجاته واحتياجات الآخرين.

الخادم: في الحياة اليوميّة، قد تكون هناك أعمال كثيرة يصعب إنجازها أو تعيق الفرد عن القيام بمهام أكبر؛ لذا فإنّ وجود خادم يُسهّل إنجاز هذه الأعمال، ويوفّر وقتًا للطاقة والمجهود في أمور أكثر أهميّة، يعدّ نعمةً على الإنسان.

الجمال: رغم أنّ المظهر ليس المعيار الأساس، إلا أنّه لا يمكن إنكار دور الجمال في الحياة. جمال المظهر يُعدّ من نعم

الله التي قد تسهم في تسهيل بعض الأمور في الحياة.

الفئة الثانية: الإمكانيات غير الماديّة

الإمكانيات غير الماديّة يمكن دراستها على عدّة مستويات،
وسنستعرضها في ما يأتي:

المستوى الأوّل

يشمل هذا المستوى مجموعةً من الإمكانيات التي ليست
ماديّة بطبيعتها لكنّها تكمل البعد الماديّ للحياة:

١. الصّحة: امتلاك جميع إمكانيات الحياة يصبح هنيئًا نافعًا
عندما يكون الشخص بصحة جيّدة وقادرًا على الاستفادة منها؛
إذ من دون الصّحة، لن يكون لأيّ ثروة قيمة أو متعة. لذلك،
الصّحة واحدة من احتياجات الإنسان الرّئيسة.

٢. الأمان: الإنسان لا يمكنه أن يعيش حياةً هادئةً ومريحةً إلّا
إذا كان يتمتّع بالأمان. في ظروف الخوف وانعدام الأمان، تفقد
الحياة معناها؛ لذا، الأمان من شرّ الأعداء الظاهريين والخفيين
يُعدّ نعمةً من نعم الحياة الأساسيّة.

٣. راحة البال: من شروط الحياة المريحة التمتع بـ(ذهن
هادئ)؛ لأنّه مع ذهن مشغول ومضطرب لا يمكن للإنسان
الاستمتاع بالحياة. لذلك، راحة البال من إمكانيات الحياة
المريحة والمبهجة.



٤. القناعة: كما ذكرنا في تفسير المفهوم، الشعور بالغنى لا يأتي من المال والممتلكات، بل من الرضا بما هو موجود؛ لذلك القناعة نعمة من نعم الله.

٥. دفع البلاء: الله سبحانه وتعالى يدفع عن الإنسان كثيراً من البلاء قبل وقوعه. وهذه نعمةٌ خفيةٌ لكنها عظيمة. النعمة ليست دائماً في العطاء المادي أو المعنوي، بل أيضاً في منع المشاكل.

٦. حلّ المشكلات: المشكلات التي تحدث في الحياة إذا لم تُحلّ قد تتحوّل إلى أزماتٍ أكبر وأكثر إيلاًماً. من نعم الله سبحانه وتعالى أنّه يزيل عن الإنسان مشاكله، ولا أحد غير الله قادر على فعل ذلك.

المستوى الثاني (البعد الاجتماعي)

يتعلّق هذا المستوى بالبُعد الاجتماعي للإنسان، ويشمل:

١. الألفة بين الناس: في مجال العلاقات الاجتماعية، يحتاج الإنسان إلى (الألفة) لخلق علاقاتٍ دافئةٍ وصادقة. ومن دون هذا العنصر، لن تتشكّل العلاقات التواصليّة، وستكون الحياة البعيدة عن تلك العلاقات باردةً وقاسية.

٢. ستر العيوب وعدم الفضح: من احتياجات الحياة الكرامة

والاعتبار الاجتماعي. إذا لم يكن الله ستّارًا، لما كان للناس أيّ اعتبار اجتماعيٍّ تقريبًا.

٣. السلامة من ألسنة الناس: الغيبة والافتراء قد تجعل الحياة صعبةً جدًّا على الإنسان. لذا، الأمان من ألسنة الناس المؤذية يعدّ إحدى إمكانيات الحياة الإيجابية.

٤. نشر السمعة الحسنة: السمعة الطيبة واحدةٌ من احتياجات الحياة الاجتماعية. أحيانًا يمنح الله الإنسان سمعةً حسنةً قد لا يستحقّها، وهذا لطفٌ آخر من الله.

٥. حُسْن الخُلُق: تعتمد صحة العلاقات الاجتماعية على الأخلاق الإيجابية في التعامل، والتي يُشار إليها في الأدبيات الدينية بـ(حسن الخلق). لذلك، يُعد حسن الخلق من نعم الله ومن إمكانيات الحياة الإيجابية.

٦. الزواج: من احتياجات الإنسان إشباع الغريزة الجنسية والأنس مع الشريك؛ لذلك، الزواج يُعدّ إحدى نعم الحياة. بالطبع، الزواج له أبعاد أخرى سيتم تناولها في مكانها المناسب.

٧. الزوج/ الزوجة: بعيدًا عن الجانب الجنسي، الإنسان بحاجة أيضًا إلى شريك من الناحية العاطفية والعلاقاتية. لذلك، وجود الزوج أو الزوجة نعمة، ولكن يجب أن يتمتع الشريك بصفاتٍ مثل الصلاح، والتدين، والأمانة، والإيجابية، والجمال.



٨. الأبناء: الأبناء أيضًا من احتياجات الحياة ووجودهم يُعد من الإمكانيات. لكن يجب أن يتمتع الأبناء بصفات مثل الصلاح، وأن يكونوا عونًا لأبويهما، ومن سعادة الوالد أن يشبهه ولده.

٩. محبة الوالدين: يحتاج الطفل من فترة الرضاعة حتى البلوغ، وكذلك لتلبية احتياجاته العاطفية، إلى محبة الوالدين. تُزرع هذه المحبة في قلوب الوالدين من قبل الله؛ لذا فهي نعمة أخرى من الله.

١٠. الصديق: الصداقة حاجة أخرى للإنسان. الصديق يُعد رفيقًا عاطفيًا ومساعدًا في الأزمات ومعينًا في التكامل الروحي؛ لذلك، الصديق يُعد من إمكانيات الحياة. لكن يجب أن يكون الصديق صالحًا ومتدينًا.

١١. الجيران: بعض الأشخاص تربطهم علاقة اجتماعية بموقع السكن. فإن كان الجار سيئًا وغير صالح، فإنه يُفسد الحياة حتى لو كانت في قصر؛ لذلك، وجود جارٍ صالح يسهم في الراحة، ويكون عونًا عند الحاجة.

١٢. الابتعاد عن الناس: عندما يسود الفساد والشر في المجتمع، فإن أفضل حل هو العزلة والابتعاد. في هذه الحالة، ليس العيش مع الآخرين، بل العيش بدونهم يكون نعمة.

١٣. الحاكم العادل: الحياة الاجتماعية تحتاج إلى حاكمٍ يُدير شؤون المجتمع. ورغم أنَّ الحاكم السيِّئ أفضل من الفوضى، إلَّا أنَّ وجود حاكمٍ عادلٍ ضروريٌّ لحياةٍ مريحةٍ وممتعةٍ. لذا، وجود حاكمٍ عادلٍ يُعدُّ من النعم والإمكانات الكبيرة.

المستوى الثالث (الفضائل)

المستوى الثالث يشمل تلك الإمكانيات التي تُعدُّ من الفضائل الداخلية مثل:

١. العقل: العقل هو من أعمق المفاهيم الأخلاقية. وفقاً للروايات، يُقصد بالعقل «الإدراك المانع» وهو أم الأخلاق الإسلامية. لذلك، فإنَّ التمتع بالعقل بمعناه الأخلاقي يُعدُّ أحد أعظم النعم.

٢. العلم: العلم يؤدي دوراً مهماً في تحقيق الرضا عن الحياة. فالرضا يعتمد على عوامل وموانع، ولإدراكها تأثيرٌ كبيرٌ في تحقيقه. كما أنَّ الشخص المتعلِّم يستطيع، حتى مع إمكانياتٍ قليلة، أن يحقق نجاحاتٍ كبيرة، أمَّا الشخص الجاهل يهدر حتى الموارد الوفيرة. ومن جانب آخر، الشخص العالم يتقبل الحقَّ ويتعدى عن الباطل؛ لذا، فإنَّ التمتع بالعلم والمعرفة يُعدُّ من الإمكانيات الكبيرة في الحياة.

٣. التقوى: التقوى عاملٌ مهمٌ في ضبط النفس والسيطرة



عليها. المؤمن يحتاج إلى التقوى للقيام ببعض الأفعال والامتناع عن بعضها للوصول إلى الرضا، وبالتقوى يتحرّر الإنسان من شهواته النفسانية، ويعمل بما هو مصلحة له. لذلك، فإنّ التمتع بهذه القدرة يُعدُّ إمكانيةً عظيمة.

المستوى الرابع (الروحانية)

المستوى الرابع يشير إلى تلك الإمكانيات التي ترتبط مباشرةً بالجانب الروحاني والديني:

١. الله سبحانه وتعالى: الله هو الوجود الوحيد الأصيل في الكون، وكلّ شيءٍ في الوجود هو بإرادته. ومن أسماء الله الحسنی (الغني)، أي الغنى المطلق؛ لذلك، من يملك الله يملك كلّ شيء^(١). ومن جانبٍ آخر، استجابة الله لجميع مطالب البشر وإمكانية التواصل المباشر معه من دون وسيط يُعدُّ نعمة. كما أنّ حلم الله وصبره على ذنوب الإنسان هو نعمةٌ أخرى. لذلك، فإنّ الله هو أعظم إمكانية في حياة الإنسان.

٢. القرآن والإسلام: الوصول إلى الرضا يحتاج إلى برنامج. والقرآن هو كتاب الهداية وبرنامج سعادة الإنسان. وكلّ ما يشمله الدين والإسلام يقع تحت هذا المبدأ؛ لذا، فإنّ أحد الإمكانيات اللازمة لتحقيق الرضا هو القرآن والإسلام.

(١)- في دعاء عرفة للإمام الحسين (عليه السلام): «ماذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ؟! وما الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ؟! لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ بِدَلَا» [بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٢٢٦، ح ٣].

٣. النبي الأكرم ﷺ، وأهل البيت عليه السلام: تحقيق السعادة والرضا يتطلب مرشدين قد ساروا في هذا الطريق. الأنبياء وأولياء الله هم الذين يعرفون طريق السعادة ويملكون القدرة على الإرشاد؛ لذا، فإنَّ وجود هؤلاء الحُجج الإلهية هو من أعظم النعم للبشر. لولاهم لما كان بالإمكان العثور على طريق السعادة.

٤. الإيمان: جميع الإمكانات الروحانية لتحقيق الرضا -والتي تمّ ذكرها حتى الآن- لن تكون مثمرة بدون الإيمان. الله، والإسلام، وحُجج الله جميعها حقائق في عالم الخلق، لكن إذا لم يقبلها الإنسان، فإنها لن تؤثر على رضا الإنسان. الإيمان يعني معرفة الله ودينه وحُججه وقبول ولايته وولاية حُججه. الشخص الذي يصل إلى الإيمان الحقيقي يتمتع بجميع النعم المذكورة سابقاً.

الثالث: الخيرية في التقييم

عندما يُطرح موضوع الإيمان بالخيرية ومعرفة الخير، يُشار إلى نظام التقييم. النماذج التقييمية للأمور تختلف، فليس نظام الإدراك البشري دائماً يعمل على نموذج واحد؛ ولذلك لا يمكن لأيّ نظام تقييم أن يُحقّق الإيمان بالخيرية. إذا لم يكن نظام التقييم خيراً، فلن يؤدّي إلى الإيمان بالخيرية.

السبب في ذلك هو ازدواجية الأبعاد للظواهر، ممّا يؤدّي إلى ازدواجية في نظام التقييم. الظواهر وأمور الحياة البشرية



لها بُعدان: البُعد الظاهري- الذي بموجبه تكون الظواهر محبة أو غير محبة للطبيعة البشرية -والبُعد الباطني- الذي بموجبه تكون الظواهر خيرة أو شريرة للحياة البشرية.

محور البُعد الظاهري هو رغبات الإنسان، ومحور البُعد الباطني هو مصلحته. بناءً على هذا، هناك نظامان للتقييم: نظام التقييم المبني على اللذة، أو المبني على الرغبة، ونظام التقييم المبني على المصلحة، أو المبني على الخير.

إذا كان نظام تقييم الشخص قائماً على الرغبة، فإنه يُقيّم كلّ الأمور على أساس (المحبب - غير المحبب)، ولا يفكر فيما وراء ذلك؛ لذا، لن يتمكّن من تمييز الخير والشر الحقيقيين. فإنّ نتيجة كلّ تقييم من هذا النوع هي أنّ هذا الشيء خير؛ لأنّه عدّ المحبّب خيراً، ولكنّه في الواقع يختلف عن الخير الحقيقي.

إذا كان نظام تقييم الفرد يقوم على الخيرية، فإنّه يتجاوز ظاهر الأمور إلى أعماقها، ويفحص جميع الأمور في إطار (الخير - الشر)، و(المصلحة - المفسدة)، ولا ينشغل بشيء سواهما. هذا النظام يمتلك القدرة على تقييم مدى خيرية الأمور ويمكن الاعتماد عليه في تحديد الخير. في الآية الكريمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦)، تظهر الفروق بين هذين النظامين التقييميين بوضوح. هذه القاعدة

توضّح أحياناً أنّ الخير والسعادة الحقيقيّة للإنسان قد تكون في المشقّة والمعاناة، وأنّ اللذّة قد لا تجلب سوى الشر والضرر. بناءً على ذلك، تطرح الآية في بدايتها مسألة القتال -الذي هو أمرٌ شاقٌّ ومؤلم- وتبيّن، بالاستناد إلى هذه القاعدة، أنّ الخير لهم في هذا القتال رغم كراحتهم له ﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾، وأنّ الناس يفرحون بترك القتال، وقد يكون الشرّ في ذلك.

وفي موضع آخر، تتناول الآية مسألة الكراهية تجاه الزوجة، فتقول إنّها إذا كرهتم زوجاتكم فلا تسارعوا إلى طلاقهن، فقد تكون هناك خيريّة كبيرة لكم فيما تكرهونه: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

وفي الجهة المقابلة، يتمّ التطرق إلى المال الذي يعدّ لذيذاً للناس، لكن الآية تحذر من الظن بأنّه خيرٌ لهم: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَالَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨). كذلك، فإنّ المعصية ممتعة لكنها تؤدّي إلى الخراب، بينما الطاعة شاقّة لكنها تُفضي إلى السعادة والنجاح^(١). المهم هنا أنّ محور تعاليم الإسلام ليس اللذّة، بل الخير ومصلحة الإنسان. هذا التوجّه ليس جديداً؛ بل يعود إلى جميع الأديان السماويّة والأنبياء الإلهيين. هنا يظهر النقاش حول معيار الخير والشر. دور نظام التقييم هو تحديد الخير والشر. حتّى نظام التقييم القائم على الرغبات

(١)- عن الإمام عليّ عليه السلام: «واعلموا أنّه ما من طاعة لله شيءٍ إلّا يأتي في كره، وما من معصية لله شيءٍ إلّا يأتي في شهوة» [نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦].



يدّعي تعريف الخير رغم أنّه لا يصل إلى الخير الحقيقي. بناءً على ذلك، تختلف معايير الخير والشر. وبالتالي، فإنّ إصلاح نظام التقييم مرتبطٌ بإصلاح معيار الخير والشر، ولإصلاح نظام التقييم يجب تحديد معيار الخير والشر الحقيقيين واستخدامه كأساسٍ للتقييم.

خلاصة الفصل

تمّ في البداية تعريف الرضا بأنّه يتألّف من ثلاثة عناصر: المطابقة، والقبول، والسرور. كما أنّ الأساس النظري للرضا هو (الخير المُدرَك). بناءً على ذلك، يمكن القول إنّ استراتيجيات الرضا تشمل: المطابقة، والخير، والقبول، والسرور.

كما أظهرت المراجعات أنّ (الخير المُدرَك) هو أساس الرضا في الإسلام؛ أي أنّ استناد الحياة إلى الخير الحقيقي هو العامل الأساس لتحقيق الرضا. هذه القاعدة تنطبق في المجالات الثلاثة للحياة، بمعنى أنّ إدراك الخير يؤدّي إلى الرضا، سواء أكان ذلك في قضاء الله، أم في مجال المعيشة، أم العلاقات الاجتماعية، أم النظام السياسي.

عامل الرضا في مجال القضاء هو الإيمان بالخير، وفي مجال جوانب الحياة الأخرى، يتمثّل من جهة في جلب الخير لبناء حياة جيّدة، ومن جهة أخرى في البحث عن الخير الموجود. بناءً على ذلك، فإنّ الرضا هو مزيجٌ من الإيمان بالخير، وجلب

الخير، والبحث عن الخير.

يتطلب تحقيق هذه المبادئ الثلاثة ثلاثة شروط أساسية: أولها معرفة الخير، وثانيها معرفة الممتلكات، وثالثها التركيز على الخير في التقييم. حتى يتمكن الإنسان من تمييز الخير الحقيقي عن الخير الوهمي، وحتى يحصل على قائمة دقيقة بما يملك من ضروريات الحياة الناجحة، سيكون عاجزاً في الجوانب الثلاثة للإيمان بالخير، وجلب الخير، والبحث عن الخير. كما أن الرضا في جوهره حكم وتقييم للحياة، لذلك يجب أن يكون نموذج التقييم خيراً. ولهذا السبب، فإن معرفة الخير، ومعرفة الممتلكات، والتركيز على الخير في التقييم هي شروط أساسية للرضا.

الفصل الرابع
استراتيجية الخير
(العوامل)

الفصل الرابع

استراتيجية الخير (العوامل)

بعد توافر المتطلبات الأساسية، يحين دور العوامل المؤثرة في تحقيق الرضا، والتي تشمل: جلب الخير، واكتشاف الخير، والإيمان بالخير. في هذا الفصل، سنتناولها بالتفصيل:

١. جلب الخير

صحيح أنَّ الحياة تحتوي على حقائق ينبغي أن نتكيف معها، ولكن هذا ليس كل شيء. لبناء حياة جيّدة، يجب السعي والعمل الجاد، وهذا أحد القوانين الحاكمة في الحياة. التكيف غالباً يحمل طبيعةً سلبيةً، بينما جلب الخير يتميز بالطبيعة الإيجابية والديناميكية، رغم أنه أيضاً يتبع القوانين الحاكمة في الحياة. بمعنى آخر، الخير هو مصدر الرضا، ولكن ينبغي أن يُجلب إلى الحياة. هذا هو قانون الحياة: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩). يقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ؛ مَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يَوْقَهُ»^(١).

هذا ما نعنيه بمفهوم (جلب الخير). على الإنسان أن يسعى

(١) - المعجم الوسيط ٣: ١١٨، ح ٢٦٦٣.

لتأمين حياةٍ جيّدة. الإسلام يؤكّد بشكلٍ جادٍّ على أهمية السعي والعمل. من يبذل قصارى جهده، يصل إلى غايته^(١) أو إلى جزءٍ منها^(٢). إنّ الذي يتهاون ويميل إلى الكسل يُحرّم من السعادة^(٣)، فالكسل عدو السعي والاجتهاد^(٤)، ومن يصاب به يُحرّم من خيرات الدنيا والآخرة^(٥)، بل الكسل مفتاح كلّ شرٍّ وبلاء^(٦)، وقفل لكلّ خيرٍ وبركة^(٧)؛ فإنّ الإنسان إذا أُصيب بالكسل، فإنّه لن يصل إلى أهدافه^(٨)، ويفوّت الفرص^(٩)، ويعيش في حرمان^(١٠)، وقد يؤدي إلى الهلاك^(١١)، وفي النهاية يشعر بالإحباط والندم^(١٢).

- (١)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ بَذَلَ جُهْدَ طاقَتِهِ بَلَغَ كُنْهَ إِرَادَتِهِ» [غرر الحكم، ح: ٨٧٨٥ و ٩١٦٠].
- (٢)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ طَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ» [نهج البلاغة، الحكمة: ٣٨٦].
- (٣)- عن الإمام علي عليه السلام: «هِيَاهُتْ مِنْ تَبِيلِ السَّعَادَةِ السُّكُونُ إِلَى الْهُوَيْنَا وَالْبَطَالَةِ». [غرر الحكم، ح: ١٠٠٢٨].
- (٤)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «عَدُوُّ الْعَمَلِ الْكَسَلُ».
- عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ، فَإِنَّكَ إِنْ كَسَلْتَ لَمْ تَعْمَلْ، وَإِنْ ضَجَرْتَ لَمْ تُعْطِ الْحَقَّ» [الكافي ٥: ٨٥].
- (٥)- من وصية الإمام الصادق عليه السلام لابنه: «إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ؛ فَإِنَّهُمَا يَمْنَعَانِكَ مِنْ حَقِّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [الكافي ٥: ٨٥].
- (٦)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ، فَإِنَّهُمَا مِفْتَاحُ كُلِّ سُوءٍ»، من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٨، ح: ٣٦٣٤.
- (٧)- عن الإمام علي عليه السلام: «لِكُلِّ نِعْمَةٍ مِفْتَاحٌ وَمِغْلَاقٌ، فَمِفْتَاحُهَا الصَّبْرُ وَمِغْلَاقُهَا الْكَسَلُ» [شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠: ٣٢٢، ح: ٦٩٢].
- (٨)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ دَامَ كَسَلُهُ؛ خَابَ أَمَلُهُ» [غرر الحكم، ح: ٧٩٠٧].
- (٩)- عن الإمام علي عليه السلام: «التَّوَانِي قَوْتُ؛ بِالتَّوَانِي يَكُونُ الْقَوْتُ». [م. ن: ح: ٤٢٤٧].
- (١٠)- عن الإمام علي عليه السلام: «مِنْ سَبَبِ الْحِرْمَانِ التَّوَانِي» [م. ن: ح: ٤٢٤٧].
- (١١)- عن الإمام علي عليه السلام: «فِي التَّوَانِي وَالْعَجْزِ أُتْنِجَتِ الْهَلَكَةُ» [كنز الفوائد ١: ٣٦٧].
- (١٢)- عن الإمام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي: «إِيَّاكَ وَالتَّوَانِي فِيمَا لَا عُدْرَ لَكَ فِيهِ، فَإِلَيْهِ يَلْجَأُ النَّادِمُونَ» [تحف العقول: ٢٨٥].

مِمَّا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْكَسْلَ مِنْ عَوَامِلِ عَدَمِ الرِّضَا؛ لِأَنَّهُ يَحْرَمُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. الشَّخْصُ الَّذِي يَتَهَاوَنُ فِي جُهْدِهِ يَصْبَحُ عَبَثًا عَلَى الْآخَرِينَ. هَذَا مَا نَعْنِيهِ بِمَفْهُومِ (جَلْبِ الْخَيْرِ)، أَيْ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَعْمَلَ بِجَدٍّ لِبِنَاءِ حَيَاةٍ جَيِّدَةٍ. هَذَا الْجُهِدُ قَدْ يَتَعَلَّقُ بِالْمَعِيشَةِ، أَوْ الْعَلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، أَوْ النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ. مَعْرِفَةُ مَا يَجِبُ فَعْلُهُ فِي كُلِّ جَانِبٍ، مَوْضُوعٌ كَبِيرٌ يَحْتَاجُ إِلَى بَحْثٍ مُسْتَقِلٍّ. الْمَهْمُ هُوَ التَّعَرُّفُ عَلَى خَصَائِصِ كُلِّ بَعْدٍ مِنْ أَعْدَادِ الْحَيَاةِ الْجَيِّدَةِ وَالْعَمَلِ عَلَى تَحْقِيقِهَا.

عدم تعارض القضاء والقدر مع السعي

السُّؤَالُ الْمَطْرُوحُ هُوَ: كَيْفَ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا بِالْقَدَرِ وَفِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ يَسْعَى لَجَلْبِ الْخَيْرِ؟ إِذَا كَانَتْ كُلُّ الْأُمُورِ خَاضِعَةً لِتَقْدِيرِ اللَّهِ، فَمَا فَائِدَةُ السَّعْيِ لَجَلْبِ الْخَيْرِ؟ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ مَتْرُوكًا لِسَعْيِ الْإِنْسَانِ، فَأَيْنَ مَكَانُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ؟

لِلْإِجَابَةِ عَلَى هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ، يُمْكِنُ الْقَوْلُ: صَحِيحٌ أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْكَثِيرَةَ تُوَكِّدُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَمَتَّعُ بِبَرَكَاتِ الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ إِلَّا إِذَا آمَنَ بِالْقَدَرِ الْإِلَهِيِّ، وَأَنَّ مَنْ يَنْكُرُ الْقَدَرَ وَهُوَ يَدْعِي الْإِسْلَامَ يُعَدُّ كَافِرًا، أَوْ مَجُوسِيًّا مُلْعُونًا، وَلَكِنْ يَجِبُ التَّنَبُّهُ إِلَى نَقْطَةٍ مُهِمَّةٍ، وَهِيَ أَنَّ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ لَا يَتَعَارَضُ مَعَ التَّدْبِيرِ وَالتَّخْطِيطِ وَالسَّعْيِ لِحَيَاةٍ أَفْضَلَ، بَلْ إِنَّ التَّدْبِيرَ وَالسَّعْيَ هُمَا جُزْءٌ

من القدر ذاته. كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، وهذه الآية تشير إلى أن نظام الخلق مبني على أن الإنسان لا يجني إلا نتيجة سعيه وتدبيره، وهذا وفقاً لتقدير الله. لذلك، فإن الاستفادة من الأدوية أو الدعاء أو الوسائل الأخرى تكون نافعة للإنسان. وإذا بدت بعض الأحاديث وكأنها تشير إلى تعارض التدبير مع التقدير، فإن المقصود بها هو معنى آخر.

في النظرة الأولية لبعض الأحاديث، قد يظهر أن الإيمان بالقدر يتعارض مع التخطيط والتدبير للحياة، لكن بالتأمل يتضح أن هذا التعارض ظاهري فقط. على سبيل المثال، ورد في حديث: «ربّ حياة سببها الموت، وربّ موت سببه طلب الحياة». هذا الحديث يوضح أن التدبير ليس دائماً مجدياً؛ بل أحياناً قد يحدث عكس ما تم التخطيط له. لذلك، فإن المؤمن، بجانب تدبيره وسعيه، لا ينبغي أن يعتمد اعتماداً كلياً على الأسباب الظاهرة، بل يجب أن يتوكل على الله، ويستعين به لضمان مستقبله.

هذا الحديث يشير إلى أن التوكل هو المكمل والمتمم للتدبير، ومن دونه قد لا تؤدي التدابير إلى النتائج المرجوة، أو قد تنتج عكسها.

ورد في أحد الأحاديث عن زيد الشحام عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) جلس إلى

حائِطٌ مائِلٌ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَقْعُدْ تَحْتَ هَذَا الْحَائِطِ فَإِنَّهُ مُعَوَّرٌ. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): حَرَسَ امْرَأً أَجَلُهُ. فَلَمَّا قَامَ سَقَطَ الْحَائِطُ. قَالَ: وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِمَّا يَفْعَلُ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ، وَهَذَا الْيَقِينُ»^(١).

في المقابل، ورد حديث آخر عن الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حادثة مشابهة، فعن الأصْبَغِ بن نباتة: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَدَلَ مِنْ عِنْدِ حَائِطٍ مَائِلٍ إِلَى حَائِطٍ آخَرَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَتَفْرُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَفْرُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

هذا يعني أَنَّ الإِصَابَةَ تحت الجدار المائل هي من قضاء الله، وكذلك النجاة بالابتعاد عنه هي أيضاً من تقدير الله؛ لكن لا أحد منهما قضاء حتمي والإنسان مكلف بالفرار من قضاء والالتجاء الى قضاء آخر لحفظ نفسه.

ورد حديث آخر: «إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ»^(٣). والمقصود هنا بالتقدير هو التقدير الحتمي الذي لا ينفع معه أي تدبير أو سعي، وليس التقدير المعلق الذي يمكن تغييره بالدعاء والتوكل على الله. بما أَنَّ الإنسان لا يعلم مقدراته الحتمية والمعلقة، فهو دائماً بحاجة إلى الجمع بين السعي والتدبير مع الاستعانة بالله والدعاء

(١) - دانش نامه عقاید اسلامی، ج ٩، ص ١٠٢، ح ٦٢٤٥.

(٢) - م. ن. ج ٩، ص ١٠٢، ح ٦٢٤٢.

(٣) - م. ن. ج ٩، ص ١٠٦، ح ٦٢٤٧.

لتجنّب المشكلات المحتملة وتحقيق مستقبل أفضل.

خلاصة القول أنّ الأساس النظري للرضا هو الخير. ونظرًا لأنّ أمور حياتنا تنقسم من منظور معين إلى قسمين: تقدير الله، وجهد الإنسان، فإنّ الرضا يتجزأ أيضًا إلى قسمين: الإيمان بأنّ تقدير الله خير (الإيمان بالخير)، والسعي لإيجاد حياة طيبة بما يتماشى مع تقدير الله (إيجاد الخير).

٢. البحث عن الخير

كما سبق، فإنّ محور الرضا هو خيارات الحياة، ولهذا السبب، فإنّ إدراك تلك الخيارات ذو أهمية كبيرة. فوجود النعمة وحده لا يكفي، بل يجب إدراكها. بعض الناس يجهلون ما لديهم من نعم. وبعض السلبين لا يرون ما لديهم، بل يركزون على ما لا يمتلكونه. يؤدّي ذلك إلى تقييم خاطئ للوضع الحالي، ما يولّد شعورًا بالحرمان ويزيد الألم والمعاناة، وبالتالي يقلّ مستوى الرضا، ويصل إلى عدم الرضا. لذا، فإنّ وجود النعمة ليس له تأثير كبير على الرضا، بل إنّ إدراك النعمة هو العامل الذي يحقق الرضا عن الحياة. وبالتالي، فإنّ الطريق لتحقيق الشعور بالرضا هو إدراك النعم ومعرفتها. يقول الإمام الصادق (عليه السلام) في كلمة جوهرية: «كَمْ مِنْ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ»^(١).

يمكننا من هذا الحديث أنّ نفهم سبب عدم الرضا وتحديد

استراتيجية تحقيقه، هو الجهل بالنعم الموجودة، والاستراتيجية هي إدراك النعم. الحقيقة هي أنّ حياة الإنسان (خصوصاً المؤمن) ليست فارغة. هناك نعمٌ كثيرةٌ في حياة الإنسان يمكن أن تمنحه شعوراً بالسعادة، لكنّها تظلّ غير معروفة، وبالتالي لا تؤثر. لذا، يجب التعرف عليها لتحقيق الرضا. وفيما يلي نتكلم عن العوامل المؤثرة في البحث عن الخير.

العوامل المؤثرة في البحث عن الخير

أولاً: البحث عن النعم غير الظاهرة

وفقاً لما سبق، تشمل النعم نطاقاً واسعاً، وإذا فقدت بعض النعم، يمكن للإنسان أن يشعر بالغنى بالنظر إلى النعم الأخرى. الأئمة عليهم السلام استخدموا هذا النهج لإعادة الرضا إلى أصحابهم. يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: «إِذَا طَلَبْتَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا فَزَوِّ عَنكَ، فَاذْكُرْ مَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ دِينِكَ وَصَرَفَهُ عَنْ غَيْرِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أحرى أَنْ تَسْتَحِقَّ بِمَا فَاتَكَ»^(١).

كانت هذه الطريقة التي استخدمها الأئمة عليهم السلام لإعادة الرضا إلى أتباعهم. يذكر الشيخ الكليني (رحمه الله) عن أحمد بن عمر قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَاءِ عليه السلام أَنَا وَحُسَيْنُ بْنُ ثُوَيْرِ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ! إِنَّا كُنَّا فِي سَعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ وَغَضَارَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، فَتَغَيَّرَ الْحَالُ بَعْضَ التَّغْيِيرِ،

(١) - فقه الرضا: ٣٦٠؛ كنز الفوائد: ٣٤٥.

فَادْعُ اللَّهَ (عزّ وجلّ) أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ إِلَيْنَا. فَقَالَ: «أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُونَ؛ تَكُونُونَ مُلُوكًا؟ أَيْسُرُكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ طَاهِرٍ وَهَرِثْمَةَ، وَأَنْتَ عَلَى خِلَافٍ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟». قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا ذَهَبًا وَفِضَّةً وَأَنْيَّ عَلَى خِلَافٍ مَا أَنَا عَلَيْهِ. قَالَ: فَقَالَ: «فَمَنْ أَيْسَرَ مِنْكُمْ فَلْيَشْكُرِ اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ (عزّ وجلّ)، يَقُولُ: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللَّهِ، فَإِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام كَانَ يَقُولُ: مَنْ حَسَنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ كَانَ اللَّهُ عِنْدَ ظَنِّهِ بِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ قَبْلَ اللَّهِ مِنْهُ الْيَسِيرُ مِنَ الْعَمَلِ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْحَلَالِ خَفَّتْ مَوْزَنُهُ وَتَنَعَّمَ أَهْلُهُ، وَبَصَرُهُ اللَّهُ دَاءَ الدُّنْيَا وَدَوَاءَهَا، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا سَالِمًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ»^(١).

وذكر الكليني في رواية أخرى: كَانَ رَجُلٌ يَدْخُلُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مِنْ أَصْحَابِهِ فَعَبَّرَ زَمَانًا لَا يَحْجُجُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَعَارِفِهِ، فَقَالَ لَهُ: «فُلَانٌ مَا فَعَلَ؟» قَالَ: فَجَعَلَ يُضْجِعُ الْكَلَامَ يَظُنُّ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الْمَيْسِرَةَ والدُّنْيَا. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «كَيْفَ دِينُهُ؟». فَقَالَ: كَمَا تُحِبُّ، فَقَالَ: «هُوَ وَاللَّهِ الْغَنِيُّ»^(٢).

من هذه الحادثة وغيرها يمكننا أن نستنتج أنّ النظرة الأحادية للأشياء التي نملكها تعدّ من أسباب عدم الرضا. وكما تبين في موضوع التعرف على الخيرات وتصحيح قائمة النعم، إذا عرف

(١) - الكافي، ج ٨، ص ٣٤٦، ح ٥٤٦؛ تحف العقول، ص ٤٤٨.

(٢) - الكافي، ج ٢، ص ٢١٦، ح ٤٤.

الناس كلّ ما يُعَدّ من ممتلكاتهم وإمكاناتهم الحقيقيّة للحياة، ثمّ انتبهوا إليها، سيدركون أنّ هناك الكثير من النعم التي تستحق أن يعتزوا بها، ولن يشعروا بالحرمان مطلقاً.

ثانياً: إدارة المقارنات

من الطرق التي نستخدمها في حياتنا لتقييم أوضاعنا هي مقارنة أنفسنا بالآخرين. في هذه المقارنة، يحدد الإنسان موقعه الاجتماعي ونجاحه في الحياة. ونتائج هذه المقارنة قد تكون رضا عن الحياة يصحبه أملٌ وحيويّة، أو استياءٌ وعدم رضا يصحبه يأسٌ وعجز. وفيما يلي نتطرّق الى بيان هاتين الصورتين:

(أ) المقارنة الصعوديّة

المقارنة الصعوديّة تؤدي إلى انخفاض مستوى الرضا في الحالات الجيدة. فعندما يقارن الإنسان نفسه بمن هم في مستويات أعلى، ينخفض مستوى رضاه عن حياته. والسبب أنّ مقارنة وضعه بمن هم في وضع أفضل تؤدي إلى تقليل قيمة ما يملك، وتعظيم قيمة ما لدى الآخرين، ثم التركيز على ما يفتقده. هذه المقارنة تشبه تأثير الشمس التي تخفي القمر والنجوم نهاراً.

في الحياة، توجد أشياء كثيرة يمكن أن تجعل الإنسان سعيداً ومبتهجاً. لكن المقارنة الصعوديّة تجعل الإنسان يغفل عن هذه الأمور، ويركز على ما يفتقده في حياته، ممّا يسبب الحزن والأسى.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «يَاكُمْ أَنْ تَمُدُّوا أطرافكم إلى ما في أيدي أبناء الدنيا، فَمَنْ مَدَّ طَرَفَهُ إِلَى ذَلِكَ طَالَ حُزْنُهُ، وَلَمْ يَشْفَ غَيْظُهُ، وَاسْتَصْغَرَ نِعْمَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ؛ فَيَقِلُّ شُكْرُهُ لِلَّهِ»^(١). قال عليه السلام في حديث آخر: «خَصَلَتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كِتْبَةُ اللَّهِ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُنَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا... وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ وَنَظَرَ فِي دُنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ، لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا»^(٢).

ومن البديهي أنّ من يبتلى بالمقارنة الصعوديّة لا هو الشاكر لما عنده، ولا هو الصابر على ما ليس عنده، لذا ورد في القرآن الكريم: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾.

إضافةً إلى ما ورد عن تأثير المقارنة الصعوديّة، يشير القرآن الكريم إلى أنّ هذه المقارنة تزيد من حزن الإنسان. وفي حديث آخر يُصرّح بأنّ المقارنة الصعوديّة تزيد في حزن الانسان^(٣).

ونُقل أن جبرائيل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وآله وقال له: «يا رسول الله، إن الله عزّ وجلّ يُرسل سلامه إليك، ويقول: ﴿بِسْمِ

(١)- الأصول السّنة عشر، ص ٥٧؛ بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٦٨.

(٢)- سنن الترمذي ٤: ٧٤، ح ٢٦٣٠.

(٣)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «... قال صلى الله عليه وآله: مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعِزِّ اللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ، وَمَنْ رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ كَثُرَ هُمُّهُ وَلَمْ يَشْفَ غَيْظُهُ» [بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١١٦، ح ١١].

اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ...». وبعد نزول هذه الآية، أمر النبي ﷺ بأن يبلغ هذا الرسالة للناس: «مَنْ لَمْ يَتَأَدَّبْ بِأَدَبِ اللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ»^(١).

الحياة في حالة كأنّها تحتضر، كيف تكون؟ هل يمكن لمن هو في مثل هذه الحالة أن يشعر بالرضا؟ من أين ينشأ هذا الشعور بعدم الرضا؟ المقارنة التصاعديّة تجعل الحياة صعبةً للغاية على الإنسان حتى يبدو كأنّه يلفظ أنفاسه الأخيرة. في هذه الظروف، لا يمكن توقّع حياة هادئة وممتعة.

من هذه الروايات يُفهم أنّ المقارنة التصاعديّة تؤدّي إلى الحسرات على ما ليس موجوداً، وتسبب الحزن الشديد والطويل. في ظلّ هذه الظروف، لا يمكن توقّع أن يكون الإنسان راضياً عن حياته أو مستمتعاً بها.

ب) المقارنة التنازليّة

المقارنة التي تزيد مستوى الرضا هي المقارنة التنازليّة. المقارنة التنازليّة تعني النظر إلى من هم أدنى منك، ومقارنة حياتك بحياتهم. المقارنة التنازليّة تعدّ من العوامل المؤثّرة في تحقّق الرضا. السؤال هنا: ما التأثير النفسي للمقارنة التصاعديّة الذي يؤدّي إلى عدم الرضا؟

(١) - بحار الأنوار ٧١: ٣٤٨؛ فقه الرضا: ٣٦٤.

المقارنة التنازليّة تُظهر الجوانب الإيجابيّة والمُبشّرة في الحياة، وهي الجوانب التي تُخفيها المقارنة التصاعديّة تحت ظلالها القاتمة. هذه المقارنة ليست من نوعيّة التعليمات الوهميّة التي تطالب الشخص بإيهاام نفسه بأنّ لديه حياة مثاليّة، بل هي تعتمد على إدراك الحقائق واستكشاف النقاط الإيجابيّة الحقيقيّة في الحياة. فنّ المقارنة التنازليّة يكمن في إظهار الجوانب الإيجابيّة والمُبشّرة في الحياة ووضعها أمام أعين الشخص.

قال النبي ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله»^(١).

تصغير قيمة النعم هو التأثير النفسي للمقارنة التصاعديّة. لكن المقارنة التنازليّة تمنع هذا التأثير وتظهر للشخص ما يملكه بالفعل. الإنسان المتوازن يدرك بشجاعة أنّ الآخرين قد يملكون أشياء لا يملكها، ولكنّه في الوقت ذاته يملك أشياء كثيرةً يفتقدها الآخرون، وهذا يمكن أن يجعله يشعر بالفرح والأمل لمواصلة حياته.

لهذا السبب، من التوصيات الدينيّة للمؤمنين استخدام المقارنة التنازليّة. عندما أراد النبي ﷺ تربية شخصيّة مثل أبي ذر، أوصاه بتجنّب المقارنة التصاعديّة والاعتماد على المقارنة التنازليّة^(٢).

(١)- صحيح مسلم، ج ٨، ص ٢١٣؛ روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٥٤.

(٢)- أوصاني رسول الله ﷺ بسبع: «أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي...» [الخصال، ج ٢، ص ٣٤٥؛ المحاسن، ج ١، ص ١١].

لذا، من المهارات المهمّة لتحقيق النجاح في الحياة استخدام المقارنة التنازليّة. الاختلاف في مستويات الحياة هو حقيقة لا يمكن إنكارها، فإذا قارن الإنسان نفسه بحياة أفضل، سيشعر بالمرارة والإحباط، ولن يستمتع بحياته. وعندما يحدث ذلك، يكون أحد أفضل الحلول هو استخدام المقارنة التنازلية. هذه الطريقة مستمدة من تعاليم أولياء الدين. وممّا روي عن النبي ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المال والجمال، فليُنظر إلى من هو أسفل منه»^(١).

نقطةٌ مثيرةٌ للاهتمام في هذا الحديث هي أنّ المقارنة لا تكون دائماً في المال والثروة؛ بل قد تكون أحياناً في الجمال والمظهر. هذه المسألة تظهر بشكل أكبر بين الشباب، وخاصة بين الفتيات. مقارنة الشخص لنفسه بمن هم أجمل منه تسبب الحزن والكآبة. هذا أيضاً نوعٌ من المقارنة التصاعديّة. في مثل هذه الحالات، يمكن استخدام المقارنة التنازلية لإزالة هذا الشعور غير المريح.

كذلك، قد تحدّث المقارنة التصاعديّة في الجمال الظاهري داخل حياة أُسرِيّة، عندما يقارن أحد الزوجين شريكه بشريك آخر أكثر جمالاً (سواء كان رجلاً أم امرأة). هذه المقارنة -التي قد تحدث بسبب رؤية الشخص الآخر مباشرة أو صورته- تؤثر على حكم الفرد وتغير إدراكه. أظهرت الدراسات أنّه إذا رأى

(١) - صحيح البخاري ٧: ١٨٧.

أحد - قبل الحكم والتقييم - فرداً أو أفراداً أكثر جاذبية، فإنّ تقييمه للشخص المعني يكون أقلّ من حيث الجاذبية والجمال.

كما أثبتت دراسة أخرى أنّ الرجال عندما يشاهدون صور نساء شديداً الجمال، يقلّ تقييمهم لجاذبية زوجاتهم. بناءً على ذلك، يمكن أن تكون المقارنة التصاعديّة في الجانب المالي أو الجمالي. وعليه فإنّ طريقة التعامل مع المشاعر غير المريحة الناتجة عن المقارنة التصاعديّة هي استخدام المقارنة التنازليّة. ومن الطريف أنّ المقارنة لا يجب أن تكون دائماً مع حياة حاضرة؛ بل يمكن الاستفادة من حياة تاريخيّة سابقة، كما أشار الإمام الباقر (عليه السلام) إلى حياة النبي (صلى الله عليه وآله). الأمر المهمّ هنا أنّ الإنسان قد يعتقد أحياناً أنّ سوء أوضاع حياته هو نتيجة لغضب الله عليه وعلامة على الشقاء. ولكن عندما ينظر إلى حياة شخصيات مثل النبي (صلى الله عليه وآله) وأولياء الدين الآخرين، يدرك بطلان هذا التصوّر؛ لأنّه يرى أنّ أسمى البشر قد عاشوا حياةً بسيطةً، بل وصعبة أحياناً. وهكذا يهدأ وينأى بنفسه عن الشعور غير المريح والتصور الخاطئ.

ومن المثير أنّ بعض الروايات صرّحت بدور هذه المقارنة في الشكر. فالشكر يعتمد على معرفة النعم. المقارنة التصاعديّة تقلل من قيمة النعم وتؤدّي إلى الجحود؛ أمّا المقارنة التنازليّة،

(١) - «إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك... فإن دخلك من ذلك شيء فأذكر عيش رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنما كان قوته الشعير، وحلوه التمر، ووقوده السعف إذا وجدّه» [الكافي، ج ٢، ص ١٣٧؛ مشكاة الأنوار، ص ١٣٠].

فتظهر النعم وتدفع الإنسان إلى الشكر^(١). والأكثر إثارة للاهتمام أنَّ هذا الفعل يؤدي إلى زيادة النعم، وبالتالي يوسع نطاق الرضا. يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧)^(٢). كذلك، يضيف النبي ﷺ الصبر كأحد آثار المقارنة التنازلية^(٣). عندما يرى الإنسان حياة أقل منه، يدرك ما لديه، فيشكر الله ويحمده، وفي الوقت نفسه يدرك أنَّ حياته ليست بالقدر من السوء أو عدم التحمل كما يتصور. وبهذا، يقلّ شعوره بالضيق، وينخفض الضغط النفسي إلى أدنى مستوى، وتزداد قدرته على التحمل والصبر.

لذلك، فإنَّ استخدام المقارنة التنازلية يعدّ أحد عوامل الرضا عن الحياة. أولئك الذين يقارنون حياتهم بمن هم أدنى منهم، سيكتفون بما وهبهم الله ويرضون به.

ثالثاً: إصلاح تفسير الفقر والغنى

إنَّ الشعور بالفقر أحد أسباب الشعور بعدم الرضا، والشعور بالغنى أحد أسباب الشعور بالرضا. لذلك، فإنَّ الرضا في البُعد

(١)- ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَكْثَرُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ» [إنهج البلاغة، الكتاب: ٦٩].

(٢)- وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «وَانْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ فَتَكُونَ لِأَنْعَمِ اللَّهِ شَاكِرًا وَلِمَزِيدِهِ مُسْتَوْجِبًا وَلِجُودِهِ سَاكِنًا» [مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٣٣٧].

(٣)- «مَنْ نَظَرَ... فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ، كَتَبَ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا» [سنن الترمذي، ج ٤، ص ٧٤].

التكويني يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهومي الفقر والغنى. وما يهم هنا هو ضرورة امتلاك تعريف دقيق وصحيح لهذين المفهومين، بوصفهما مسألتين جوهريتين لتحقيق الرضا. الفقر والغنى، وفقاً لطبيعة الإنسان وطبيعة العالم الذي يعيش فيه (الدنيا)، يحملان تعريفاً خاصاً. من يسعى لتحقيق الرضا، يجب أن ينسجم تعريفه الشخصي مع هذه التعريفات. لا يمكننا السعي نحو الرضا من خلال تعريفات ذاتية ومبنية على الأهواء. الفقر والغنى في مفهوم الإنسان يحملان حقيقة ثابتة قرّرها الله سبحانه وتعالى. وهذا واقع لا يمكن تغييره في الحياة، كما أشرنا سابقاً. بناءً على ذلك، ينبغي علينا مواءمة تعريفنا للفقر والغنى مع هذه الحقيقة الإلهية. هنا يبرز مجدداً الحديث عن الانسجام مع الواقع؛ وهو انسجام تعريفنا لمفهومي الفقر والغنى مع حقيقتيهما. هذا النقاش بُعد معرفي بحت. من يريد تحقيق الرضا، ينبغي عليه أن يبحث في البعد الفكري عن التعريف الحقيقي للفقر والغنى. كثيرٌ من المشاعر الوهمية بعدم الرضا ناتجة عن عدم واقعية فهم هذه القضية. فبعض الناس ليسوا محرومين فعلياً؛ ولكن بسبب عدم تقييمهم الصحيح لهذه المسألة، يعيشون مشاعر الحرمان وعدم الرضا. كما أن السبب وراء كثيرٍ من مشاعر الرضا الوهمية يعود إلى هذا الفهم الخاطئ.

التفسير الشائع يعدّ الغنى هو التمتع بالمال والإمكانات والمستلزمات المادية للحياة، والفقر هو الحرمان من هذه

الأمر. هذا التفسير يعطي الفقر والغنى طابعاً اقتصادياً، ويرى أن الإنسان الذي يمتلك الوسائل اللازمة للحياة يُعدّ غنياً، ومن يفتقر إليها يكون فقيراً. هذا التفسير الاقتصادي والعيني للفقر والغنى واردٌ في النصوص الدينيّة، ولكنّه ليس محصوراً فيهما. السؤال هنا: هل كلّ من يملك الإمكانيات اللازمة للحياة راضٍ عن حياته؟ وهل كلّ من يفتقدها يشعر بعدم الرضا؟ الجواب بالنفي؛ لأنّ مجرد امتلاك الإمكانيات كواقعٍ خارجي ليس كافياً؛ بل يجب أن يكون هناك شعور بالاكْتفاء أيضاً. كما أنّ الحرمان من الإمكانيات كواقعٍ خارجي ليس بالضرورة دافعاً لعدم الرضا؛ بل إنّ الشعور بالفقر هو العامل المحدّد. لذلك، نجد كثيراً من الأغنياء يشعرون بالفقر، وكثيراً من الفقراء يشعرون بالغنى.

التفسير الآخر هو التفسير النفسي، وفقاً لهذا التفسير، فإنّ الفقر والغنى قبل أن يكونا مفهوماً اقتصاديين وعينيين، هما مفهومان روحيان ونفسيان. فالغنى يعني الشعور بالاكْتفاء، وليس التمتعّ بالممتلكات، والفقر يعني الشعور بالاحتياج، وليس الافتقار للممتلكات. المال والثروة هما من ضمن عوامل تحقيق الشعور بالاكْتفاء، ولكنّهما ليسا المعنى الأساسي. بناءً على هذا التفسير، الغنى هو الشعور الداخلي بالاكْتفاء، والغنى هو من يشعر بهذا الشعور، حتى لو كان يفتقر إلى الموارد المادية، والفقر هو الشعور الداخلي بالاحتياج، والفقير هو من يشعر بذلك، حتى لو كان يتمتّع بالإمكانيات؛ لذا، فإنّ مجرد

وجود الإمكانيات لا يضمن الرضا، وعدم وجودها لا يؤدي بالضرورة إلى عدم الرضا. المهم هنا هو الشعور بالاكْتفاء، وهو مسألة داخلية ونفسية، وليست خارجية ومادية. لهذا السبب، كان قادة الدين يعملون على تصحيح النظرة تجاه الفقر والغنى. لتحقيق الرضا، يجب تنمية الغنى النفسي والداخلي، وليس المادي؛ ولهذا السبب قال عيسى عليه السلام: «خادمي يَدَايَ ودَابَّتِي رجلاي، وفراش الأرض ووسادي الحَجَرُ... أَيْتُ وَلَيْسَ لي شَيْءٌ، وَأَصْبَحُ وَلَيْسَ لي شَيْءٌ، وَلَيْسَ عليَّ وَجْهَ الأرضِ أَحَدٌ أَغْنِي مِنِّي»^(١).

وفقاً للتفسير الصحيح للغنى، يتّضح سبب عدم رضا بعض الأغنياء ورضا بعض الفقراء. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِيٍّ، وَغَنِيٍّ مُفْتَقِرٍ»^(٢)، ولذلك، «رُبَّ فَقِيرٍ أَغْنَى مِنْ كُلِّ غَنِيٍّ»^(٣)! بناءً على ذلك، ما يُحقق الشعور بالرضا هو الغنى الداخلي والنفسي، وليس الغنى المادي. الأشخاص الذين يمتلكون غنى النفس لا يشعرون بالحاجة والنقص؛ ولهذا السبب، لن يكونوا غير راضين، بل سيشعرون بالرضا عن حياتهم.

(١) - عدة الداعي: ١٠٧؛ إرشاد القلوب: ١٥٦.

(٢) - غرر الحكم: ح ٢٩٧.

(٣) - م. ن: ح ٥٣٢٦.

تصحيح الشعور بالحرمان

وفقاً لما ذُكر في تفسير الفقر والغنى، هناك أشخاص يقتصرون في تصوّرهم لموجودات الحياة ومفقوداتها على الأمور الماديّة فقط، ممّا يجعل معيار تقييمهم وقياسهم هو امتلاك أو عدم امتلاك الإمكانيات الماديّة. لذلك، عندما يفتقرون إلى الإمكانيات الماديّة، لا يُدرجون الإمكانيات غير المادية ضمن حساباتهم، فيعدّون أنفسهم محرومين. كذلك، عند فقدان الإمكانيات غير الماديّة، لا يشعرون بالحرمان ولا يسعون لتأمينها.

يمكن تقييم وضع الشخص من حيث الحرمان فقط إذا عُرِفَت مصاديق الفقر والحرمان وفق التعريف الواقعي لهما. إذا تمكّن الإنسان من تحديد هذه المصاديق بواقعيّة، فإنّه أثناء مواجهة المشكلات يمكنه أن يدرس الوضع ليتأكّد ممّا إذا كان فعلاً محروماً أم لا. النصوص الدينيّة تُبيّن مصاديق الحرمان، والحرمان من وجهة نظرها نوعان: حرمان قابل للتحمّل، وحرمان غير قابل للتحمّل. أساس هذا التقسيم هو نوع الممتلكات التي يتمتع بها الإنسان (ماديّة أو معنويّة). بناءً على ذلك، الحرمان غير القابل للتحمّل هو الحرمان المعنوي، أمّا الحرمان القابل للتحمّل فهو الحرمان المادي.

إذا كان الشخص يعاني من حرمان معنوي، فقد أصيب

بخسارة كبيرة، ويجب أن يشعر بعدم الرضا. وإذا كان لديه هذا الشعور، فهو أمرٌ طبيعي، وإذا لم يشعر بعدم الرضا، فيجب تنبيهه إلى هذا الأمر. ولكن إذا كان الشخص يعاني من حرمان مادي، فإنه لم يتكبد خسارة كبيرة، بل ربما يكون هذا الحرمان فرصةً لتحقيق منفعة عظيمة. لذلك، إذا لم يشعر بعدم الرضا وكان قانعاً، فإن وضعه جيد ومناسب. أما إذا شعر بعدم الرضا، فيجب مساعدته على تحقيق الرضا باستخدام العوامل التي سيتم ذكرها.

جزءٌ من النصوص الدينية يُخصّص لمناقشة مصاديق الحرمان الأساسي. وعلى الرغم من أن التعاليم الإسلامية تولي اهتماماً مناسباً بالحرمان المادي، إلا أن الحرمان الأساسي وغير المحتمل هو الحرمان المعنوي. ويمكن استنتاج ذلك من خلال المصادر الدينية المتعلقة بتحديد المصاديق. في الأدبيات الدينية، يتم تناول هذا الموضوع باستخدام مصطلحات متنوعة مثل: الحرمان، والغبن، والخسران، والمصيبة، والشر، والتي سنناقشها في ما يلي.

مصطلح الحرمان

ذكرت في النصوص الدينية أمثلة ومصاديق متعددة للحرمان. من بين هذه المظاهر، (الحرمان من خير المال). يعتقد الناس أن الحرمان يتمثل في عدم امتلاك المال، لكن الحقيقة هي أن

عدم الاستفادة من المال هو علامة الحرمان، وليس فقده. وهذا الأمر يعتمد على كَيْفِيَّة استخدام المال. فبعض الناس يستفيدون من المال لجلب الخير، بينما يستخدمه البعض الآخر لجلب الشر. وفقاً للمنطق الإسلامي، الشخص الذي لا يملك المال لا يُعَدُّ محروماً؛ بل المحروم هو من لا يستطيع الاستفادة من المال للخير^(١).

مثال آخر هو (الحرمان من نعيم الآخرة). قد يعتقد بعض الناس أنَّ عدم التمتع بنعيم الدنيا هو علامة الحرمان، لكن الحرمان الدنيوي لا يُقَارَن بالحرمان من نعيم الآخرة. إنَّ النعيم الدنيوي إذا أدى إلى حرمان من نعيم الآخرة، فإنَّه لا يساوي شيئاً. يقول الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ عِلَامَةَ الرَّاغِبِ فِي ثَوَابِ الْآخِرَةِ، زُهْدُهُ فِي عَاجِلِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، أَمَا إِنْ زُهِدَ الزَّاهِدُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَا يَنْقُصُهُ مِمَّا قَسَمَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) لَهُ فِيهَا وَإِنْ زُهِدَ، وَإِنْ حَرَصَ الْحَرِيسُ عَلَى عَاجِلِ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَا يَزِيدُهُ فِيهَا وَإِنْ حَرَصَ، فَالْمَعْبُودُ مِنْ حُرْمِ حَظِّهِ مِنَ الْآخِرَةِ»^(٢).

ومن مظاهر الحرمان الأخرى، (الحرمان من بركات شهر رمضان). هذا الشهر هو أكثر الشهور فضلاً، ويحمل الكثير من

(١)- يقول أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الصدد: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَاتَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ وَقَالَ النَّاسُ: مَا أَخَّرَ؟ فَقَدَّمُوا فَضْلًا يَكُنْ لَكُمْ، وَلَا تُؤَخَّرُوا كَيْ لَا يَكُونَ حَسْرَةً عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ الْمَحْرُومَ مِنْ حُرْمِ خَيْرِ مَالِهِ، وَالْمَغْبُوطَ مَنْ تَقَلَّ بِالصَّدَقَاتِ وَالْخَيْرَاتِ مَوَازِينُهُ» [عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٩٨، ح ٥٦].

(٢)- الكافي، ج ٢، ص ١٢٩، ح ٦؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٠٦، ح ٥٥٤.

البركات؛ لذلك، من يُحرم من خيراته يُعدّ محروماً^(١). وفي بعض الروايات، تم التركيز على المغفرة في هذا الشهر، وتم التأكيد على أنّ المحروم هو من يُحرم من مغفرة الله فيه^(٢). اللافت أنّ هذه الروايات استخدمت مصطلح (الشقي) للإشارة إلى المحرومين من بركات هذا الشهر، ممّا يدل على أنّ هذا النوع من الحرمان يؤدّي إلى الشقاء والبؤس، وليس فقط الحرمان المادي.

وفي رواياتٍ أخرى، تم الإشارة تحديداً إلى ليالي القدر، وتم عدّ المحروم هو من يُحرم من بركات هذه الليالي^(٣). ولهذا السبب «كانت فاطمة عليها السلام لا تدعُ أحداً من أهلها ينام تلك الليلة (الليلة الثالثة والعشرين)، وتداويهم بقلّة الطعام، وتتأهّب لها من النهار، وتقول: «محرومٌ من حرم خيرها»^(٤).

في موضعٍ آخر، ذُكر (فقدان العقل)، وتم التصريح بأنّ

(١)- النبي ﷺ: «قد جاءكم شهرُ رَمَضانَ؛ شهرٌ مبارك... فيه ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، من حُرِمَها فَقَد حُرِمَ» [تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ١٥٢، ح ٤٢٢؛ سنن النسائي، ج ٤، ص ١٢٩].

(٢)- النبي ﷺ: «إنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ عُفْرانَ اللهِ في هذا الشهرِ العظيمِ» [م، ن، ص ٧٧، ح ٦١].
«إنَّ الشَّقِيَّ حَقَّ الشَّقِيَّ مَنْ خَرَجَ عَنْهُ هَذَا الشَّهْرُ وَلَمْ يُغْفِرْ ذُنُوبَهُ، فَحِينَئِذٍ يَخْسِرُ حِينَ يَقُورُ الْمُحْسِنُونَ بِجِوَارِئِ الرَّبِّ الكريمِ» [م، ن، ص ٧٣، ح ٥٣].

(٣)- النبي ﷺ: «جاءكم رَمَضانُ، جاءكم شهرٌ مباركٌ افترضَ اللهُ عليكم صيامَهُ، تُفْتَحُ فيه أبوابُ الجنان، وتُغْلَقُ أبوابُ الجحيم، وتُغَلُّ فيه الشَّيَاطِينُ، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، مَنْ حُرِمَ خيرُها فَقَد حُرِمَ» [فضائل الأوقات، البيهقي، ص ٣٧، ح ٤٥؛ مسند ابن حنبل، ج ٣، ص ٨، ح ٧١٥١، ص ٤١٢، ح ٩٥٠٢؛ تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ١٥٢، ح ٤٢٢؛ الأمالي، المفيد، ص ١١٢، ح ٢، ص ٣٠١، ح ١].

(٤)- دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٨٢؛ بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ١٠، ح ١٢.

من يُحرَم من (نفع العقل) يُعدَّ محروماً^(١). عدَّ الإمام الحسن المجتبيُّ عليه السلام في تعبير أكثر وضوحاً العقل وسيلةً للحصول على الدنيا والآخرة، وعدَّ الإنسان الذي يفتقر إلى العقل محروماً من الدنيا والآخرة معاً^(٢). المثير للاهتمام أنَّ الرواية الأولى أشارت أيضاً إلى فقدان العقل كعامل يؤدي إلى الشقاء وعدم السعادة.

في موضعٍ آخر، يُعرِّف النبيُّ ﷺ المحرومَ بأنَّه من يُحرَم من الوصية^(٣). وكما سبق ذكره، القدرة على الوصية لما بعد الوفاة هي إحدى نعم الله العظيمة، ومن يفتقد هذه النعمة هو بالفعل محروم.

كما أشار النبيُّ ﷺ إلى أنَّ فقدان الرفق في العلاقات الاجتماعية هو أيضاً نوع من أنواع الحرمان^(٤). العلاقات مع الآخرين يمكن أن تحقِّق بركات عديدة، والرفق هو أحد عوامل النجاح فيها؛ لذا، من يفتقر إلى الرفق يُحرَم من بركات تلك العلاقات.

وأخيراً، في موضوع أكثر إثارة، أُشير إلى قضية المصيبة، التي

(١)- الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجَرِبَةِ» [نهج البلاغة، الكتاب ٧٨].

(٢)- «بِالْعَقْلِ تُدْرِكُ الدَّارَانَ جَمِيعًا، وَمَنْ حُرِمَ مِنَ الْعَقْلِ حُرِمَ مَهُمَا جَمِيعًا» [كشف الغمّة، ج ٢، ص ١٩٧].

(٣)- «الْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ الْوَصِيَّةُ» [كنز العمال، ح ٤٦٠٥١].

(٤)- «مَنْ حُرِمَ الرَّفْقُ فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ» [تحف العقول، ح ٤٩].

هي موضوع نقاشنا الأساسي. نحن نعدّ وقوع المصائب علامةً على الحرمان، ولكن وفقاً للروايات، المحروم الحقيقي هو من يُحرّم من ثواب الصبر على المصيبة. سيتم الإشارة لاحقاً إلى أنّ إحدى فلسفات المصاعب في الحياة هي التمهيد لنيل الثواب. المصاب الذي ينال أجر الصبر على مصيبته ليس بمحروم. بعد وفاة النبي ﷺ، وعندما حان وقت التعزية، جاء شخصٌ كان أهل البيت عليه السلام يسمعون صوته لكنهم لا يرونه، وقال في جزءٍ من حديثه: «فَإِنَّ الْمُصَابَ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابُ»^(١)، هذا يُظهر أنّ وقوع المصيبة وحده ليس حرماناً، ولكن فقدان ثوابها هو الحرمان الحقيقي.

في روايةٍ أخرى، يُوَضِّح الإمام الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمار مفهوم المصيبة الحقيقية بقوله: «لَا تَعْدَنَّ مُصِيبَةً أُعْطِيتَ عَلَيْهَا الصَّبْرَ، وَاسْتَوْجَبْتَ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) الثَّوَابَ، إِنَّمَا الْمُصِيبَةُ الَّتِي يُحْرَمُ صَاحِبُهَا أَجْرَهَا وَثَوَابُهَا إِذَا لَمْ يَصْبِرْ عِنْدَ نَزْوِلِهَا»^(٢).

مصطلح الخسران

يمكن أيضاً ملاحظة معنى الحرمان ومفهومه في الآيات

(١)- المعجم الكبير، ج٣، ص١٢٩، ح٢٨٩٠؛ الأمالي، الصدوق، ص٣٤٨، ح٤٢١؛ روضة الواعظين، ص٨٢؛ بحار الأنوار، ج٢٢، ص٥٠٤، ح٤.

(٢)- الكافي، ج٣، ص٢٢٤، ح٧؛ مسكن القواد، ص٥٧؛ تحف العقول، ص٣٧٥؛ بحار الأنوار، ج٨٢، ص٩٠، ح٤٣.

والروايات المتعلقة بالخُسران. في هذه النصوص، تم ذكر أمثلة متعددة، وأحد أهمّها الإضرار بالنفس، إذ لا يفقد الإنسان المال والثروة فقط، بل أيضًا صحّته وأمنه، بل يخسر كيان وجوده الإنساني بأكمله. يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ فُسِّرَت عبارة (خسروا أنفسهم) بأنّها تعني (غبنوا أنفسهم)، أي أضروا بأنفسهم^(١).

ذكر العلامة الطباطبائي رحمته الله في تفسيره لهذه الآية أنّ كلمة (خسر)، و(خسران) تعنيان فقدان رأس المال، سواء كله أم بعضه. وكلمة (خسران) أكثر دلالة من كلمة (خسر)، و(خسران النفس) تعني أنّ الإنسان يُعرض نفسه للهلاك والشقاء، بنحو يُفقد استعداده للكمال وتبتعد عنه السعادة تمامًا. وخسارة الأهل تحمل المعنى ذاته، وهو ما يُعرف بالخسران الحقيقي.

خسران الدنيا بكلّ أشكاله، سواء كان في المال أم الجاه، زائلٌ وغير دائم، على عكس خسران يوم القيامة الذي لا نهاية له، فهو دائمٌ وأبدي. إذ لا يزول ولا ينقطع. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ المال والجاه إذا ضاعا بخسران، يمكن تعويضهما، وربما يُعوّضان بما يماثلهما أو بما هو أفضل منهما، بخلاف خسران

(١) - عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾: «غَبَنُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٤٨].

النفس الذي لا يمكن تعويضه مطلقاً.

في آيات من سورة هود، تم التطرق أيضاً إلى خسران النفس^(١). يكتب العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآيات أن الكفار أوقعوا الخسران في أنفسهم، والسبب في ذلك أن الإنسان يملك نفسه فقط، لكن ملكيته هذه ليست استقلالية، بل هي بتملك من الله تعالى. وعندما يشتري الإنسان شيئاً لنفسه يكون سبباً في هلاكه، ويبيع رأس ماله من عمره وماله وكل ما لديه، مقابل شراء الكفر والمعصية، يكون قد أوقع نفسه في خسارة، وهذه الخسارة صنعها بنفسه.

يقول الله تعالى في آية أخرى ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾، والجدير بالذكر أن هذه الآية ترجع سبب هذا الخسران إلى ظلمهم لآيات الله، وهو ظلم يتمثل في عدم الإيمان، كما أكد في الآية الثانية عشرة من سورة الأنعام^(٢). وهناك آيات وروايات أخرى تؤكد هذا المعنى^(٣).

(١)- ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ بِضَعِفَ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَا جَزَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (هود: ٢٠-٢٣).

(٢)- ﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢).

(٣)- سورة البقرة، الآية ٢٧-١٢١؛ سورة الزمر، الآية ٦٤-٦٥؛ سورة العنكبوت، الآية ٥٢؛ سورة الاعراف، الآية ٩٩؛ سورة آل عمران، الآية ٨٥-١٤٩؛ سورة المائدة، الآية ٥؛ سورة يونس، الآية ٤٥؛ سورة غافر، الآية ٧٨؛ سورة الحج، الآية ١١؛ سورة الأنعام، الآية ١٤٠؛ سورة النساء، الآية ١١٩؛ سورة المجادلة، الآية ١٩؛ سورة الكهف، الآية ١٠٣-١٠٤؛ سورة النمل، الآية ٤-٥.

وفقاً لبعض الآيات القرآنيّة، فإنّ هؤلاء سيكونون في عذابٍ دائمٍ يوم القيامة^(١). وهذا يتماشى مع ما ورد في تعريف السعادة، وهو أنّ نهاية السعادة الحقيقيّة لا تكون إلّا في نعيم الآخرة الأبدي. الذين يعانون من خسران أنفسهم يفقدون هذه النهاية السعيدة، أمّا من يخسر المال والثروة في الدنيا، فليس بالضرورة أن يصل إلى هذه النقطة من الشقاء.

الواقع هو أنّ وفرة الدنيا تؤدّي إلى نقصان في الآخرة، والعكس صحيح، نقصان الدنيا يؤدّي إلى وفرة الآخرة. هذه هي إحدى قوانين الحياة الدنيا. وبناءً على ذلك، لدينا نموذجان في هذا الصدد: الأول هو الربح في الدنيا الذي يُنتج خسران الآخرة (ربح الدنيا - خسران الآخرة)، والثاني هو الخسران في الدنيا الذي يُنتج ربح الآخرة (خسران الدنيا - ربح الآخرة). والآن يجب أن نرى أيّاً من هذين النموذجين أكثر مناسبة وأكثر نفعاً. إذا أخذنا في الاعتبار زوال الدنيا وقلة متاعها مقابل خلود الآخرة ونعيمها الذي لا مثيل له، فإننا بلا شكّ سنختار ربح الآخرة وقبول نقصان الدنيا؛ لأنّ الخسران الحقيقي هو فقدان الآخرة.

الإمام عليّ عليه السلام، بمقارنة هذين النموذجين، يؤكّد على أفضلية نموذج (خسران الدنيا - ربح الآخرة)، إذ يقول: «اعلموا

(١)- «وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ» (الشورى: ٤٤-٤٥).

أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِّمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا، فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ^(١)!

قاعدة (النقص المربح)، و(الزيادة المضرّة) من القواعد المهمّة في الحياة الدنيويّة، والتي يجب أخذها بعين الاعتبار عند تقييم المكاسب والخسائر. ينبغي أن يُعلم أن ليس كلّ ما هو غير محبوب يُؤدّي إلى الخسارة، وليس كلّ ما هو محبوب يُؤدّي إلى المكسب.

مصطلح الغبن

الغبن يعني الخسارة. ومن البديهي أن من يتعرّض للخسارة يكون غير راضٍ، ومن يحقّق المكاسب يكون راضيًا. هذان الموضوعان وردا في أدبيّات الدين تحت عنوان الغبن (الخسارة)، والغبطة (الهناء). وما يخصّ هذا النقاش هو مفهوم (الغبن).

بالنظر إلى تأثير الغبن على الرضا، يجب فهم معناه وتحديد مصاديقه. في الروايات، تم تفسير الغبن (الخسارة، الهزيمة) والمغبون (الخاسر) بمعانٍ دقيقة. ركّزت بعض الروايات على

(١)- نهج البلاغة الخطبة: ١١٢. وهنا توصيفات أخرى عنه ﷺ أيضًا:

«رُبَّ رَابِحٍ خَاسِرٍ» [غرر الحكم، ح ٥٢٧٥؛ عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٦٦، ح ٤٨٦٢]،

«رُبَّ رَابِحٍ يَوُولُ إِلَى خُسْرَانٍ» [غرر الحكم، ح ٥٣٠٨]،

«كُلُّ أَرْبَاحٍ الدُّنْيَا خُسْرَانٌ» [م.ن، ح ٦٨٥٨؛ عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٧٥، ح ٦٣٣٤]،

«الدُّنْيَا سُوقُ الْخُسْرَانِ» [غرر الحكم، ح ٣٩٦؛ عيون الحكم والمواعظ، ص ١٨، ح ١٨]؛

«الدُّنْيَا خُسْرَانٌ» [غرر الحكم، ح ١٩٩].

موضوع العمر، ومن هذا المنطلق فسّرت الغبن بأنّه خسارة مَنْ يقضي عمره في غير طاعة الله تعالى^(١).

عندما تُقارَن الدنيا بالآخرة، فإنّ أيّ مكسب من الدنيا يُعدّ خسارة بالمقارنة^(٢). لذلك، من ينشغل بالدنيا^(٣)، ويُهمل العمل للآخرة^(٤)، ويبيع الجنة مقابل معصية تافهة^(٥)، أو يُضَيِّع الفرصة لعبادة مثل صلاة الليل^(٦)، فإنّه مغبون. الجدير بالذكر أنّ النصوص الدينيّة تؤكد أنّ من يُضحيّ بالدين من أجل الدنيا، فإنّه في الواقع قد خسر نفسه ووجوده^(٧)، بينما من يسعى لتَهذيب نفسه يكون هو الرابع^(٨).

وورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «المَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ دِينَهُ، والمَغْبُوطُ مَنْ حَسَنَ يَقِينَهُ»^(٩)، كما نقل الإمام الصادق عليه السلام عن عيسى عليه السلام قوله لأصحابه: «يا بني آدم! اهربوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى

(١)- عن الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ الْمَغْبُونَ مَنْ غَبَنَ عُمُرَهُ، وَإِنَّ الْمَغْبُوطَ مَنْ أَنْفَذَ عُمُرَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ» [غرر الحكم، ج ٣٥٠٢].

(٢)- عن الإمام علي عليه السلام: «الدُّنْيَا صَفْقَةٌ مَغْبُونٍ، وَالْإِنْسَانُ مَغْبُونٌ بِهَا» [م، ن، ح ١٨٨٣].

(٣)- عن الإمام علي عليه السلام: «الْمَغْبُونُ مَنْ شَغِلَ بِالدُّنْيَا، وَفَاتَهُ حَظُّهُ مِنَ الْآخِرَةِ» [م، ن، ح ٢٠١٠].

(٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «التَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقَتْ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَيْبٌ» [نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٤].

(٥)- عن الإمام علي عليه السلام: «الْمَغْبُونُ مَنْ بَاعَ جَنَّةَ عَلَيْهِ، بِمَعْصِيَةِ دِينِهِ» [غرر الحكم، ج ١٣٥٢].

(٦)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «لَا تَدَعِ قِيَامَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ الْمَغْبُونَ مَنْ غَبَنَ قِيَامَ اللَّيْلِ» [معاني الأخبار، ص ٣٤٢، ح ١].

(٧)- عن الإمام علي عليه السلام: «الْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ» [نهج البلاغة، الخطبة ٨٦].

(٨)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَا الْمَغْبُوطُ إِلَّا مَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ نَفْسَهُ» [غرر الحكم، ج ٩٦٨٥].

(٩)- التمهيد، ص ٦١، ح ١٣٦.

اللّهِ، وَأَخْرِجُوا قُلُوبَكُمْ عَنْهَا؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَصْلُحُونَ لَهَا وَلَا تَصْلُحُ لَكُمْ، وَلَا تَبْقُونَ فِيهَا وَلَا تَبْقَى لَكُمْ، هِيَ الْخَدَاعَةُ الْفَجَاعَةُ، الْمَغْرُورُ مَنْ اغْتَرَّ بِهَا، الْمَغْبُورُ مَنْ اطمَأَنَّ إِلَيْهَا، الْهَالِكُ مَنْ أَحَبَّهَا وَأَرَادَهَا، فَتَوَبُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ وَاتَّقُوا رَبَّكُمْ، وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا^(١).

إنّ الخاسر هو مَنْ يضع ثقته في الدنيا. ولهذا يُوصى بالزهد فيها، والمغبون الحقيقي هو مَنْ يبيع دينه بدنيا فانية، وينسى الله وآخِرته، وليس مَنْ يخسر الدنيا. والسبب في ذلك هو أنّ وجود الإنسان مرتبط بالله ودينه، فالتخلّي عنهما يعني فقدان الذات.

مصطلح المصيبة

ورد في الروايات، أنّ كلّ ما يصيب المؤمن ويشعر تجاهه بالاستياء يُعدُّ (مصيبة)^(٢)؛ لذا فإنّ أموراً مثل: الخوف وانعدام الأمن، الفقر والجوع، نقصان المال والنفس والثمار^(٣)، وحتى

(١) - (الأمالي، الصدوق، ص ٦٥٠، ح ٨٨٤؛ روضة الواعظين، ص ٤٨٩).

(٢) - عن النبي ﷺ: «مَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِمَّا يَكْرَهُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ» [المعجم الكبير، ج ٨، ص ٢٠٤، ح ٧٨٣١؛ المصنّف، ابن أبي شيبة، ج ٦، ص ٢٥٩، ح ٣] وعنه ﷺ أيضاً: «كُلُّ شَيْءٍ سَاءَ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ» [عمل اليوم والليلة، ابن السّني، ص ١٢٧، ح ٣٥٣؛ كنز العمال، ج ٣، ص ٢٩٨، ح ٦٦٣٩].

(٣) - «كَبَلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» (البقرة: ١٥٥).

أُمُورًا بَسِيطَةً مِثْلَ انْقِطَاعِ الْمَصْبَاحِ لَيْلًا^(١) أَوْ انْقِطَاعِ شَرِيطِ الْحِذَاءِ^(٢)، تُعَدُّ مِنَ الْمَصَائِبِ.

من جهة أخرى، فقدان الأمور غير المادية -التي هي أهم من الأمور الماديّة- يُعَدُّ أَيْضًا مِنَ الْمَصَائِبِ. ومن هذه الأمور: فقدان الدين^(٣)، ومعصية الله^(٤)، والاستهانة بالمعصية^(٥)، وإنفاق المال

(١)- عن عكرمة: «إِنَّ مَصْبَاحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْطَفَأَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَقِيلَ: أُمُصِيْبَةٌ هِيَ؟! قَالَ: نَعَمْ، وَكُلُّ مَا آذَى الْمُؤْمِنَ فَهُوَ مُصِيبَةٌ» [تفسير القرطبي، ج ٢، ص ١٧٥].

(٢)- روى أبو إدريس الخولاني: «بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِذْ انْقَطَعَ شِسْعُهُ، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. قَالُوا: وَمُصِيبَةٌ هَذِهِ؟! قَالَ: نَعَمْ، كُلُّ شَيْءٍ سَاءَ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ» [عمل اليوم والليلة، ابن السني، ص ١٢٧، ح ٣٥٣؛ الدر المنثور، ج ١، ص ٣٨٠].

وروى أبو أمامة: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْقَطَعَ شِسْعُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: هَذَا الشِّسْعُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهَا مُصِيبَةٌ» [المعجم الكبير، ج ٨، ص ١٣٢، ح ٧٦٠٠]، و«انْقَطَعَ قِبَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَرْجَعَ، فَقَالُوا: أُمُصِيْبَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: مَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِمَّا يَكْرَهُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ» [المعجم الكبير، ج ٨، ص ٢٠٤، ح ٧٨٢٤؛ الدر المنثور، ج ١، ص ٣٧٩]. و«لَيْسْتَ رَجَعَ أَخَذَكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي شِسْعِ نَعْلِهِ، فَإِنَّهَا مُصِيبَةٌ» [عمل اليوم والليلة، ابن سني، ص ١٢٧، ح ٣٥٢؛ تنبيه الغافلين، ص ٢٥٩، ح ٣٤٤؛ كنز العمال، ج ٣، ص ٢٩٧، ح ٦٦٣٦].

(٣)- زيد بن صوحان: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!... أَيُّ الْمَصَائِبِ أَشَدُّ؟ قَالَ: الْمُصِيبَةُ بِالذِّنِّ» [كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٣، ح ٥٨٣٣؛ معاني الأخبار، ص ١٩٩، ح ٤؛ الأُمالي، الطوسي، ص ٤٣٦، ح ٩٧٤؛ الأُمالي، الصدوق، ص ٤٧٩، ح ٦٤٤].

(٤)- عن النبي ﷺ: «الْمَعْصِيَةُ مُصِيبَةٌ» [شعب الإيمان، ج ٥، ص ٣٨٨، ح ٧٠٤].

(٥)- عن الإمام الباقر ﷺ: «لَا مُصِيبَةَ كَاسْتِهَانَتِكَ بِالذَّنْبِ وَرِضَاكَ بِالْحَالَةِ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا» [تحف العقول، ص ٢٨٦؛ بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ١٦٥، ح ١].

في المعصية^(١)، والجهل^(٢)، والطمع في الدنيا^(٣)، والاحتياج في الآخرة^(٤). لذلك، فإنّ فقدان الأمور غير المادية يُعدُّ أيضاً جزءاً من مصائب الحياة، ولا يمكن حصر المصائب في فقدان الأمور الماديّة فقط.

رابعاً: تصحيح مقياس النعم

الإنسان ينظر فقط إلى النعم التي يرى بأنّها كبيرةٌ وقيمة، وما يُعدّ صغيراً لا يُحسب ضمن ممتلكاته، ولا يُؤدّي إلى الرضا والشكر؛ لذا، فإنّ إحدى القضايا المهمّة في هذا النقاش هي معيار قياس حجم النعم. قياس حجم النعم يتمّ بناءً على معيار خاص. يجب أن نرى أيّ معيارٍ يُؤدّي إلى الشكر، وأيّ معيارٍ يُؤدّي إلى الجحود.

ذكر سابقاً أنّ تصغير النعم يُؤدّي إلى الجحود وعدم الرضا. هذا بسبب أنّ قياس الظواهر يتمّ باستخدام معيار المادّة الخاصّ بها. الظواهر من حيث المادّة تتراوح بين أصغر وأكبر، وجميعها

(١)- عن الإمام علي عليه السلام: «إنّ إنفاق هذا المال في طاعة الله أعظمُ نعمة، وإنّ إنفاقه في معاصيه أعظمُ محنة» [غرر الحكم، ح ٣٣٩٢].

(٢)- عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا مُصيبةَ كعدمِ العقل» [تحف العقول، ص ٢٨٦].
عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا مُصيبةَ أعظمَ من الجهل» [الاختصاص، ص ٢٤٦].
عن الإمام علي عليه السلام: «من أشدّ المصائب غلبَةُ الجهل» [غرر الحكم، ح ٩٣٠١]. وأيضاً، م ن، ح ٢٨٤٤.

(٣)- عن الإمام علي عليه السلام: «أعظمُ المصائب والشقاء الولةُ بالدنيا» [م ن، ح ٣٠٨١]. و«شرُّ المَحَن حُبُّ الدنيا» [م ن، ح ٥٧٢١].

(٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «ما أصغرُ المُصيبةَ معَ عَظمِ الفاقةِ غَدًا» [الكافي، ج ٨، ص ٢٤، ح ٤؛ كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٧، ح ٥٨٨٠].

موجودة في الحياة؛ لذلك، إذا استخدم معيار المادة، فإنَّ بعض الأمور ستُقيَّم على أنَّها صغيرة، ممَّا يؤدي إلى الجحود وعدم الرضا.

في المقابل، من العوامل التي تؤدي إلى الشكر هو تعظيم النعم. عندما يُعظَّم الإنسان ما لديه، يشعر بالتمتُّع، وهذا الشعور يجلب معه الرضا. لذلك، للوصول إلى الرضا يجب أن يُعظَّم الإنسان ما لديه. وإنَّ تعظيم النعم يحتاج إلى أساس، والأساس يمكن أن يكون (واهب النعمة)، وليس النعمة ذاتها. الظواهر لها بُعد آخر يتعلَّق بواهب النعمة. يقول النبي ﷺ في هذا الصدد: «أوحى الله (عزَّ وجلَّ) إلى عزيز: يا عزيز! إذا أُوتيت رزقاً مني فلا تنظر إلى قلَّته، ولكن انظر إلى من أهده»^(١).

لذلك، من خلال هذه الطريقة يمكن للإنسان أن يعظَّم ما لديه في الحياة، لكي يصل إلى شعور التمتع والرضا. ولهذا السبب، قال الإمام الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي: «استكثرْ لنفسك من الله قليلَ الرزق؛ تخلصاً إلى الشكر»^(٢). علاوةً على ذلك، التعظيم يؤدي إلى بركة النعمة وزيادة الرزق، ممَّا يزيد من مستوى الرضا. الشخص الذي يعدّ الرزق القليل قليلاً يحرم من الرزق الكثير^(٣).

(١)- الدعوات: ١٦٩، ح ٤٧٢.

(٢)- تحف العقول: ٢٨٥.

(٣)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ اسْتَقَلَّ قَلِيلَ الرِّزْقِ حُرِمَ الْكَثِيرُ» [الكافي، ج ٥، ص ٣١١، ح ٣٠؛ تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ٢٢٧، ح ٩٩٣].

عن عبد الرحمان بن عبد الله بن قريب وزيد بن أكرم: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَقَدْ سَأَلَهُ، وَقَدْ أَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ، فَتَسَخَّطَهُ الزُّبَيْرِيُّ فَاسْتَقَلَّهُ، فَأَغْضَبَ الْمَنْصُورَ ذَلِكَ مِنَ الزُّبَيْرِيِّ حَتَّى بَانَ فِيهِ الْغَضَبُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ جَعْفَرٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَعْطَى عَطِيَّةً طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ بوركَ لِلْمُعْطَى وَالْمُعْطَى. فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَيْتُهُ وَأَنَا غَيْرُ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، وَلَقَدْ طَابَتْ بِحَدِيثِكَ هَذَا. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الزُّبَيْرِيِّ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ اسْتَقَالَ قَلِيلَ الرِّزْقِ حَرَمَهُ اللَّهُ كَثِيرَهُ. فَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ عِنْدِي قَلِيلًا وَلَقَدْ كَثُرَ عِنْدِي بِحَدِيثِكَ هَذَا. قَالَ سُفْيَانُ: فَلَقِيتُ الزُّبَيْرِيَّ فَسَأَلْتُهُ عَنْ تِلْكَ الْعَطِيَّةِ، فَقَالَ: لَقَدْ كَانَتْ نَزْرَةً قَلِيلَةً فَقَبِلْتُهَا فَبَلَغَتْ فِي يَدَي خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ^(١).

وعن الحسن بن بسّام الجمّال: كُنْتُ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ الصَّيْرَفِيِّ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَطْلُبُ غَلَّةً بَدِينَارٍ، وَكَانَ قَدْ أَغْلَقَ بَابَ الْحَانُوتِ وَخَتَمَ الْكَيْسَ، فَأَعْطَاهُ غَلَّةً بَدِينَارٍ، فَقُلْتُ لَهُ: وَيَحْكُ يَا إِسْحَاقُ! رَبَّمَا حُمِلَتْ لَكَ مِنَ السَّفِينَةِ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ: فَقَالَ لِي: تَرَى كَانَ لِي هَذَا! لَكِنِّي سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام

(١)- كنز العمال، ج ٦، ص ٥٦٦، ح ١٦٩٦٠؛ مستدرک الوسائل، ج ٧، ص ٢٧٣، ح ٨٢١٣.



يَقُولُ: «مَنْ اسْتَقَلَّ قَلِيلَ الرِّزْقِ حُرِمَ كَثِيرُهُ». ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ:
يَا إِسْحَاقُ! لَا تَسْتَقِلَّ قَلِيلَ الرِّزْقِ فَتُحْرِمَ كَثِيرَهُ^(١).

خامساً: تصحيح نمط تقييم الحاضر

البلاء والمشكلة يؤثّران في لحظة الحاضر، ولذلك يصبح الحاضر موضع تقييم الإنسان. وقد يكون هذا الحكم إيجابياً أو سلبياً، ممّا يؤدّي إمّا إلى زيادة الضغط النفسي وإمّا إلى تخفيفه. ومن هنا فإنّ نمط التقييم الذي نتبناه للحاضر يؤدّي دوراً مهماً في تحقيق الرضا.

ما يجعل الوضع غير قابل للتحمّل هو التقييم الذي يركز على المشكلة فقط، بمعنى أنّ البلاء يُعدّ الجانب الوحيد الموجود في الحياة. في هذه الحالة، يشعر الإنسان بأنّه يعيش في فضاء مظلم وضيق لا يوجد فيه أيّ نافذة للتنفّس. إذا نظر الإنسان إلى الحياة بوصفها مرارة وصعوبة كلّها، تصبح حياة مرهقة وغير محتملة. عند مواجهة مشكلة، قد يحدث تعميم للآثار السلبية لتشمل الماضي والمستقبل وجميع أبعاد الحاضر. وفي بعض الحالات، قد يحدث تركيز شديد على الجوانب السلبية للحاضر دون النظر إلى أيّ شيء آخر. ومع هذا التعميم أو التركيز، لا يبقى أيّ جانب إيجابي يمكن للإنسان أن يتعلّق به، ليبقى الأمل حيّاً، ويساعده في تجاوز المشكلات.

التقييم المعتمد على الجوانب الإيجابية

يستند التقييم المعتمد على الجوانب الإيجابية إلى مبدأ رؤية الجوانب الإيجابية الأخرى في الحياة. هذا النموذج من التقييم يوجّه انتباه الشخص المتألم من المصائب من المشكلات والصعوبات إلى الجوانب الجيدة والجماليات. في الحقيقة، التفكير الإيجابي هو وسيلة لإعادة التركيز من الأمور السلبية إلى الأمور الإيجابية. قد نواجه مشاكل في جانب من جوانب حياتنا، ولكن في المقابل نجد جوانب أخرى إيجابية خالية من المشكلات. إذا كانت هناك أمور سارة إلى جانب المشكلات، فإنّها تخفّف من شدة التوتر. تعمل هذه الطريقة على إدخال عناصر مفرحة ومبهجة إلى الحالة النفسية للشخص المتضرر، ممّا يقلل من حدة آلامه ومعاناته.

ومع ذلك، لا يُقصد بالتفكير الإيجابي هنا التخیل الإيجابي فقط؛ فالتخیل الإيجابي، لافتقاده للأساس الواقعي، يشبه الخداع الهشّ وغير الفعال. الطريقة التي يوصي بها الدين في هذا المجال ليست مبنية على الأوهام، بل التفكير الإيجابي في الدين يعتمد على اكتشاف الحقائق المبهجة. لا يسعى الدين لدفعك إلى الأوهام أو القصص الخيالية، بل يهدف إلى مساعدتك في اكتشاف جماليات حياتك الواقعية وإضافتها إلى حسابك بجانب كلّ مشاكلك.

هذا ما يمكن أن نسمّيه (التفكير الإيجابي الواقعي)، وهو لا يعني خلق خيالاتٍ ممتعة، بل يعني التعرّف على الأمور المبهجة الموجودة فعلاً. لذلك، فإنّه يعتمد على (معرفة الإيجابيات). قد تكون هناك نقاطٌ إيجابيةٌ وأمورٌ تبعث على الأمل، لكنّها قد لا تُدرك أو تُلاحظ. وما يمنح النقاط الإيجابية في الحياة خاصية تهدئة النفس هو فهمها والتركيز عليها. بناءً عليه، عندما يواجه الإنسان حادثةً ما ويركز على الأمور السلبية أو يعممها، فإنّ أفضل طريقةٍ لتخفيف التوتر هي إعادة التوازن من خلال معرفة الإيجابيات.

في مواقف التوتر، توجد العديد من النقاط الإيجابية التي يمكن من خلالها تخفيف التوتر النفسي وتحقيق الرضا. الأهمّ هو تحديد هذه النقاط الإيجابية والانتباه إليها. عندما تُحدد هذه النقاط، فإنّ الشعور بالرضا يتشكّل حتى مع وجود المشكلات.

بناءً على ما سبق، كان المعصومون (عليه السلام) يوجّهون الناس إلى النقاط الإيجابية التي يمتلكونها أثناء معاناتهم من المشاكل. وستطرّق فيما يأتي إلى المجالات التي يمكن العثور فيها على الجوانب الإيجابية في الحياة:

أولاً: التجارب الإيجابية السابقة

من نتائج المواقف السلبية التركيز على الأمور غير السارة ونسيان التجارب الإيجابية الماضية، ممّا يؤدي إلى الانفصال عن

الماضي الإيجابي والمواقف المبهجة السابقة. في هذه الحالة، تفقد التجارب الإيجابية السابقة قدرتها على تهدئة النفس وتعزيز الأمل، ويبدو كل شيء وجميع الفترات مليئة بالسلبية. هذا التضخيم يزيد من الضغط النفسي ويجعله غير محتمل.

في حين أن التجارب الإيجابية السابقة تشكل أحد مصادر القوة في مواجهة المشكلات. إذا قُورنت الأمور السلبية بالتجارب الإيجابية السابقة، فإنها تفقد أهميتها المبالغ فيها. رؤية القليل من المتاعب ممن قدم لنا كثيراً من الخير لا تُزعجنا ولا تجعلنا نفقد صبرنا. مثل هذه المتاعب تبدو تافهة وغير مرئية بجانب السعادة الأخرى. الأشخاص الذين يصابون بالضيق الشديد عند مواجهة حادثٍ سلبي لا يرون الأحداث الإيجابية الأخرى في حياتهم.

لهذا السبب، تُعدّ استعادة الذكريات السعيدة والتجارب الإيجابية الماضية إحدى الطرق لتخفيف التوتر. بناءً عليه، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «لا خيرَ في عبدٍ شكَا من مِحْنَةٍ تَقَدَّمَهَا أَلْفُ نِعْمَةٍ وَاتَّبَعَهَا أَلْفُ رَاحَةٍ»^(١).

كان أحد تجار المدينة ممن له علاقة بالإمام الصادق (عليه السلام) ميسوراً ثم تغيرت أحواله المالية، فجاء يشكو للإمام. فقام الإمام (عليه السلام) بتهدئته من خلال تذكيره بحياته المزدهرة السابقة^(٢).

(١)- مسكن الفؤاد: ٥٢.

(٢)- «ولا تجزع وإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في زمنٍ طویلٍ» [كشف الغمة، ج ٢، ص ١٦٢].

الثاني: النعم الإيجابية الأخرى في الحاضر

رغم أنَّ المصيبة تحدث في الحاضر وتؤثر فيه، إلا أنَّه ينبغي أنْ نعلم أنَّ السوء لا يشمل جميع جوانب الحاضر. الحادثة تقع في بُعدٍ أو عدَّة أبعاد فقط، أمَّا الأبعاد الأخرى من الحاضر فهي خالية منها.

غالبًا ما نعمم الجوانب السلبية للماضي والمستقبل، ونتجاهل الجوانب الإيجابية فيهما. حتى في الحاضر، قد نعمم السوء الذي يصيب بُعدًا معينًا ليشمل جميع أبعاد الحاضر، أو نتجاهل الأبعاد الأخرى تمامًا، وكأنَّها غير موجودة. من الواضح أنَّ هذا يزيد من الضغط النفسي.

لكن في الواقع، السوء يخصُّ فقط بعض الأبعاد الزمنية الحاضرة. وبجانب الجوانب السلبية، توجد جوانب إيجابية ربما تكون أكثر أهمية. ولذلك، يمكن للانتباه إلى هذه الإيجابيات أنْ يقلِّل من دائرة السوء ويزيد من مستوى الرضا عن الحياة.

قال الإمام علي عليه السلام: «إِذَا طَلَبْتَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا فَرُؤِي عَنكَ، فَادْكُرْ مَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ دِينِكَ، وَصَرَفَهُ عَنْ غَيْرِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ تَسْخُو بِمَا فَاتَكَ»^(١).

في التاريخ، نجد أنَّ بعض الأشخاص الذين كانوا يعانون

(١) - كنز الفوائد، ص ٣٤٥؛ فقه الرضا، ص ٣٦٠؛ بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٤٥.

من مشاكل وضغوط نفسية عندما لجأوا إلى الأئمة عليهم السلام، وجدوا الشفاء بأسلوب مشابه. مثال ذلك أبو هاشم الجعفري، الذي كان يعاني من ضيق شديد، فعندما لجأ إلى الإمام الهادي عليه السلام، هدّاه الإمام من خلال توضيح النعم التي يملكها، ممّا جعله يشعر بالراحة^(١).

وضع المصاعب بجانب الإيجابيات يؤدي إلى نتيجتين:

تقليل حجم المشكلة.

لفت الانتباه إلى النقاط الإيجابية التي تلتطف الأجواء النفسية.

الثالث: الجانب الإيجابي لتخفيف المسؤوليات

من الجوانب الإيجابية للفترة الصعبة هي تقليل المسؤوليات. فالممتلكات تجلب المسؤولية، ومن يُحرم من نعمة ما يُعفى من بعض التكاليف.

غالبًا ما نركز على فقدان النعمة، لكن الوجه الآخر لفقدانها هو تخفيف المسؤوليات، وهو بحد ذاته نعمة؛ ولذلك، فإنّ

(١)- وَرَوَى عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَصَابَنِي ضِيقٌ شَدِيدٌ فَصَرْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي، فَلَمَّا جَلَسْتُ قَالَ: «يَا أَبَا هَاشِمٍ! أَيُّ نِعَمٍ اللَّهُ عَلَيْكَ تُرِيدُ أَنْ تُؤْذِيَ شُكْرَهَا؟» قَالَ أَبُو هَاشِمٍ: فَوَجُمْتُ فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ لَهُ، فَأَبْتَدَأَنِي عليه السلام فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) رَزَقَكَ الْإِيمَانَ فَحَرَمَ بِهِ بِدَنَكَ عَلَى النَّارِ، وَرَزَقَكَ الْعَافِيَةَ فَأَعَانَكَ عَلَى الطَّاعَةِ، وَرَزَقَكَ الْقُنُوعَ فَصَانَكَ عَنِ التَّبَذُّلِ، يَا أَبَا هَاشِمٍ! إِنَّمَا ابْتَدَأْتُكَ بِهَذَا لِأَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَشْكُو لِي مِمَّنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ دِينَارٍ فَخُذْهَا» [كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠١؛ الأمالي، الصدوق، ص ٤١٢].

الانتباه إلى هذا الجانب يمكن أن يقلل الضغط النفسي الناتج عن فقدان النعمة، ويمنح الإنسان الرضا والطمأنينة.

يبدو أن أحمد بن محمد بن أبي نصر كان يواجه مشكلة، فهو يقول بنفسه: ذَكَرْتُ لِلرِّضَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَيْئًا فَقَالَ: «اصْبِرْ؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَصْنَعَ اللَّهُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». ثُمَّ قَالَ: «فَوَاللَّهِ مَا آخَرَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا خَيْرٌ لَهُ مِمَّا عَجَلَ لَهُ فِيهَا». ثُمَّ صَغَرَ الدُّنْيَا وَقَالَ: «أَيُّ شَيْءٍ هِيَ؟!»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ صَاحِبَ النِّعْمَةِ عَلَى خَطَرٍ؛ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ حُقُوقُ اللَّهِ فِيهَا. وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَتَكُونُ عَلَى النِّعَمِ مِنَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) فَمَا أَزَالَ مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ -وَحَرَكَ يَدَهُ- حَتَّى أُخْرِجَ مِنَ الْحُقُوقِ الَّتِي تَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهَا». فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! أَنْتَ فِي قَدْرِكَ تَخَافُ هَذَا؟! قَالَ: «نَعَمْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيَّ»^(١).

بناءً على ذلك، فإنَّ أحد الجوانب الإيجابية لفقد النعمة هو تقليل المسؤولية والحرية من التكليف وتبعاته.

سادساً: تصحيح التصوُّر عن التكليف

أوامر الله (عزَّ وجلَّ) تتضمَّن مجموعةً من الواجبات والمحظورات التي تشكل منظومةً واحدةً تُسمَّى (الدين). والعمل بها يُسمَّى (الطاعة)، وعدم العمل بها يُسمَّى (المعصية).

(١) - الكافي، ج ٣، ص ٥٠٢، ح ١٩.

المسألة المهمة هي أن أوامر الله (عز وجل) ونواهيه غالباً ما تتعارض مع رغبات البشر. من يريد العمل بأوامر الله عليه أن يقبل بما لا يحب (الطاعة)، ويتجنب ما يحب (المعصية). وفقاً لرواية عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جَبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ حُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَلَّا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».

ولهذا السبب، كان النبي ﷺ يقول دائماً: «أَلَا إِنَّ الْآخِرَةَ الْيَوْمَ مُحَقَّقَةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ الدُّنْيَا مُحَقَّقَةٌ بِالشَّهَوَاتِ»^(١).

الإمام علي عليه السلام، بنقل هذا الحديث واستناداً إلى هذا المبدأ كان يقول: «واعلموا أنه ما من طاعة لله شيء إلا يأتي في كره، وما من معصية لله شيء إلا يأتي في شهوة»^(٢).

(١)- المعجم الكبير، ج ١٩، ص ٢٠٠.

(٢)- نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

السؤال هنا: إذا كان الوضع كذلك، فما هو تفسير الرضا بالتكليف؟

أولاً: الإنسان والفائدة في التكليف

من الأسباب المهمة والأساسية لعدم الرضا عن أوامر الشريعة هو التصوّر الخاطئ لسبب التشريع والجهل بحكمته. وبما أنّ الإنسان كائن هدفه تحقيق مصلحته، فإنّه ينفر من الأمور التي لا يرى لها منفعة. فإذا ظنّ الشخص أنّ عملاً ما لا يحبه ويجب عليه القيام به أو عملاً يحبه ويجب عليه تركه لا يعود عليه بأيّ فائدة، فإنّه سيشعر بعدم الرضا تجاهه.

إحدى الاعتقادات الخاطئة حول الشريعة هي أنّ أوامر الشريعة وضعت لتحقيق مصالح الدين وأن فوائدها تعود إلى الله سبحانه وتعالى. هذا الاعتقاد -الذي يمكن تسميته بـ(الفائدة الإلهية)- وإن كان ربّما مخفياً، غير أنّه يؤدّي إلى الشعور بعدم الرضا عن الشريعة. وأول خطوة نحو تحقيق الرضا عن التشريع هي إزالة هذا التصوّر الخاطئ.

الحقيقة هي أنّ الله سبحانه وتعالى ودينه في غنى عن عبادات البشر. بل البشر هم الذين يحتاجون إلى الشريعة كبرنامج للسعادة الأبدية. وقد صرّحت النصوص الدينية، بعدم منفعة الله تعالى من طاعة عباده، ونفي أيّ ضرر يناله من

معصيتهم، مع التأكيد على غناه عن عبادة العباد.

بناءً على هذه الحقيقة، يقول الإمام علي عليه السلام مخاطباً الله (عز وجل): «لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لَوْحِشَةٍ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ... وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانُكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ»^(١).

من جهة أخرى، في بعض النصوص الدينية، نُسب ضرر المعصية إلى الإنسان نفسه، وليس إلى الله (عز وجل)^(٢).

بناءً على ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى لا يستفيد شيئاً من طاعة وعبادة عباده. أوامر الشريعة لا تعود إلا بالنفع على الإنسان، وكل منافعها تعود إليه هو. هذه إحدى الحقائق الأساسية في مجال التشريع التي لم يُلفت إليها كثيراً. والاهتمام بهذه الحقيقة -التي يمكن تسميتها بـ(الفائدة الإنسانية)- يؤدي إلى تحقيق الرضا عن التشريع واستحضار الشعور الإيجابي تجاه التكليف.

وبناءً على ذلك، تم التأكيد في النصوص الدينية على محورية الإنسان في الفوائد والأضرار الناتجة عن الطاعة والمعصية:

(١)- نهج البلاعة، الخطبة: ١٠٩، ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «إِلَهِي! الطَّاعَةُ تَسْرُكُ وَالْمَعَاصِي لَا تَضُرُّكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِي مَا يَسْرُكُ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ» [الصحيفة السجادية، ج ٢، ص ٤٨٥].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنَّ الطَّاعَةَ تَسْرُكُ، وَالْمَعْصِيَةَ لَا تَضُرُّكَ، فَهَبْ لِي مَا يَسْرُكُ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ» [الأمالي، الصدوق، ص ٤٣٩].

(٢)- ... «وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» (النساء: ١٣٦).

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧).

ذات يوم قال الإمام علي عليه السلام: «ما أحسنتُ إلى أحد قط! فَرَفَعَ النَّاسُ رُؤُوسَهُمْ تَعَجُّبًا، فَقَرَأَ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعَصِيهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا»^(٢). وقد ورد هذا المضمون عن بقية المعصومين (عليهم السلام) أيضًا^(٣).

يقول إسماعيل بن جابر: كتب الإمام الصادق عليه السلام رسالةً إلى أصحابه وأمرهم بأن يقرأوها دائماً، ويتأملوا فيها، ويهتموا بها ويعملوا بمقتضاها. ولذا كانوا يضعون هذه الرسالة في مصلى منازلهم ويتدبرونها بعد الصلاة. وفي بعض أجزاء هذه الرسالة، ومع التأكيد على التفكير بمنطق (الإنسان - المستفيد)،

(١)- نثر الدر، ج ١، ص ٢٩٣.

(٢)- سنن أبي داود، ج ١، ص ٢٤٦، ح ١٠٩٧.

(٣)- عن الإمام الحسن عليه السلام: «مَنْ أَطَاعَهُ رَشَدَ وَمَنْ عَصَاهُ غَوَى» [بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٥١].
عن الإمام الباقر عليه السلام في خطبة الجمعة: «مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعَصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى. أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَنْفَعُ بِطَاعَتِهِ مَنْ أَطَاعَهُ وَالَّذِي يَضُرُّ بِمَعْصِيَتِهِ مَنْ عَصَاهُ» [الكافي، ج ٣، ص ٤٢٢، ح ٦].

عن الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَكُنْ سَبِيلَ الرَّشَادِ سَبِيلَهُ وَنُورُ التَّقْوَى دَلِيلَهُ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُخْطِئِ السَّدَادَ كُلَّهُ، وَلَنْ يَضُرَّ إِلَّا نَفْسَهُ» [الكافي، ج ٥، ص ٣٧١].

تم التركيز على طاعة الله واجتناب معصيته^(١).

وبعبارة أخرى، فإن للطاعة والمعصية حقيقتين مزدوجتين: ظاهر وباطن. فالظاهر الظاهر للطاعة يبدو غير مريح، وظاهر المعصية يبدو جذاباً، ولكن الباطن والخفي للطاعة واجتناب المعصية يحملان الخير والمنفعة؛ لأنهما وُضعا وفق مصالح الإنسان. قد تبدو الطاعة واجتناب المعصية غير مريحين ظاهرياً، ولكنهما في الواقع خيرٌ للإنسان؛ لأنّ الحلال والحرام الإلهيين يتبعان مصالح الإنسان ومفاسده. والخالق الذي خلق الإنسان يعلم تماماً ما ينفعه وما يفسده؛ ولهذا وضع الحلال والحرام بناءً على ذلك.

القوانين الإلهية مبنية على مصالح ومفاسد حقيقية للإنسان،

(١)- «وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا ذَكَرَهُ بِخَيْرٍ، فَأَعْطُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ الْجِتْهَادَ فِي طَاعَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُدْرِكُ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ فِي ظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَبَاطِنِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قَالَ فِي كِتَابِهِ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنِّمِ وَبَاطِنَهُ﴾. وَعَلِمُوا أَنَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ تَجْتَنِبُوهُ فَقَدْ حَرَّمَهُ، وَاتَّبَعُوا آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَّتِهِ، فَخَذُوا بِهَا، وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَكُمْ وَآرَاءَكُمْ فَتَضَلُّوا، فَإِنَّ أَضَلَّ النَّاسَ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَرَأْيَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، وَأَحْسَنُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾... وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا مَنْ دُونَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ إِلَّا طَاعَتُهُمْ لَهُ، فَاجْتَهَدُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ إِنْ سَرَّكُمْ أَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَقَالَ: وَعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ رَبِّكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ. وَعَلِمُوا أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْإِسْلَامُ، فَمَنْ سَلَّمَ فَقَدْ أَسْلَمَ، وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ فَلَا إِسْلَامَ لَهُ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْلَغَ إِلَى نَفْسِهِ فِي الْإِحْسَانِ فَلْيُبْلَغْ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فَقَدْ أَلْبَغَ إِلَى نَفْسِهِ فِي الْإِحْسَانِ. وَإِيَّاكُمْ وَمَعَاصِيَ اللَّهِ أَنْ تَرْكُوبَهَا؛ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّهَكَ مَعَاصِيَ اللَّهِ فَكَرِهَهَا، فَقَدْ أَلْبَغَ فِي الْإِسَاءَةِ إِلَى نَفْسِهِ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ مَنَزَلَةٌ، فَلَا هَلْ الْإِحْسَانُ عِنْدَ رَبِّهِمُ الْجَنَّةُ، وَلَا هَلْ الْإِسَاءَةُ عِنْدَ رَبِّهِمُ النَّارُ، فَاعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاجْتَنِبُوا مَعَاصِيَهُ» [الكافي، ج ٨، ص ٧، ح ١].

وليست مجرد أهواء عابرة ومشاعر مدمرة^(١). لذلك فإنَّ القضاء التشريعي لله أيضاً قائمٌ على الخير، وهو ما يمكن أن يكون أساساً قوياً للرضا.

ثانياً: تحمّل الدين

الإنسان كائن يسعى للراحة ويهرب من المشقة. لذلك، إحدى التقييمات التي يجربها الإنسان تجاه بعض الأمور، ومنها الدين، هي تقييم مدى التحمّل. فإذا شعر الإنسان بأنَّ أمرًا ما يفوق قدرته، سيشعر بعدم الرضا، وإذا كان سهلاً وضمن حدود طاقته، سيشعر بالرضا. إذا قُيِّم الدين على أنَّه صعب ويتجاوز حدود الطاقة، فإنَّه يؤدي إلى الشعور بعدم الرضا والابتعاد عنه، وإذا قُيِّم على أنَّه سهل ويتناسب مع الطاقة، فإنَّه يولد الميل والرغبة فيه والرضا به.

يعتقد البعض أنَّ الدين يتضمن أوامر صعبةً وشاقةً ومرهقة، وليس له هدف سوى إرهاق أتباعه. الإنسان بطبيعته يهرب من كلِّ ما يسبب له العناء ويشعره بالمعاناة. وهذا التصوّر يخلق شعوراً بعدم الرضا لدى الفرد.

الدين ليس شيئاً يسبب عدم الرضا. العامل الرئيس لعدم

(١) - عن الإمام الباقر (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَمْ يُحَرِّمْ ذَلِكَ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَحَلَّ لَهُمْ مَا سِوَى ذَلِكَ، مِنْ رَغْبَةٍ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ، وَلَا زُهْدٍ فِيمَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ فَعَلِمَ مَا يَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمْ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ؛ فَأَحَلَّهُ لَهُمْ وَأَبَا حَهُ، وَعَلِمَ مَا يَضُرُّهُمْ فَتَنَاهُمْ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ» [علل الشرائع، ج ٢، ص ٤٨٤].

الرضا التشريعي هو الجهل بالشرعية. مع فهم الطبيعة الحقيقية للدين، يتحقق الرضا التشريعي. لذلك، ركزت بعض النصوص الدينية على تقديم خصائص الدين. في النصوص الدينية، يُذكر الدين على أنه شريعة سهلة وميسرة. هذه الحقيقة وردت أحياناً بتعبير (السمحة). الله يحب اليسر للناس، ويكره لهم العسر والمشقة^(١). لهذا السبب، أشار رسول الله ﷺ إلى دين الله على أنه دين ميسر وسهل^(٢)، وأعلن «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفَةِ السَّمْحَةِ»^(٣).

هذا هو الإطار العام للدين. في بعض النصوص الدينية، تم نفي أي أساس للتشدد. قد يعتقد بعضهم أن التكليف الدينية ليست سوى تشددات غير مبررة. هذا التصور أيضاً يثير النفور من الشريعة، ولكن هذا التصور غير صحيح. يؤكد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ويقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٤). وعلى هذا الأساس، فإن ما شرعه الله سبحانه وتعالى يتمشى مع قدرة البشر. وفي إجابة الإمام علي عليه السلام عن سؤال حول معنى «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، قال: «إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكْنَا، فَمَتَى مَلَكْنَا مَا هُوَ

(١)- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْيُسْرَ، وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ» [الجامع الصغير، ج ١، ص ٢٦٧، ح ١٧٤٢].

(٢)- «إِنَّ دِينَ اللَّهِ الْحَنِيفَةَ السَّمْحَةَ» (دستور معالم الحكم، ج ٢، ص ١٠٤، ح ٦٣١)، «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ» [م.ن.].

(٣)- عوالي اللآلي، ص ٣٨١، ح ٣؛ الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٩٢.

(٤)- سورة البقرة، الآية ١٨٥. وأيضاً: سورة الأعلى، الآية ٨.

أَمَلَكُ بِهِ مَنَا كَلَفْنَا، وَمَتَى أَخَذَهُ مَنَا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَا»^(١). والإمام الصادق عليه السلام أيضًا أكد على مبدأ (توافق التكليف مع القدرة)^(٢).

الناس يميلون إلى ما هو ميسر ويرضون به، ويتعدون عن كل ما هو شاق وصعب. يبدو أن المشكلة في هذا السياق ليست في طبيعة الدين ذاته، بل إما الجهل بحقيقة الدين والتصور الخاطئ عنه، وإما في طريقة التدوين لدى الناس، وإما في أسلوب تبليغ الدين. سنتحدث لاحقًا عن أسلوب التبليغ. ما يجب التركيز عليه هنا هو فهم الدين وطريقة التدوين الصحيحة. يجب أن يتطابق فهمنا للدين مع حقيقته، وهذا الجزء المهم يعتمد على أسلوب تبليغه؛ لذلك، يجب على الأفراد السعي لفهم حقيقة الدين، وكذلك على من تقع على عاتقهم مسؤولية تبليغ الدين أن يقدموا الصورة الحقيقية للدين بشكل صحيح.

من المثير للاهتمام أن هذه المسألة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمبدأ عدالة الله -الذي تمت الإشارة إليه سابقًا-. فالذي يعتقد

(١)- نهج البلاغة الحكمة: ٤٠٤.

(٢)- «ما كَلَفَ اللَّهُ الْعِبَادَ كَلْفَةً فَعَلَ، وَلَا نَهَاهُمْ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى جَعَلَ لَهُمُ الْإِسْطَاعَةَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، فَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ أَخَذًا وَلَا تَارِكًا إِلَّا بِإِسْطَاعَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ قَبْلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَبْلَ الْأَخْذِ وَالتَّرْكِ، وَقَبْلَ الْقَبْضِ وَالتَّبَسُّطِ» [التوحيد، ص ٣٥٢، ح ١٩]. وأيضًا: [التوحيد، ص ٣٥٢، ح ٢١ و ص ٣٤٥، ح ٢ و ص ٣٤٧، ح ٦].

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما كَلَفَ اللَّهُ الْعِبَادَ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، إِنَّمَا كَلَفَهُمْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَكَلَفَهُمْ مِنْ كُلِّ مَتْنِي دَرَاهِمَ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ، وَكَلَفَهُمْ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ، وَكَلَفَهُمْ حِجَّةً وَاحِدَةً وَهُمْ يُطِيقُونَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا كَلَفَهُمْ دُونَ مَا يُطِيقُونَ» [المحاسن، ص ٢٩٦، ح ٤٦٥]. وأيضًا: [الخصال، ج ٢، ص ٥٣١، ح ٩؛ تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ١٥٤، ح ٤٢٦].

بعدالة الله لا يظنّ أنّ تكاليفه تفوق طاقة الإنسان. وقد ورد في الروايات أنّ الله سبحانه وتعالى أعدل من أن يُكلّف أحداً بما يفوق قدرته^(١).

ثالثاً: إصلاح نمط الدين

الدين مجموعةٌ محدّدةٌ وغير قابلة للتغيير؛ لكن نمط تعامل الأفراد مع الدين يختلف. لذلك، فإنّ طريقة التدين تُعدّ من العوامل المؤثرة في الرضا أو عدم الرضا، وسنناقشها فيما يأتي.

في بعض الأحيان، يتصرّف المتدينون بطريقة تجعل الدين يبدو شاقاً عليهم. إنّ ممارسة الدين بطريقة متشدّدة ومرهقة تجعل الفرد يتعب ويصاب بالإحباط، وتُبعد الآخرين عن الدين.

ومن المسائل التي أشارت إليها الروايات، هو التيسير في الدين وتجنّب التشدّد الزائد عن المطلوب. فلمّا كان الدين ميسّراً، وشريعته تتوافق مع قدرة الإنسان، فإنّ التزام المتدينين به كما هو من دون زيادةٍ أو نقصانٍ لن يُدخلهم في مشقّة غير

(١) - عن إبراهيم بن أبي محمود: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام... قلت: فهل يُكلّف [الله] عباده ما لا يطيقون؟ فقال: «كيف يفعل ذلك وهو يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾؟!» [عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٤، ح ١٦٦؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٩٧، ح ٣٠٣؛ بحار الأنوار، ج ٥، ص ١١، ح ١٧].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «الله أكرم من أن يُكلّف النَّاسَ ما لا يطيقون، والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يُريد» [الكافي، ج ١، ص ١٦٠، ح ١٤؛ التوحيد، ص ٣٦٠، ح ٤؛ المحاسن، ج ١، ص ٤٦١، ح ١٠٦٨؛ بحار الأنوار، ج ٥، ص ٤١، ح ٦٤].

معقولة. وقد عدَّ رسول الله ﷺ أفضل^(١) وأحب^(٢) وأحسن التدين^(٣) عند الله هو التدين السهل والميسر، الذي يتماشى مع طبيعة الدين نفسه. وقد أعلن ﷺ أنه بُعث بشريعة سهلة ميسرة، وعدَّ التيسير الذي يتماشى مع طبيعة الدين سنة من سننه، وحذّر الناس من مخالفتها^(٤).

وأكد ﷺ في أحاديثه أنّ الدين يُسر، وأنّ من يشدّد على نفسه في الدين فإنّه سيُهْزَم^(٥).

يروى بريدة الأسلمي ويقول: خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَةٍ فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام- يَمْشِي بَيْنَ يَدَيَّ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا، فَإِذَا نَحْنُ بَيْنَ أَيْدِينَا بَرَجْلٍ يُصَلِّي يُكثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَرَاهُ يُرَائِي، فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، فَتَرَكَ يَدَيَّ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يُصَوِّبُهُمَا وَيَرْفَعُهُمَا وَيَقُولُ: «عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدْيًا

(١)- «أَفْضَلُ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» [كنز العمال، ص ٢٧٤].

(٢)- «أَحَبُّ الْأَدْيَانِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» [أسد الغابة، ج ١، ص ٧٢. مسند ابن حنبل، ج ١، ص ٢٣٦؛ الدر المنثور، ج ١، ص ١٩٣؛ الفردوس، ج ٢، ص ٢٢١، ح ٣٠٧٥؛ تفسير القرطبي، ج ٢، ص ٣٠١؛ كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٠، ح ١٦].

(٣)- «وَأَنَّ خَيْرَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» [الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٩٥].

(٤)- «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ -أَوْ السَّهْلَةِ- وَمَنْ خَالَفَ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» [تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٢٠٧].

(٥)- «إِنَّ الدِّينَ يُسَّرُ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدُوءِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلِيلَةِ» [صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٨، ح ٣٨؛ شعب الإيمان، ج ٣، ص ١٨].

قاصداً، فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادُّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبُهُ»^(١).

ويروي محجن بن أدرع حادثةً مشابهةً، حيث قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي فِتْرَاءَهُ بَبَصَرِهِ سَاعَةً، فَقَالَ: «أَتَرَاهُ يُصَلِّي صَادِقًا؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ صَلَاةً! فَقَالَ: «لَا تُسْمِعُهُ فَتْهَلِكُهُ». وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَرَادَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْيَسَرَ وَلَا يَرِدُ بِهِمُ الْعُسْرُ»^(٢).

وفي روايةٍ أخرى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يُصَلِّي، فَقَالَ لِي: «مَنْ هَذَا؟» فَأَنْتَيْتُ عَلَيْهِ خَيْرًا. فَقَالَ: «اسْكُتْ لَا تُسْمِعُهُ فَتْهَلِكُهُ». قَالَ: ثُمَّ أَتَى حُجْرَةَ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ فَتَفَضَّ يَدَهُ مِنْ يَدِي قَالَ: «إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ»^(٣).

وفي روايةٍ غاضرة بن عروة الفقيمي: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَجُلٌ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مِنْ وُضْوءٍ تَوَضَّأَهُ أَوْ غُسْلٍ اغْتَسَلَهُ، صَلَّى بِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْنَا جَعَلَ النَّاسُ يَقُومُونَ إِلَيْهِ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ كَذَا، أَرَأَيْتَ كَذَا، يَرُدُّهَا مَرَّاتٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ دِينَ اللَّهِ فِي يَسْرٍ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ دِينَ اللَّهِ فِي يَسْرٍ»^(٤).

لذا، فَإِنَّ الدِّينَ سَهْلٌ وَمَيْسَرٌ، وَيَجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ بَيْسَرٍ. وَأَخْذُ

(١)- مسند ابن حنبل، ج ٥، ص ٣٥١-٣٦١.

(٢)- الدر المنثور، ج ١، ص ١٩٢.

(٣)- مسند ابن حنبل، ج ٤، ص ٣٣٨ وج ٣، ص ٤٧٩.

(٤)- مسند أبي يعلى، ص ٢٢٥، ح ٦٨٢٨. مسند ابن حنبل، ج ٥، ص ٦٩.

الدين ببسر يعني ألاَّ يُشدد بما يفوق ما ورد فيه. فإذا عرف الإنسان حقيقة الدين كما هو (معرفة الدين)، وعمل به بالقدر الذي أمر به (التدين)، فلن ينفر من الدين أبدًا، بل سيحبّه ويرضى به. إنّ العديد من حالات عدم الرضا عن التشريع، تنبع من الجهل بحقيقة الدين أو من التطبيق الخاطيء في التدين. ويمكن تحقيق الرضا التشريعي من خلال تصحيح هذه الأمور.

رابعًا: تقوية القدرة على ضبط النفس

كما أُشير سابقًا، فإنَّ أساس التكاليف الإلهية هو خير الإنسان. لكن هذا الخير لا يتحقّق إلّا إذا طبّقت التكاليف. فمجرد تقدير الخير في التكاليف لا يكفي؛ بل يجب القيام بالطاعة وترك المعصية ليصبح الخير المقدّر في التكاليف واقعًا، ولتُثمر عن حياة طيّبة.

غير أنّ الإنسان مزيجٌ من قوتين: العقل والجهل. وكلّ واحدةٍ منهما تسعى للسيطرة على كيانه. إنّ ازدواجية تأثير مراتب الروح الثلاث تُعزى إلى هذه الخاصية. في المعركة بين العقل والجهل، يكون المنتصر منهما هو المؤثّر على كلّ أنشطة الإنسان السلوكيّة والنفسيّة. وبناءً على ذلك، يستطيع الإنسان أن يسير في طريق الخير أو الشر^(١).

الإنسان بطبيعته يفرّ من السلوكيّات التي تُسمّى طاعة،

(١) - ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣).

وينجذب إلى تلك التي تُسمّى معصية. ولهذا السبب، فإنّ الجنة محفوفةٌ بالمكاره، والنار محفوفةٌ بالشهوات. ومن هنا تظهر أهمية السيطرة على النفس وتنظيم السلوك^(١). وقد يكره الإنسان شيئاً وهو خير له، ويحب شيئاً وهو شرٌّ له^(٢).

مما سبق يتضح أنّ تحقيق الطاعة وترك المعصية يتطلبان السيطرة على النفس وتنظيم السلوك. فإذا كانت المعصية ممتعة والطاعة شاقّة، فإنّ الحاجة إلى ضبط النفس وتنظيم السلوك تصبح ملحة. هذا هو ما يُعرف في الأدبيات الدينيّة بـ(التقوى). والسؤال هنا: كيف يمكن التغلب على هوى النفس وتنظيم السلوك؟

العوامل التي تسهم في ضبط النفس، وتؤدي إلى الطاعة وترك المعصية، هي من المسائل المهمّة التي لا يمكن تناولها بالكامل هنا. ويؤمن الباحث بأنّ السيطرة على النفس وتنظيم السلوك يتطلبان قوة كبحٍ وقدرة على ضبط النفس، وهو ما يُسمّى بـ(التقوى).

بطبيعة الحال، التقوى تنبع من مصدر يُعرف بـ(العقل). العقل

(١)- عن الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كَرِهٍ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَارْحَمَ اللَّهُ أَمْرًا تَنَزَّعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنَزَعًا، وَإِنَّهَا لَا تَنَالُ تَنَزَّعًا إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى» إنّهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

(٢)- «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (البقرة: ٢١٦).

هو كيان مركَّبٌ يجمع بين المعرفة والكبح، وهو ما يُسمَّى في الأدبيات الدينيَّة بـ(العلم والتقوى). يمكن القول إنّ نظريَّة الدين في السيطرة على النفس وتنظيم السلوك تعتمد على ضبط النفس العقلاني. الإنسان الذي يتمتع بضبط النفس لديه القدرة على كبح السلوكيَّات غير الملائمة، وتحفيز السلوكيَّات المناسبة. ومن هنا يستطيع أن يسيطر على نفسه وينظم سلوكيَّاته.

بالتأكيد، التقوى ليست عنصراً عملياً قائماً بذاته يمكن اعتباره بجانب الصفات الأخرى ليعمل مباشرة كأحد عناصر تنظيم السلوك. بل إنّ التقوى مفهومٌ عامٌّ ومجردٌ يتألَّف من مجموعة من العناصر التي تعمل على تنظيم السلوك. بناءً على ذلك، على الرغم من أنّ التقوى تُعدّ عاملاً لضبط النفس وتنظيم السلوك، فإنَّها مفهومٌ شاملٌ يتضمَّن مجموعةً من القوى التنفيذية التي تتدخل في المواقف المختلفة لضبط السلوك وتنظيمه. وتُعرف هذه الأمور باسم (الأصول). لذا، فإنَّ أصول ضبط النفس وتنظيم السلوك هي العناصر التنفيذية والعملية للتقوى. وتشمل هذه الأصول: التجربة، والعبرة، والحزم (بعد النظر)، والخوف، والرجاء، والحياء، والمحبة، والشكر.

٣. الإيمان بالخير

من العوامل المهمَّة في الرضا الإيمان بالخير. وكما أُشير سابقاً في بناء مفهوم الرضا، فإنَّ تقديرات الله سبحانه وتعالى

كحقيقة قائمة، تجري في الأبعاد الثلاثة للحياة: المعيشة، والعلاقات الاجتماعية، والنظام السياسي. ومن ثم، لتحقيق الرضا، يجب على الفرد أن يحدّد موقفه تجاه هذا العنصر المهم.

سبق أن ذكر أن الرضا يتألف من: أولاً، المطابقة؛ أي توافق الحالة الحالية مع الحالة المتوقعة، ثانياً، القبول؛ أي قبول الوضع الراهن والاستسلام له، وثالثاً، السرور؛ أي الشعور بالفرح أو على الأقل عدم الشعور بالضيق. كما تم توضيح أن (الخير المدرك) يشكل الأساس النظري للرضا في الإسلام؛ أي أن استناد الحياة إلى الخير الحقيقي يُشكّل أساس الرضا. هذا يعني أن النظام النفسي للإنسان مصمّم بطريقة تجعل الشعور بالرضا يُثار تجاه الخير المدرك. بناءً على ذلك، فإن «الخير المدرك» هو الأساس النظري للشعور بالرضا. إذا قيّم الفرد حياته على أنها حياة جيدة، سيشعر بالرضا.

علاوة على ذلك، أُشير سابقاً إلى أن قضاء الله دائماً مبنيٌّ على الخير، وأنّ الخير هو أساس الرضا. فإذا أدرك الفرد هذا الخير واعتقد به، فإنّ الرضا سيتحقّق. هنا تتشكّل مساحة العمل ودور الفرد، وهنا أيضاً دور المستشارين الذين يساهمون في هذا المجال. إذا استطاع الفرد، سواء بمفرده أم بمساعدة الآخرين، إدراك الخير في قضاء الله، سيشعر بالرضا.

العديد من مشاعر عدم الرضا تنشأ من عدم إدراك الخير

في ما يحدث. فالأفراد غير الراضين يعدّون ما يحدث لهم (الأحداث)، أو ما يتوجب عليهم فعله (التكاليف) شرّاً، وبالتالي يشعرون بعدم الرضا. وهذا يتعارض مع الحقيقة. فعدم الرضا هنا ناتجٌ عن عدم التوافق بين معرفة الفرد والواقع.

لذلك، نظراً لأنّ قضاء الله دائماً مبنيّ على الخير، فإنّ طريق تحقيق الرضا يكمن في تنسيق معرفة الفرد مع الواقع. الواقع الإلهي ثابت وغير قابل للتغيير؛ لذا، لا يمكن تغييره ليوافق رغبات البشر لتحقيق الرضا؛ بل يجب تعديل معرفة البشر - التي يمكن تغييرها - لتتوافق مع الواقع، ومن ثم ينشأ الشعور بالرضا. ويتطلب تحقيق هذا التوافق فهم وإدراك خير قضاء الله.

في هذا النقاش، نحن بحاجة إلى عدّة أمور أساسية: أولاً، أن نعرف ما هو وجه الخير في أقدار الله. ثانياً، أن نتعرّف على مصاديق الخير الملموسة في الحياة. ثالثاً، أن نفهم أي نظام تقييم يمكن أن يؤدّي إلى الإيمان بالخير.

سبق أن تناولنا الجوانب النظرية لهذه الأسئلة الثلاثة المهمة. الإجابة عن السؤال الأول هي أنّ فلسفة أقدار الله تعالى في ضوء المصادر الإسلامية هي نمو الإنسان وتكامله الروحي. الله يقدّر أقداراً مختلفة تناسب كلّ فرد ليقوده إلى النمو والتكامل الروحي. أمّا السؤالان الآخران فقد تمّ الإجابة عنهما في الفصل الثالث (المتطلبات الأساسية). من ناحية أخرى، تم تعريف

الخيرات بشكل واضح في المصادر الإسلامية. معرفة هذه الأمور يمكن أن تساعد الإنسان على الإيمان العام بخيرية القدر، ومعرفة الخيرات الحقيقية التي تشكّل تلك الأقدار. الاطلاع على قائمة شاملة لهذه الخيرات يساعد الفرد على التعرف على الخير الكامن في أقدار الله تعالى. ومن ناحية أخرى، هناك نظام تقييم الإنسان الذي إذا كان موجّهًا نحو الخير، يمكنه التعرف على خيرات القدر. عندما تجتمع هذه العناصر الثلاثة، يتحقّق الإيمان بالخير.

وجه الخير في التقدير

لتحقيق الإيمان بالخير، يجب أن يكون الفرد على يقين من خيرية القدر. ولهذا الغرض، يجب توضيح وجه الخير له. سبق أن أشرنا إلى أنّ قضاء الله تعالى دائماً ما يستند إلى الخير، وأنّ الخير هو أساس الرضا. إذا تعرّف الفرد على هذا الخير وآمن به، يتحقّق الرضا. وهنا تظهر أهمية دور الفرد وتدخل المستشارين. إذا استطاع الفرد، بمفرده أو بمساعدة الآخرين، فهم خيرية قضاء الله، سيشعر بالرضا. هذا ما نُطلق عليه (الإيمان بالخير).

كثير من مشاعر عدم الرضا تنبع من عدم فهم خيرية الأقدار. الأفراد غير الراضين ينظرون إلى ما قدّره الله لهم (الأحداث) أو ما فرضه عليهم (التكاليف) على أنّه شر، وبالتالي يشعرون بعدم الرضا. في حين أنّ الواقع ليس كذلك. هذا الشعور بعدم الرضا

ينشأ نتيجة عدم التوافق بين معرفة الفرد والواقع.

في هذا النقاش، نحتاج إلى معرفة وجه الخير في أقدار الله، وقلنا إنّ قضاء الله دائماً ما يستند إلى الخير كحقيقة واقعية. ولكن السؤال الذي يُطرح هنا هو: ما هو وجه الخير في أقدار الله؟

معرفة وجه الخير في أقدار الله يمكن أن تمهّد للإيمان بالخير، وتكون سبباً في تحقيق الرضا. فيما يأتي، سنتناول وجه الخير في الأنواع الثلاثة للأقدار: (الابتلاء، والمال، والتكليف).

أولاً: معرفة الخير في البلاء

أحد عوامل زيادة عدم الرضا هو الشعور بعدم جدوى الأحداث. إذا قُيِّمت الحوادث غير السارة في الحياة على أنّها بلا معنى وعديمة الجدوى، فإنّها تصبح غير قابلةٍ للتحمّل. الأشخاص الذين يفقدون صبرهم أثناء الشدائد لا يرون فقط تلك الحالات بلا معنى، بل يقيّمونها أيضاً بنحوٍ سلبي. غالباً ما يصف هؤلاء الأشخاص المصاعب بأنّها غير عادلة، ومعاناة ومن دون سبب، ولا جدوى، وأنّها عوائق، وأحياناً إهانة. من الواضح أنّ مثل هذا التصور يزيد من الضغط النفسي ويقلّل من مستوى الصبر والرضا.

المظاهر غير السارة تحمل طابعاً مريراً في الظاهر، لكنّها

تحتوي على جانب لطيف في الباطن. إذا نظرنا إلى ظاهرها، فإنها قد تكون غير مرضية، لكن النظر إلى باطنها يجلب الصبر ويزيد من الرضا. جميع الأمور غير السارة بالنسبة للمؤمن تحمل أهدافاً وحكماً تؤدي إلى الخير والصلاح، ويُشار إلى هذه الحكمة بالمعنى. إذا تم فهم المعنى الحقيقي للأمور غير السارة، تزول مرارتها الظاهرة. لذلك، التركيز على هذا الجانب من الأمور غير السارة في الحياة يؤدي إلى الرضا. ولهذا السبب، تتكرر الإشارة إلى فوائد البليات والمصائب في العديد من الآيات والروايات الإسلامية.

ثم إنَّ الأبعاد الإيجابية للبليات تشتمل على عدة أمور: تعزيز العلاقة مع الله تعالى، وحفظ الدين والإيمان، وتطهير الذنوب، ورفع الدرجات، ونيل الثواب الأخروي.

١- تعزيز العلاقة مع الله

العلاقة مع الله من احتياجات الإنسان الأساسية، ومن العوامل المهمة للسعادة والبهجة؛ لكن هذه العلاقة غالباً لا تتحقق في الظروف العادية؛ لذلك، يهيئ الله تعالى من خلال المصاعب والشدائد فرصة للعودة إليه، وتعزيز العلاقة معه^(١). يقول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الرجل ألمَّ الله به الفقر والمرض، فإنَّ الله تعالى يريد أن يصفاه»^(٢).

(١) - «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ» (الأعراف: ٩٤).

(٢) - الفردوس، ج ١، ص ٢٦١، ح ١٠١٥.

لذلك، لا ينبغي أن تكون المصيبة سبباً للضيقة، ولا النعمة سبباً للفرح فقط.

٢- حفظ الدين والإيمان

من الفوائد الأخرى للبلايا هو حفظ الدين. البشر لديهم خصائص وقدرات مختلفة، فبعضهم يفقد إيمانه في الفقر، لذلك يكون الغنى وسيلة لحفظ دينهم. بينما آخرون يفقدون إيمانهم في الغنى، لذلك يكون الفقر والحرمان مفيداً لهم^(١).

قال الإمام الصادق عليه السلام في رده على سؤال كافر عن سبب تفاوت الفقر والغنى، مشيراً إلى قدرات الأفراد ومدى تأثر دينهم: «وَوَجْهٌ آخَرُ: فَإِنَّهُ عَلِمَ اِحْتِمَالَ كُلِّ قَوْمٍ فَأَعْطَاهُمْ عَلَى قَدَرِ اِحْتِمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ أَغْنِيَاءَ لَخَرِبَتِ الدُّنْيَا، وَفَسَدَ التَّدْبِيرُ، وَصَارَ أَهْلُهَا إِلَى الْفَنَاءِ، وَلَكِنْ جَعَلَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ عَوْنًا، وَجَعَلَ أَسْبَابَ أَرْزَاقِهِمْ فِي ضُرُوبِ الْأَعْمَالِ وَأَنْوَاعِ الصَّنَاعَاتِ؛ وَذَلِكَ أَدْوَمُ فِي الْبَقَاءِ وَأَصَحُّ فِي التَّدْبِيرِ. ثُمَّ اخْتَبَرَ الْأَغْنِيَاءَ بِالِاسْتِعْطَافِ عَلَى الْفُقَرَاءِ. كُلُّ ذَلِكَ لُطْفٌ وَرَحْمَةٌ مِنَ الْحَكِيمِ الَّذِي لَا يُعَابُ تَدْبِيرُهُ»^(٢).

(١)- النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): ... إِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لِعِبَادًا لَا يَصْلَحُ لَهُمْ أَمْرٌ دِينَهُمْ إِلَّا بِالْفَاقَةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَالسُّقْمِ فِي أَبْدَانِهِمْ، فَأَبْلَوْهُمْ بِالْفَاقَةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَالسُّقْمِ فَيَصْلَحُ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ دِينَهُمْ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلَحُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ» [الكافي، ج ٢، ص ٦٠، ح ٤؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٢٧، ح ٦٣١ و ص ٥٣٨، ح ١٨٠٥]. النبي ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! رَبُّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُ إِيْمَانُهُ إِلَّا بِالْغِنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتَهُ لَكَفَرُ؛ وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُ إِيْمَانُهُ إِلَّا بِالْفَقْرِ، وَلَوْ أَغْنَيْتَهُ لَكَفَرُ» [تاريخ بغداد، ج ٦، ص ١٥، ح ٣٠٤٤].

(٢)- الإحتجاج، ج ٢، ص ٢٢٤، ح ٢٢٣.

نقل الإمام الباقر عليه السلام في حديث عن بعض ما ورد في المعراج: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا رَبِّ! مَا حَالُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَكَ؟ قَالَ: ... وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْغِنَى، وَلَوْ صَرَفْتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَهْلَكَ؛ وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَلَوْ صَرَفْتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَهْلَكَ»^(١).

لذلك، قد لا تُستجاب دعوات المؤمن لزيادة المال والثروة^(٢). ولا ينبغي عدّ هذا نوعاً من الحرمان. وبالتالي، فإنّ مثل هذه الحرمان يعدّ من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى؛ لأنّها على الرغم من تسبّبها في بعض المشكلات الصغيرة، إلّا أنّها تضمن السعادة الحقيقيّة والأصيلة للإنسان. من هنا، أحياناً يجب أن تكون السعادة الحقيقيّة في الفقر وليس الغنى، وأن يكون القلق الحقيقي من الغنى وليس الفقر.

ذهب عبد الله بن حوالة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشتكي الفقر وقلة المال. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْشِرُوا! فَوَاللَّهِ لَأَنَا بِكَثْرَةِ الشَّيْءِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ مِنْ قَلَّتِهِ»^(٣).

هذه الخشية هي خشية على الدين، فقد يكون الغنى سبباً لهلاك الدين، ومن هنا يصبح الفقر مصدراً للبشرى.

(١) - الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢، ح ٨.

(٢) - النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): ... رُبَّمَا سَأَلَنِي وَلِيِّي الْمُؤْمِنُ الْغِنَى فَأَصْرَفْتُهُ إِلَى الْفَقْرِ، وَلَوْ صَرَفْتُهُ إِلَى الْغِنَى لَكَانَ شُرّاً لَهُ، وَرُبَّمَا سَأَلَنِي وَلِيِّي الْمُؤْمِنُ الْفَقْرَ فَأَصْرَفْتُهُ إِلَى الْغِنَى وَلَوْ صَرَفْتُهُ إِلَى الْفَقْرِ لَكَانَ شُرّاً لَهُ» [المعجم الكبير، ج ١٢، ص ١١٣، ح ١٢٧١٩].

(٣) - السنن الكبرى، ج ٩، ص ٣٠٢، ح ١٨٦٠٩.

٣- تطهير الذنوب

قد يقع الإنسان في زلات وأخطاء يكون بقاؤها للحساب في الآخرة أمراً شديداً الصعوبة. إذا أمكن تسوية الذنوب في هذه الدنيا، فإن ذلك نجاح عظيم. ويتم هذا من خلال البلاء والمصائب^(١).

«لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا أَشَدَّهَا مِنْ آيَةٍ! فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا تُبْتَلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: هَذَا مِمَّا يَكْتُبُ اللَّهُ لَكُمْ بِهِ الْحَسَنَاتِ وَيَمْحُو بِهِ السَّيِّئَاتِ»^(٢).

صعوبة البلاء هي صعوبة التخلص من الشوائب^(٣)، والتطهر يستحق تلك الصعوبات. فالبلاء أشبه بالفرن الذي يُزِيل شوائب الإنسان^(٤). إن ارتقاء قيمة الإنسانية يتم عبر البلاءات، ومن خلال البلاءات والمصائب، تُطَهَّر من الذنوب -التي هي شوائب قيمة الإنسانية-، وأحياناً أمور بسيطة مثل: الخوف في

(١)- قال النبي ﷺ لبيان هذه القاعدة: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قَارَفَ الذُّنُوبَ وَابْتُلِيَ بِهَا، ابْتُلِيَ بِالْفَقْرِ» [مشكاة الأنوار، ص ١٧٥، ح ٤٥٢؛ جامع الأخبار، ص ٣١٤، ح ٨٧٣].

(٢)- تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٧٧، ح ٢٧٨.

(٣)- عن النبي ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا عَمٍّ -حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكِهَ-، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» [صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢١٣٧، ح ٥٣١٨].

(٤)- عن النبي ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ حِينَ يُصِيبُهُ الْوَعَكُ أَوْ الْحُمَّى، كَمَثَلِ حَدِيدَةٍ تَدْخُلُ النَّارَ فَيَذْهَبُ خَبْثُهَا وَيَبْقَى طَيِّبُهَا» [المستدرک علی الصحيحین، ج ٣، ص ٤٨٨، ح ٥٨٢٤].

المنام، أو إصابة الجسد^(١)، أو التعرّض للأذى، أو التعثر، أو الضيق، أو الفقر، أو تمزق رباط الحذاء، وأشياء من هذا القبيل، تغسل روح الإنسان وجسده من أثر الذنوب^(٢).

اللافت أنّ البلاءات والمصائب تعدّ علامةً على كرامة الإنسان عند الله، وليس كما يظنّ البعض أنّ المصاب بها مطرودٌ من الله، وصاحب النعمة محبوبٌ عنده. شكّا نبيّ من الأنبياء إلى ربّه (عزّ وجلّ)، قال: يا ربّ، يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ عِبْدِكَ يُؤْمِنُ بِكَ، وَيَعْمَلُ بِطَاعَتِكَ فَتُزَوِّي عَنْهُ الدُّنْيَا، وَتَعْرِضُ لَهُ الْبَلَاءُ، وَيَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ عِبْدِكَ يَكْفُرُ بِكَ، وَيَعْمَلُ بِمَعَاصِيكَ فَتُزَوِّي عَنْهُ الْبَلَاءُ، وَتَعْرِضُ لَهُ الدُّنْيَا. فَأَوْحَى اللَّهُ (عزّ وجلّ) إِلَيْهِ: «... وَأَمَّا عَبْدِي الْمُؤْمِنُ فَلَهُ سَيِّئَاتٌ؛ فَأَزَوِّي عَنْهُ الدُّنْيَا وَأَعْرِضُ لَهُ ابْتِلَاءً حَتَّى يَأْتِيَنِي فَأُجْزِيَهُ بِحَسَنَاتٍ. وَأَمَّا عَبْدِي الْكَافِرُ فَلَهُ حَسَنَاتٌ؛ فَأَزَوِّي عَنْهُ الْبَلَاءُ وَأَعْرِضُ لَهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَنِي فَأُجْزِيَهُ بِسَيِّئَاتِهِ»^(٣).

(١)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَهْوُلُ عَلَيْهِ فِي نَوْمِهِ فَيَغْفَرُ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنَّهُ لَيَمْتَنُّ فِي بَدَنِهِ فَيَغْفَرُ لَهُ ذُنُوبُهُ» [الكافي، ج ٢، ص ٤٤٥، ح ٤].

(٢)- قال الإمام الصادق عليه السلام ليويس بن يعقوب: «يَا يُوَيْسُ! إِنَّ مِنَ الْبَلِيَّةِ الْخَدَشَةَ وَاللَّطْمَةَ وَالْعَثْرَةَ وَالنَّكْبَةَ وَالْفَقْرَ وَانْقِطَاعَ الشَّعْرِ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ. يَا يُوَيْسُ! إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا لَا يُمَحِّصَ فِيهَا مِنْ ذُنُوبِهِ وَلَوْ بَعْمَ بَصِيْبُهُ لَا يَدْرِي مَا وَجْهُهُ، وَإِنْ أَخَذَكَ لَبِضْعُ الدَّرَاهِمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَبَرَّاهَا فَبَجَدَهَا نَاقِصَةً، فَيَعْتَمُ بِذَلِكَ فَيَجِدُهَا سَوَاءً، فَيَكُونُ ذَلِكَ حَطًّا لِبَعْضِ ذُنُوبِهِ» [كنز الفوائد، ج ١، ص ١٤٩].

(٣)- المعجم الكبير، ج ١٢، ص ١١٧، ح ١٢٧٣٥.
وقال النبي صلى الله عليه وآله: «قَالَ اللَّهُ (عزّ وجلّ): وَعِزَّتِي وَجَلَالِي! لَا أَخْرِجُ عَبْدًا مِنَ الدُّنْيَا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَرْحِمَهُ حَتَّى أَسْتَوْفِيَ مِنْهُ كُلَّ خَطِيئَةٍ عَمِلَهَا؛ إِمَّا يَسْقُمُ فِي جَسَدِهِ، وَإِمَّا يَضِيقُ فِي رِزْقِهِ، وَإِمَّا يَخَوْفُ فِي دُنْيَاهُ، فَإِنْ بَقِيََتْ عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ شَدَّدَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ. وَعِزَّتِي وَجَلَالِي! لَا أَخْرِجُ عَبْدًا مِنَ الدُّنْيَا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَعْدِبَهُ حَتَّى أَوْفِيَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ عَمِلَهَا؛ إِمَّا بِسَعَةِ فِي رِزْقِهِ، وَإِمَّا بِصِحَّةٍ فِي جِسْمِهِ، وَإِمَّا بِأَمْنٍ فِي دُنْيَاهُ، فَإِنْ بَقِيََتْ عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ هَوَّنَتْ عَلَيْهِ بِهَا الْمَوْتَ» [الكافي، ج ٢، ص ٤٤٤، ح ٣].

وروي أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ الْمَوْتُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: هَنِيئًا لَهُ؛ مَاتَ وَلَمْ يُبْتَلْ بِمَرَضٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْحَكَ، وَمَا يُدْرِيكَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ ابْتَلَاهُ بِمَرَضٍ يُكْفِّرُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»^(١).

البلاء للمؤمن حلو ومفيد، وإن كان ظاهره مرًا. من لا يرى معنى للبلاءات فلا إيمان له^(٢). فالذين لا يستطيعون تحمل المصائب هم من ليس لديهم إجابة عن لماذا البلاء. فإذا عرف الإنسان الإجابة، هدأت نفسه ولم يجزع. وقد لحّص الإمام الصادق عليه السلام الكلام كلّها في هذه العبارة القصيرة: «لِلَّهِ فِي السَّرَّاءِ نِعْمَةٌ التَّفْضِيلُ، وَفِي الضَّرَّاءِ نِعْمَةٌ التَّطَهُّرُ»^(٣).

وفي هذا الحديث، يشير الإمام إلى البلاء على أنه نعمة، نعمة التطهر من الذنوب؛ لذلك، فإنّ البلاءات ليست موضع شكوى ونحيب، بل هي موضع حمدٍ وثناء^(٤).

واللافت أنّه في بعض الروايات، أشير إلى هذا الموضوع

(١)- الموطأ، ج ٢، ص ٩٤٢، ح ٨.

(٢)- عن النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ السُّقْمُ ثُمَّ أَعْفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ كَانَ كَقَارَةٍ لَمَّا مَضَى مِنْ دُنُوبِهِ، وَمَوْعِظَةٌ لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرَضَ ثُمَّ أَعْفِيَ كَانَ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ وَلَمْ يَدْرِ لِمَ أَرْسَلُوهُ» [سنن أبي داود، ج ٢، ص ٥٥، ح ٣٠٨].

(٣)- تحف العقول: ٣٦١.

(٤)- لذا نرى أمير المؤمنين عليه السلام يمتدح الله تعالى، ويقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ تَمْحِصَ ذُنُوبِ شِيعَتِنَا فِي الدُّنْيَا بِمِحْنَتِهِمْ لِيَسْلَمَ بِهَا طَاعَتُهُمْ وَيَسْتَحَقُّوا عَلَيْهَا ثَوَابَهَا» [التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري، ص ٢٢].

(البلاء كوسيلة للتطهر) على أنه (خير)^(١)، مما يدل على أثره في تحقيق الرضا.

٤- رفع الدرجة

من فوائد المصائب والشدائد، رفع الدرجة. فالبلاءات ليست دائماً دليلاً على وجود ذنب، بل أحياناً يبتلي الله العبد ليرفع درجته. وهنا يتضح سر ابتلاء الأنبياء وأولياء الله بالشدائد. فالبلاءات بالنسبة لهم، وهم المعصومون، ليست تطهيرية، بل ترفيعية.

في القرآن الكريم، هناك آية تقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، ولكن من جهة أخرى، نجد أنّ أهل البيت (عليهم السلام) - مع كونهم معصومين - قد تعرضوا لكثير من المصائب والشدائد.

هذا السؤال أثاره أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)، فقال: هل ما أصاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده من بعده كان بسبب أعمالهم، وهم أهل البيت المعصومون الطاهرون؟ فأجاب الإمام (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يَخْصُّ أَوْلِيَاءَهُ بِالْمَصَائِبِ لِأَجْرِهِمْ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ»^(٢). وهنا لا يتعلّق الأمر بالذنوب، بل يتعلّق بمقامات

(١) - عن النبي (صلى الله عليه وآله): «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمَسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [سنن الترمذي، ج ٤، ص ٦٠١، ح ٢٣٩٦].

(٢) - الكافي، ج ٢، ص ٤٥٠، ح ٢؛ معاني الأخبار، ص ٣٨٤، ح ١٥؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٧٧.

في الجنة لا تُنال إلا عبر هذا الطريق^(١).

ذات يوم، مرضَ النبي ﷺ بشدة حتى كان يتلوَّى من الألم ويئن. فقالت عائشة، وقد تعجبت من حاله: لو أنَّ أحدنا فعل ذلك، لانتقدته. فقال النبي ﷺ: «إِنَّ الصَّالِحِينَ يُشَدَّدُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّهُ لَا يُصِيبُ مُؤْمِنًا نَكْبَةٌ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا حَطَّتْ بِهِ عَنْهُ خَطِيئَةٌ، وَرَفَعَ بِهَا دَرَجَةً»^(٢).

هذه الأنواع من البلاءات ليست خاصةً بالمعصومين (عليه السلام). فأحياناً يُبتلى أهل الإيمان بمثل هذه البلاءات، حتى وإن كان لديهم ذنوب. السبب هو أنَّ بعض المقامات لا تُنال إلا عبر هذا الطريق. الموضوع ليس ما فعله الشخص ليصيبه البلاء، بل ما يُراد له أن يناله من المقامات العظيمة^(٣).

في الحقيقة، هذه البلاءات تكون تعويضاً لنقص الأعمال الصالحة لدى بعض الأفراد. فأحياناً يقدر الله مقاماً لعبد من عباده، ولا تكون أعماله كافيةً للوصول إلى هذا المقام. في هذه

(١)- وقد صرح النبي ﷺ بهذا وقال: «إِنَّ الْبَلَاءَ لِلظَّالِمِ أَدْبًا، وَلِلْمُؤْمِنِ امْتِحَانًا، وَلِلْأَنْبِيَاءِ دَرَجَةً، وَلِلْأَوْلِيَاءِ كَرَامَةً» [جامع الأخبار، ص ١١٣].

(٢)- مسند ابن حنبل، ج ٦، ص ١٦٠.

(٣)- عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَا يَبْلُغُهَا عَبْدٌ إِلَّا بِالْإِبْتِلَاءِ فِي جَسَدِهِ» [الكافي، ج ٢، ص ٢٥٥، ح ١٤].
وله أيضاً: «إِنَّهُ لَيَكُونُ لِلْعَبْدِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يَنَالُهَا إِلَّا بِإِحْدَى خَصْلَتَيْنِ: إِمَّا بِذَهَابِ مَالِهِ أَوْ بِبَلِيَّةٍ فِي جَسَدِهِ» [الكافي، ص ٢٥٧، ح ٢٣؛ أعلام الدين، ص ٤٣٧].

الحالة، يُكمل الله هذا النقص من خلال البلاءات والمحن^(١). فإذا صار الألم وسيلةً لرفع الدرجة ونيل المقامات العليا، أصبح تحمّله ممكنًا.

٥- الثواب الأخروي

الألم الذي لا يجلب ثمرةً ولا مكافأةً هو ألمٌ مرهقٌ ومؤلم. إذا تم تقييم الوضع غير السارّ على أنّه بلا نتيجة أو مكافأة، فإنّه يصبح غير قابلٍ للتحمّل. أحد التصوّرات البشريّة هو أنّ المصاعب بلا مكافأة، وهذا التقييم يزيد من الاستياء. لكن الحقيقة أنّ مصاعب المؤمنين تحمل أجرًا وثوابًا. المكافأة على المصاعب من المبادئ الثابتة في الإسلام، ولكن المهمّ هو أنّ إدراك هذه الحقيقة يخفف من الاستياء. ما يحقّق الرضا هو الانتباه إلى هذه الحقيقة والإيمان بها. عندما سُئل الإمام الصادق (عليه السلام)، من قبل كافر عن سبب الفقر والغنى، أجاب أنّ أحد الأسباب هو هذا المبدأ^(٢).

عندما يعتقد الإنسان أنّه سينال مكافأةً على كلّ مصيبةٍ يتحمّلها، فإنّه يرضى. الإنسان على استعدادٍ لتحمل المصاعب للوصول إلى مكاسب أكبر؛ لذلك، يُخصّص جزءٌ كبيرٌ من

(١) - النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِيَكْتُبُ لِلْعَبْدِ دَرَجَةً الْعُلْيَا فِي الْجَنَّةِ فَلَا يَلْتُمُهَا عَمَلُهُ فَلَا يَزَالُ يَتَعَهَّدُ بِالْبَلَاءِ حَتَّى يَلْتُمُهَا» [روضة الواعظين، ج ٢، ص ٤٢٣؛ مشكاة الأنوار، ص ٣٠٠].

(٢) - «وَوَجَّهَ آخَرُ: أَنَّهُ عَجَلَ لِقَوْمٍ فِي حَيَاتِهِمْ، وَلِقَوْمٍ آخَرٍ لِيَوْمِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ» [الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٢٤، ح ٢٢٣].

القرآن والسنة النبوية لبيان مكافآت الصابرين. في الحقيقة، أحد العوامل التي تحفز الرضا وتدعمه هو الثواب^(١).

إنَّ ابن أبي يعفور، عندما اشتد به المرض اشتكى من آلامه إلى الإمام الصادق عليه السلام، فأجابه الإمام قائلاً: «لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب، لتمنى أنه قُرِضَ بالمقاريض»^(٢).

وعندما دفنوا النبي ﷺ، سمع أهل البيت عليه السلام نداءً من السماء يعزيهم، وفي جزءٍ من التعزية قيل: «إنَّ في الله خلفاً من كلِّ ذاهب، وعزاءً من كلِّ مصيبة، ودرگا من كلِّ ما فات. فبالله فتقوا، وعليه فتوكلوا، وإياه فارجوا. إنَّما المصاب من حُرْم الثواب»^(٣).

إذا آمن الإنسان بهذه الحقيقة، فإنَّ اعتقاده بأنَّ الحرمان علامةٌ على الإذلال سيختفي. وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: «إذا كان يومُ القيامةَ أمرَ اللهُ تبارك وتعالى مُنادياً يُنادي بينَ يديه: أينَ الفقراءُ؟ فيقومُ عنقُ من الناسٍ كثيرٌ. فيقولُ: عبادي! فيقولونَ لبيك ربنا. فيقولُ: إني لَم أفقركم لهوانٍ بكم عليّ، ولكنني إنَّما اخترتكم لمثلِ هذا اليوم، تصفَّحوا وجوه الناسِ فمَن صنَعَ إليكم

(١)- عن النبي ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا دُخِرَ لَكُمْ، مَا حَزِنْتُمْ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْكُمْ» [مسند ابن حنبل، ج ٤، ص ١٢٨].

(٢)- الكافي ٢: ٢٥٥، ح ١٥.

(٣)- تفسير العياشي ١: ٢٠٩، ح ١٦٦.

مَعْرُوفًا لَمْ يَصْنَعُهُ إِلَّا فِي فِكَافُوهُ عَنِّي بِالْجَنَّةِ»^(١).

هذا يعني مقام الشفاعة؛ فالأغنياء يدخلون الجنة بشفاعة المحرومين. إذا فقر الفقراء ليس نتيجة لإهمال الله لهم. إنَّ الانتباه إلى هذه الأمور يُظهر خيريّة البلاء ويؤدّي إلى الرضا.

ثانيًا: معرفة خير المال

ربما يبدو النقاش حول كون المال خيرًا أمرًا غير ضروري؛ لأنّه قد يُقال إنَّ أحدًا لا يشكّ في ذلك. ربّما يكون هذا صحيحًا، ولكن هذا جانب واحد من القصة. ليس من الضروري أن يكون المال خيرًا دائمًا؛ لأنّ مجرد امتلاك المال لا يجعله خيرًا؛ بل كيفية إنفاقه هي التي تظهر خيره. الامتلاك والإنفاق من دون ضوابط لا يجعلان الحياة جيدة. النموذج القائم على الامتلاك والإنفاق العشوائي قد يؤدّي أحيانًا إلى الشرّ، ويشار إليه في الأدبيّات الدينيّة بـ(سنة الاستدراج). في هذا النموذج، ينفق الفرد المال وفقًا لأهوائه دون اعتبار لهدف الحياة، ممّا يقوده تدريجيًا إلى الضلال حتّى يواجه الهلاك فجأة. أمّا النموذج القائم على الامتلاك والإنفاق العقلاني، فإنّه يوجّه المال نحو ما يحقق الخير والصالح، ويقود الفرد إلى حياة جيدة. لذلك، فإنّ

(١) - الكافي، ج ٢، ص ٢٦٣، ح ١٥. عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) لَيَعْتَدِرُ إِلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الْمَحْجُوجِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا يَعْتَدِرُ الْأَخُ إِلَى أَخِيهِ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا أَحْجَجْتُكَ فِي الدُّنْيَا مِنْ هَوَانٍ بِكَ عَلَيَّ، فَأَرْفَعُ هَذَا السَّجْفَ فَأَنْظُرُ إِلَى مَا عَوَضْتُكَ مِنَ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَرْفَعُ فَيَقُولُ: مَا صَرَّيْتَنِي مَا مَنَعْتَنِي مَعَ مَا عَوَضْتَنِي» [الكافي، ج ٢، ص ٢٦٤، ح ١٨].

فهم خير المال يُعدّ أمراً ذا أهمية.

المال هو هديّة من الله تعالى للإنسان، ليستخدمه في طريق النمو والكمال. ما يمنحه الله تعالى للإنسان ليس وسيلة لتسيير أمور الحياة فقط، بل أيضاً وسيلة للنمو الروحي وإظهار الفضائل الإنسانية. في الحقيقة، المال هو ابتلاء واختبار يمكن للإنسان من خلاله تحقيق الخير في الدنيا والآخرة. في هذا السياق، يتم تناول وجه خير المال فيما يتعلّق بالنمو المادي والروحي للإنسان.

في النصوص الدينيّة، تمّت الإشارة إلى أمورٍ تتعلّق بخير المال، ومن أهمّها ما يلي:

١- قوام الدين والدنيا

في القرآن الكريم، تمّ التصريح بأنّ المال هو قوام الحياة^(١)، كما أنّ الروايات تدلّ على ذلك أيضاً.

٢- مضاعفة الأجر

امتلاك المال يزيد من إمكانية الحصول على الأجر والثواب.

(١)- «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا» (النساء: ٥).

عن خلّاد: قال رجلٌ للإمام الصادق (عليه السلام): يا جعفر! الرَّجُلُ يَكُونُ لَهُ مَالٌ فَيُضَيِّعُهُ فَيَذْهَبُ؟ قَالَ: «احْتَفَظَ بِمَالِكٍ، فَإِنَّهُ قَوَامٌ دِينِكَ. ثُمَّ قَرَأَ: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا» [الأمالي، الطوسي، ص ٦٧٩، ح ١٤٤٤].

فالشخص الثري، بالإضافة إلى ما يمكن أن يفعله الفقراء، يمتلك الفرصة لتحقيق الأجر من خلال المال. هذا الأثر يضمن السعادة الأخروية، التي تشكل جزءاً أساسياً من الحياة الأبدية للإنسان. ومن ثم، يؤدي المال دوراً مهماً في السعادة الحقيقية. بعض هذا الدور يتعلق بالآخرة، وبعضه يتجلى في الشعور الإيجابي في هذه الدنيا بسبب ما ينتظر في الآخرة.

٣ - ستر العيوب

التمتع بالمال يتيح الاستفادة من المزيد من الإمكانيات ويخفي عيوب الإنسان. هذا الأمر يستهدف الحياة الاجتماعية ويمنع نقصان مكانة الفرد وكرامته. وبالتالي، يسهم في ضمان العلاقات السليمة ويولد شعوراً بالسعادة.

٤ - ظهور الفضائل الإنسانية

ظهور بعض الفضائل الإنسانية يعتمد على المال. فإنّ أموراً مثل: الإنفاق، والصدقة، والسخاء، والمروءة، ومساعدة الآخرين ونحو ذلك كلها من الفضائل الإنسانية المرتبطة بالمال. ومن اللافت أنّ جزءاً من الرضا يتحقق من خلال الجمع بين التمتع بالفضائل الإنسانية والتمتع بالمزايا المالية. ومن ثم، يؤثر المال أيضاً على الرضا من هذا الجانب.

٥- الراحة النفسية

من بين آثار وبركات المال، الراحة النفسيّة. فالتمتع بالمال يُمكن الإنسان من توفير المزيد من الإمكانيات لتحسين الحياة؛ ولهذا السبب، تزول المخاوف من فقدان والحرمان، كما تخف حدة أزمات الحياة إلى حدّ كبير. يعدّ النبي ﷺ توفّر الرزق سبباً لطمأنينة النفس^(١)؛ لذلك، من بركات المال أنّه يوفّر الراحة النفسية للفرد.

ثالثاً: معرفة خير التكليف

يؤدّي سؤال (ما هي فلسفة التشريع؟) دوراً مهماً في تحقيق الرضا. فالتعرّف على آثار وفوائد الدين يزيل مشقّة التكليف ويمنح الإنسان النشاط والسرور؛ ولهذا، خصّصت بعض النصوص الدينيّة أقساماً لشرح فلسفة التشريع. وفيما يأتي سنشير إلى أبرز هذه النقاط:

أولاً: الحياة الإنسانية

يُعرّف القرآن الكريم الهدف الأساس للتشريع بأنّه إحياء الإنسان وإعطاؤه الحياة. فالله سبحانه وتعالى، بعد أن دعا الناس

(١) «إِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَحْرَزَتْ قَوْتَهَا اسْتَقَرَّتْ» [الكافي، ج ٥، ص ٨٩، ح ٢].

إلى طاعته و طاعة رسوله، وحذّرهم من الإعراض عنهما^(١)، أكد مرةً أخرى هذه الدعوة، وأوصى المؤمنين بالاستجابة لله ورسوله عند دعوتهم لما يحييهم. وأوضح أنّ حقيقة هذه الدعوة وركيزتها الأساسية هي إنقاذ الإنسان من الهلاك ومنحه الحياة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤).

فسّر العلامة الطباطبائي مفهوم (الحياة) في القرآن الكريم بثلاثة معانٍ أو مراتب: الحياة الدنيوية، والحياة الأخروية، والحياة الطيبة. بناءً على ذلك، يرى أنّ الحياة في هذه الآية لا تشير إلى الحياة الدنيوية فحسب، بل إلى الحياة الأخروية والحياة الطيبة أيضًا. ويشدّد على أنّ هناك حياةً حقيقيةً للإنسان، أشرف وأكمل من الحياة الدنيوية الدنية، ولا يصل إليها الإنسان إلّا عندما تكتمل استعداداته، وهذا الكمال يتحقّق بفضل الالتزام بالدين والانضمام إلى صفوف أولياء الله الصالحين، تمامًا كما يكتسب الجنين حياةً دنيويةً من خلال تطوّر نطفته واكتمال استعداده.

يشير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ إلى استعداد الإنسان للوصول إلى تلك الحياة الحقيقية، ويدعو إلى العمل بالدعوة للحقّة للإسلام التي

(١) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنفال: ٢٠-٢٣).

تهدف إلى إعداد البشر لتلك الحياة. وهذه الحياة هي مصدر الإسلام، حيث ينبثق منها العلم النافع والعمل الصالح. ويؤكد قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾، هذا المفهوم.

ختامًا، فإنَّ الحياة المشار إليها في الآية: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ شاملةٌ لكلِّ دعوات النبي ﷺ التي تُحيي القلوب، وللتأثير المترتبة على هذه الدعوات، بما في ذلك أنواع الحياة السعيدة الحقيقية، كالحياة الأخروية في جوار الله. بناءً على ذلك، لا ينبغي تقييد هذه الآية بمعنى محدد.

اتَّضح أنَّ هذه الحياة -وهي السعادة الأصلية والحقيقية للإنسان- تعتمد على عوامل أقرها الله (عزَّ وجلَّ)، وأظهرها من خلال الشريعة، وجعل الإنسان مكلفًا بها. وبالتالي، فإنَّ هذه الشريعة والتكليف هما عاملان أساسيان للحياة الأصلية والسعادة الحقيقية للبشر، وإذا تمَّ الانتباه إليهما، فإنَّهما يحققان الرضا التشريعي.

ثانيًا: الفلاح

قضاء الله التشريعي يشمل القوانين أو ما يُعرف بـ(الأوامر والنواهي). الأساس الذي يقوم عليه التشريع هو مصلحة

الإنسان؛ ولهذا فإنَّ سعادة الإنسان الحقيقية والأصيلة تعتمد على طاعته لهذه القوانين^(١). وهذا قانون لا يتغير^(٢). من خلال الالتزام بقوانين الشريعة، يحالف الحظ الإنسان^(٣) ويحقق الفلاح^(٤). لذلك، يجب السعي نحو الطاعة لتحقيق الفلاح^(٥). وفي المقابل، فإنَّ معصية الله تعالى تؤدي إلى الشقاء^(٦). بناءً على ذلك، يُبدي الأفراد الواعون رغبتهم وسعادتهم تجاه الطاعة، وينفرون ويحزنون عند الوقوع في المعصية^(٧). وبالنظر إلى الحقائق والقوانين التي تحكم الكون، يجب على الإنسان أن يفرح بالأعمال الصالحة التي قدّمها مسبقاً، وأن يشعر بالحزن تجاه الفرص التي أضاعها^(٨).

ثالثاً: مصلحة الإنسان

أساس الأوامر والنواهي الإلهية هو المصلحة والمفسدة في

- (١)- «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً» (الاحزاب: ٧١).
- (٢)- عن النبي ﷺ: «إِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ نَجَاحٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ يُبْتَغَى، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُتَّقَى» [الكافي، ج ٨، ص ٨٢، ح ٣٩].
- (٣)- عن الإمام علي عليه السلام: «بِالطَّاعَةِ يَكُونُ الْإِقْبَالُ» [غرر الحكم، ح ٤٢٤٣].
- (٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «بِالطَّاعَةِ يَكُونُ الْفَوْزُ» [م.ن، ح ٤٢٤٥].
- (٥)- عن الإمام علي عليه السلام: «بَادِرِ الطَّاعَةَ تَسَعِدْ» [م.ن، ح ٤٣٦٠].
- (٦)- عن الإمام علي عليه السلام: «بِالْمَعْصِيَةِ تَكُونُ الشَّقَاءُ» [عيون الحكم والمواعظ، ص ١٨٦، ح ٣٧٦٨].
- (٧)- عن الإمام علي عليه السلام: «سُرُورُ الْمُؤْمِنِ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَحُزْنُهُ عَلَى ذَنْبِهِ» [غرر الحكم، ح ٥٥٩٤].
- (٨)- عن الإمام علي عليه السلام: «أَكْثَرُ سُرُورِكَ عَلَى مَا قَدَّمْتَ مِنَ الْخَيْرِ، وَحُزْنُكَ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهُ» [م.ن، ح ٢٣٤٥].

حياة البشر. الوصول إلى الحياة الأصيلة يتطلب عوامل تُسمّى «المصلحة»، ولديه عوائق تُعرف بـ(المفسدة). أمر الله تعالى الإنسان بما فيه صلاحه، ونهى عما يضره. وقد وردت هذه الحقيقة بتعبيرات متنوعة في النصوص الدينية. القرآن الكريم يعدّ المعروف والمنكر أساساً للأوامر والنواهي الإلهية^(١). كما يؤكد أنّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء؛ بل ينهى عنها^(٢)، ويأمر بما هو حسن^(٣). وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحُسْنٍ وَ لَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ»^(٤). ويؤكد الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً أنّ الله تعالى لا يُصدر أيّ حكم من دون حكمة^(٥).

بناءً على ذلك، فإنّ السعادة الحقيقية والحياة الأصيلة للإنسان هي معيار التكاليف الإلهية. أهم مراتب الحياة الأصيلة هي الحياة الأخروية، وما ورد من أوامر ونواهي إلهية تتعلق بتحقيق هذه المرتبة من الحياة^(٦).

(١)- «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذْ قَالُوا آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ١٥٧).

(٢)- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ» (الأعراف: ٢٨).

(٣)- «إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» (الأعراف: ٣٣).

(٤)- نهج البلاغة الكتاب: ٣١.

(٥)- روي عن جميل بن درّاج عن الصادق (عليه السلام) أنّه سألّه عن شيء من الحلال والحرام، فقال: «إنّه لم يجعل شيء إلاّ لشيء» [علل الشرائع، ص ٨، ح ١].

(٦)- «يا أيّها الناس! واللّه ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النار إلاّ وقد أمرتكم به» [الكافي، ج ٢، ص ٧٤، ح ٢].

وثمة مرتبة أخرى تتعلق بالتكامل الروحي واكتساب الفضائل الأخلاقية. والوصول إلى هذه المرتبة من الحياة الأصيلة يحتاج إلى فهم المصالح والمفاسد الحقيقية، التي تتجلى في أوامر الله تعالى ونواهيه، مما يتيح للناس من خلالها معرفة عوامل ومعوّقات النمو الأخلاقي والتكامل الروحي^(١).

رابعاً: الآثار الإيجابية للطاعة

تناولت النصوص الدينية فوائد الأوامر التشريعية، وقد وردت نصوصٌ عديدةٌ حول هذا الموضوع. ربما يكون من أبرز العناوين في هذا الشأن (الحصول على رحمة الله). نحن كائناتٌ ضعيفةٌ بحاجة إلى رحمة الله تعالى. يقول الله (عزّ وجلّ) في القرآن الكريم: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

وثمة عنوانٌ شاملٌ آخر هو (الحصول على ما عند الله)، بمعنى أنّ كلّ شيءٍ بيد الله، وللوصول إليه يجب المرور عبر

(١) - عن الإمام علي عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ خَلْقَهُ، أَرَادَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى آدَابٍ رَفِيعَةٍ، وَأَخْلَاقٍ شَرِيفَةٍ، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ يَعْرِفَهُمْ: مَا لَهُمْ، وَمَا عَلَيْهِمْ، وَالتَّعَرُّفُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَّا بِالْوَعْدِ وَالْوَعْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالرَّغَبِ وَالْوَعْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالرَّهْبِ وَالتَّعَرُّفُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ، وَتَلَذُّ أَعْيُنُهُمْ، وَالتَّهَرُّبُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِضَدِّ ذَلِكَ، ثُمَّ خَلَقَهُمْ فِي دَارِهِ وَأَرَاهُمْ طَرَفًا مِنَ اللَّذَاتِ، لِيَسْتَدْلُوا بِهِ عَلَى مَا وَرَائِهِمْ مِنَ اللَّذَاتِ الْخَالِصَةِ الَّتِي لَا يَشَوُّبُهَا أَلَمٌ، أَلَا وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَأَرَاهُمْ طَرَفًا مِنَ الْأَلَامِ لِيَسْتَدْلُوا بِهِ عَلَى مَا وَرَائِهِمْ مِنَ الْأَلَامِ الْخَالِصَةِ الَّتِي لَا يَشَوُّبُهَا لَذَّةٌ، أَلَا وَهِيَ النَّارُ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَرَوْنِ النَّعِيمَ الدُّنْيَا مَخْلُوطًا بِمِحْنَتِهَا، وَسُرُورَهَا مَمْزُوجًا بِكَدَرِهَا وَهُمُومِهَا» [الاحتجاج، ج ١، ص ٢٠٧].

طريق الطاعة^(١). يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن: «وَأُطِئُوا مَا عِنْدَهُ بِطَاعَتِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَحَابِّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ الْخَيْرَ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٢).

من المثير للاهتمام في هذا الحديث أن الخير قد ذُكر كواحد من المحاور الأساسية للرضا، وأن اكتسابه متوقف على طاعة الله سبحانه وتعالى. وفيما يأتي نستعرض بعض الجوانب التي وردت في النصوص الإسلامية:

الآثار الروحية والمعنوية

في بعض النصوص، ذُكرت آثار للطاعة تتعلق بالجوانب الروحية والمعنوية للإنسان. من ذلك، يمكن الإشارة إلى (الملجأ المنيع)^(٣). فمن الاحتياجات الجادة للإنسان، وجود ملجأ آمن، وهذا يتحقق في ظل طاعة الله سبحانه وتعالى. فمن كان من أهل الطاعة، وضع نفسه تحت راية الله وجلب لنفسه عونه ودعمه.

كذلك، فإن الطاعة تُقَرِّب الإنسان إلى الله^(٤)، وتثمر (المحبة

(١) - عن النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» [وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٨٤، ح ٢]. وعن الإمام علي عليه السلام: «لَا تَنَالُ مَرْضَاتَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» [نهج البلاغة، الخطبة ١٢٩].

(٢) - الكافي، ج ٥: ٣٧٠.

(٣) - عن الإمام علي عليه السلام: «الطاعة حِرْزٌ» [غرر الحكم، ح ٩٢].

(٤) - عن النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُمَا أَفْتَرَضْتُ عَلَيْهِ» [الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢، ح ٧].

مع الله^(١). فالله (عزَّ وجلَّ) هو مُبدئ الإنسان ومنشؤه، ولذلك فهو يحتاج إلى علاقةٍ قريبةٍ مع خالقه. والأهم هنا أنَّ طاعة الله هي من الأمور التي تقرب الإنسان إلى الله وتُوجد هذه الصلة الحميمة معه.

ومن الآثار الأخرى للطاعة، (تذوق حلاوة الإيمان)^(٢). فمن طهر نفسه من الذنوب واقترب من الله بطاعته، وملأ قلبه بحبه، فإنَّه ينال حلاوة العلاقة مع الله وفهمه له، وهي حلاوة لا مثيل لها.

ومن الآثار الأخرى كذلك، (تكريم النفس)^(٣). فلما كانت طاعة الله تشتمل على الأفعال الحسنة والقيمة، والمعصية تشتمل على الأفعال القبيحة وغير القيمة، فإنَّ من كان من أهل الطاعة فإنَّه يكرم نفسه من خلال إلزامها بما هو قيم ورفيع. كما أنَّ الله سبحانه وتعالى هو مصدر الكرامة والخير والبركة، فلا اقتراب منه والاتصال به يُكرم النفس ويمنعها شعوراً بالقيمة.

كذلك، أُشير إلى طاعة الله على أنَّها (نور العين)^(٤)، مما يدلُّ على الأثر النفسي الإيجابي الذي تتركه في النفس. فمن يؤدي الطاعة يشعر بالنشاط والسرور، وكما يُقال تكون (قُرَّة عينه).

(١)- عن الإمام الصادق (عليه السلام): «قَالَ اللَّهُ -تبارك وتعالى-: مَا تَحَبَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِأَحَبِّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ» [الكافي، ج ٢، ص ٨٢، ح ٥].

(٢)- عن الإمام علي (عليه السلام): «صَابِرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَصَوْنِهَا عَنْ دَنَسِ السَّيِّئَاتِ، تَجِدُوا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» [غرر الحكم، ح ٥٨٩١].

(٣)- عن الإمام علي (عليه السلام): «إِنَّكَ إِذَا أَحْسَنْتَ فَنَفْسُكَ تُكْرَمُ وَإِلَيْهَا تُحْسِنُ؛ إِنَّكَ إِذَا سَأَسْتَ فَنَفْسُكَ تَمْتَنُّ وَإِلَيْهَا تَغْنَبُ» [م ن، ح ٣٨٠٨-٣٨٠٩].

(٤)- عن النبي (صلى الله عليه وآله): «الطَّاعَةُ قُرَّةُ الْعَيْنِ» [بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٠٦، ح ٨].

الآثار الدنيوية

من بين الآثار الدنيوية للطاعة يمكن الإشارة إلى (كفاية الأمور)^(١). فالحياة مليئة بالاحتياجات المختلفة، ومن أفضل وأعظم المصادر التي يمكنها تلبية هذه الاحتياجات الله سبحانه وتعالى، ويمكن الوصول إلى هذا المصدر عبر الطاعة.

ومن الآثار الأخرى أنّ طاعة الله سبحانه وتعالى هي (مفتاح كلّ صلاح، وإصلاح لكلّ فساد)^(٢)، وتُخلّص الإنسان من الشرور وتمنحه كلّ خير وبركة^(٣). وفي مسيرة الحياة، قد يواجه الإنسان أموراً تحتاج إلى تصحيح وتسوية، ويتم ذلك من خلال الطاعة. ربما أحد الأسباب الرئيسة لذلك هو أنّ الطاعة أساساً تُزيل المشكلات وتُبعد السيئات عن الإنسان. وربما لهذا السبب، وصفت الطاعة بأنّها (أقوى سبب)^(٤).

(١) - «مَنْ آتَرَ طَاعَةَ اللَّهِ بَغَضَ النَّاسُ، كَفَاهُ اللَّهُ عَدَاوَةَ كُلِّ عَدُوٍّ، وَحَسَدَ كُلِّ حَاسِدٍ، وَبَغِي كُلِّ بَاغٍ، وَكَانَ اللَّهُ لَهُ نَاصِرًا وَظَهِيرًا» [الكافي، ج ٢، ص ٣٧٢، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٧٩، ح ٣٦٦].

(٢) - عن الإمام علي عليه السلام: «طَاعَةُ اللَّهِ مِفْتَاحُ كُلِّ سَدَادٍ، وَصَلَاةُ كُلِّ فَسَادٍ» [غرر الحكم، ح ٦٠١٢].

(٣) - عن النبي صلى الله عليه وآله: «وإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ نَجَاحٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ يُبْتَغَى، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُتَّقَى، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ يَعْصِمُ مَنْ أَطَاعَهُ، وَلَا يَعْصِمُ بِهِ مَنْ عَصَاهُ» [الكافي، ج ٨، ص ٨٢، ح ٣٩؛ كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٨، ح ٨٦٤].

(٤) - عن الإمام علي عليه السلام: «الطَّاعَةُ لِلَّهِ أَقْوَى سَبَبٍ» [غرر الحكم، ح ١٤٠١].

ومن الآثار الأخرى، (إجابة الدعاء)^(١). فالدعاء هو وسيلة طلب من الله، وتحقيق هذا الطلب يعتمد على إجابة الله، وهذه الإجابة تعتمد على الطاعة.

من الآثار الأخرى للطاعة، (الشعبية الاجتماعية)^(٢). من يتبع كلام الله تعالى يمنحه الله العزة، ويجعله محبوباً بين الناس.

الآثار الأخروية

في مجال الآثار الأخروية، ذكرت مجموعتان من الآثار؛ المجموعة الأولى تركز على (إخماد غضب الله)^(٣)، و(مغفرة الذنوب)^(٤)، مما يؤدي إلى «الأمن من العذاب»^(٥). أما المجموعة

(١)- النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ -جَلَّ جَلَالُهُ-: أَيُّمَا عَبْدٍ أطَاعَنِي لَمْ أَكُلْهُ إِلَى غَيْرِي، وَأَيُّمَا عَبْدٍ عَصَانِي وَكَلَّتْهُ إِلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ لَمْ أَبَالِ فِي أَيِّ وَادٍ هَلَكَ» [كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٣، ح ٥٨٦٩].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أطَاعَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) فِيمَا أَمَرَهُ، ثُمَّ دَعَا مِنْ جِهَةِ الدُّعَاءِ أَجَابَهُ» [الكافي، ج ٢، ص ٤٨٦، ح ١٨].

(٢)- عن النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ، فَإِذَا أَحَبَّهُ اللَّهُ حَبَبَهُ إِلَى خَلْقِهِ، وَإِذَا عَمَلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ أَبْغَضَهُ اللَّهُ، وَإِذَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ بَغْضَهُ إِلَى خَلْقِهِ» (كنز العمال، ج ١٦، ص ١٢٥، ح ٤٤٢٥٦).

(٣)- عن الإمام علي عليه السلام: «الطَّاعَةُ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» [غرر الحكم، ح ١٢٤٣].

(٤)- «قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا مَنْ يَخْلُقُكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَرِّجُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (نوح: ٤٠٢). «وَأَنِ اطَّعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (الحجرات: ١٤).

(٥)- «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مَنْ فَرَغَ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ» (النمل: ٨٩). الإمام علي عليه السلام: «إِنْ أَنْصَحَكُم لِنَفْسِهِ أَطُوعَكُم لِرَبِّهِ وَأَعَشَّكُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاكُمْ لِرَبِّهِ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ يَأْمَنُ وَيَسْتَبْشِرْ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ يَخْبَ وَيَنْدَمُ» [الكافي، ج ١، ص ٤٥، ح ٦].

الثانية فتؤكد على (الثواب الإلهي)^(١)، و(دخول الجنة)^(٢). هاتان المجموعتان معاً ترسمان أفضل صورة للحياة الأبدية للإنسان.

ممّا تقدّم، يتضح أنّ طاعة الله تعالى لها آثار وفوائد قيّمة للإنسان. إذا وصل الإنسان إلى قناعة بأنّ الطاعة ليست لله وإنّما له هو نفسه، فلن يشعر بعدم الرضا عند القيام بها. في هذه النصوص، تمت الإشارة بنحو عام إلى آثار طاعة الأوامر الإلهية. وقد حدّدت بعض النصوص بنحو خاصّ حكمة تشريع بعض التكاليف، وهذا ما يُعرف بـ(علل الشرائع). وبناءً على ذلك، قام الشيخ الصدوق (رحمه الله) بتأليف كتاب يحمل هذا الاسم.

إنّ تناول هذه الجوانب بشكلٍ مفصّل يتجاوز نطاق وحدود هذا البحث. في كلّ حالةٍ قد يواجه فيها الفرد مشكلة، ينبغي توضيح حكمتها. وبناءً عليه، يحتاج الإنسان إلى طاعة الله تعالى لتلبية احتياجاته. يقول لقمان الحكيم لابنه: «أطع الله بِقَدْرِ حاجتكِ إليه»^(٣).

(١)- الإمام علي عليه السلام: «مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَنَالَ ثَوَابًا جَزِيلًا، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا وَاسْتَحَقَّ عَذَابًا أَلِيمًا. فَأَنْجِعُوا بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِخْلَاصِ النَّصِيحَةِ وَحَسَنِ الْمُؤَاذَرَةِ وَأَعْبُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِلُزُومِ الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَهَجْرِ الْأُمُورِ الْمَكْرُوهَةِ» [الكافي، ج ١، ص ١٤٢، ح ٧].

(٢)- «وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا» (الفتح: ١٧) و«وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (النساء: ١٣).

(٣)- أعلام الدين، ص ٩٣.

خامسًا: آثار ترك المعصية

رغم أنَّ المعصية تحمل لذة، إلا أنَّ نتيجتها ليست سوى (الإساءة للنفس). هذه قاعدةٌ أساسيةٌ في حياة الإنسان^(١). ولهذا يؤكد القرآن الكريم أنَّ الله لا يظلم أحدًا^(٢). وبناءً على ذلك، يشير النبي ﷺ إلى أنَّ الإنسان العاصي لا يسيء إلا لنفسه^(٣) ولا يضرها إلا بيده^(٤). ويؤكد الإمام علي عليه السلام أيضًا هذه النقطة، ببيان أنَّ ارتكاب المعصية وترك الطاعة هو سبب الخسران^(٥). يروي الإمام الصادق عليه السلام: «كُتِبَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه): يَا أَبَا ذَرٍّ! أَطْرَفَنِي شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ: إِنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ إِنْ قَدَرْتَ إِلَّا تُسَيِّءَ إِلَى مَنْ تُحِبُّهُ فافْعَل. قَالَ: فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وَهَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا يُسَيِّءُ إِلَى مَنْ يُحِبُّهُ؟! فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، نَفْسُكَ أَحَبُّ الْأَنْفُسِ إِلَيْكَ، فَإِذَا أَنْتَ عَصَيْتَ اللَّهَ فَقَدْ أَسَأْتَ إِلَيْهَا»^(٦).

(١)- يصرح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١١١)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لَأَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧).

(٢)- ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦).

(٣)- «لَا يَجْنِي جَانٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، لَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ» [مسند ابن حنبل، ج ٥، ص ٤٣٦، ح ١٦٠٦٤] و«وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا» [السنن الكبرى، بيهقي، ج ٧، ص ١٤٦].

(٤)- «لَا يَجْنِي عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا يَدُهُ» [كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٧٨، ح ٥٧٨٦].

(٥)- «مَنْ فَعَلَ الشَّرَّ فَقَلَى نَفْسَهُ اعْتَدَى» [غرر الحكم، ح ٨١٧٨]، و«مَنْ أَسَسَ أَسَاسَ الشَّرِّ أَسَسَهُ عَلَى نَفْسِهِ» [غرر الحكم، ح ٨٦٦٧].

(٦)- الكافي، ج ٢، ص ٤٥٨، ح ٢٠.

وأكدَ نبيُّ الله سليمانَ ﷺ هذه القاعدة، وشبهَ نبيُّ الله عيسى ﷺ عدم ضرر المعصية لله تعالى، بعدم تضرر البحر بغرق السفينة فيه^(١).

لذلك، فإنَّ ترك المعصية مكسبٌ كبيرٌ يحمل آثارًا إيجابيةً عديدة. في بعض الروايات، تم ذكر آثار إيجابية لترك الذنب، من بين هذه الآثار، عدُّ ترك الذنب حسنة^(٢). ولهذا، فإنَّ الله تعالى يعدُّ ترك الذنب حسنة^(٣)، أي يكون تارك الذنب كأنه من المحسنين^(٤).

أثر آخر هو (مغفرة الذنوب)، فمن يترك الذنب يغفر الله له ذنوبه^(٥). ومن الفوائد الأخرى لترك المعصية يمكن الإشارة إلى

(١)- «يَحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ كَمَا لَا يَنْقُصُ الْبَحْرُ أَنْ تَغْرُقَ فِيهِ السَّفِينَةُ، وَلَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ شَيْئًا، كَذَلِكَ لَا تَنْقُصُونَ اللَّهَ بِمَعَاصِيكُمْ شَيْئًا، وَلَا تَضُرُّوهُ، بَلْ أَنْفُسُكُمْ تَضُرُّونَ وَإِيَّاهَا تَنْقُصُونَ» [تحف العقول، ص ٥٠٧].

(٢)- عن النبي ﷺ: «مَنْ هَمَّ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَرَكَهُ كَانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ» [دستور معالم الحكم، ج ١، ص ٢٣٥، ح ٣٦٩؛ الفردوس، ج ٣، ص ٥٣١، ح ٥٦٥٩]. وفي حديث آخر: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: أَرْقُبُوهُ، فَإِنْ عَمَلَهَا فَارْكَبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْكَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَايَ» [صحيح مسلم، ج ١، ص ١١٨، ح ٢٠٥].

(٣)- عن الإمام علي عليه السلام: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي يَبِيدُ خَزَائِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. جَعَلَ تَرْوَعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً» [نهج البلاغة، الكتاب ٣١].

(٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «مُتَّقِيَ الْمَعْصِيَةِ كِفَاعِلِ الْبِرِّ» [غرر الحكم، ح ٩٧٩].

(٥)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ خَلَا بِذَنْبٍ فَرَأَى اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرَهُ وَاسْتَحْيَا مِنَ الْحَقِظَةِ، غَفَرَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ ذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ» [كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٥٨٩٥، ح ٤١١].

مضاعفة ثواب الحسنات^(١)، ورفع الدرجات^(٢)، وتذوق حلاوة العبادة^(٣)، وتيسير الموت^(٤)، والحصول على الجنة^(٥).

رابعًا: الأساس النظري لكون القضاء خيرًا (بحث خاص)

تطرقت النصوص الدينية إلى أمثلة متعددة تُظهر أنَّ القضاء التكويني والتشريعي لله تعالى (بأنواعه) يحمل الخير، وقد سبق الإشارة إلى ذلك. والسؤال هو: ما النظرية التي يمكن أن تفسر هذه الأمور؟ يبدو أنَّ الأساس النظري لكل هذه الأمور هو (نمو الإنسان وتكامله)، أو ما يمكن تسميته (التوحيد المتفتح).

الإنسان كائنٌ يمتلك قدرات متعددة يجب أن تنفتح وتصل إلى الكمال. بالطبع، هذا النمو والتفتح يتماشى مع فلسفة خلق الإنسان، وهي التوحيد. النمو والتكامل الأساس للإنسان هو أن يتجاوز أمورًا كالدينا ونفسه (الابتعاد عن غير الله) ليصبح إلهيًا،

(١)- عن الإمام علي عليه السلام: «طَهَّرُوا قُلُوبَكُمْ مِنْ دَرَنِ السَّيِّئَاتِ، تُضَاعَفْ لَكُمْ الْحَسَنَاتُ» [غرر الحكم، ح ٦٠٢١].

(٢)- عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْبِقَ الذَّائِبَ الْمُجْتَهِدَ، فَلْيَكْفَعْ عَنِ الذُّنُوبِ» [مسند أبي يعلى، ج ٤، ص ٤٦٩، ح ٤٩٢٩].

وعن الإمام علي عليه السلام: «إِنَّكَ إِنْ اجْتَنَبْتَ السَّيِّئَاتِ، نَلْتَ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ» [غرر الحكم، ح ٣٨٠٤].
(٣)- عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَعْرَضَ عَنْ مُحَرِّمٍ، أَبْدَلَهُ اللَّهُ بِعِبَادَةٍ تَسْرُهُ» [الأُمالي، الطوسي، ص ١٨٢، ح ٣٠٦].

وعن الإمام علي عليه السلام: «صَابِرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَصُونُوهَا عَنْ دَنَسِ السَّيِّئَاتِ، تَجِدُوا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» [غرر الحكم، ح ٥٨٩١].

(٤)- عن النبي صلى الله عليه وآله: «أَقْلَ مِنْ الذُّنُوبِ، يَهُنْ عَلَيْكَ الْمَوْتُ» [شعب الإيمان، ج ٤، ص ٤٠٤].

(٥)- عن الإمام علي عليه السلام: «نَيْلُ الْجَنَّةِ بِالتَّنَزُّهِ عَنِ الْمَأْثِمِ» [غرر الحكم، ح ٩٩٥٣].

وهو ما يُسمَّى (النموّ التوحيدى)، أو (التفتّح التوحيدى). من الممكن للإنسان أن يصبح مخلوقاً شيطانياً ونفسياً أيضاً. ولهذا السبب، الأهم هو أن الاستعداد لأنّ يصبح إلهياً موجوداً في الإنسان، ولإطلاق هذا الاستعداد تم وضع النعمة، والمصيبة، والتكليف.

في الحقيقة، أحياناً يمنح الله النعمة لينمّي التوحيد في جانب النعم والفرح، فيرى الإنسان أنّ كلّ شيءٍ من الله يستخدم هذه النعم في سبيل نموّه وتكامله. وأحياناً يرسل المصائب لينمي التوحيد في جانب المصائب، ويثبت التزامه بعنده مع الله، حتى لو كان ذلك مع وجود المصائب. المصيبة يمكنها أن تعيد الإنسان المخطئ إلى الله، وتطهره، وتحفظ دينه، وترفع درجته. ذلك كلّه يصب في مسار النموّ التوحيدي.

كذلك، من خلال تكليفه بأمور يكرهها، ونهيه عن أمور يرغب فيها، تُنمّي محورية الله في الإنسان، ليتبين ما إذا كان مستعداً للتخلّي عن كلّ شيءٍ من أجل الله. السمة المشتركة في ذلك كلّها هي أنّ الإنسان مستعدٌّ للتخلّي عن جميع إغراءات الدنيا وميول النفس، ليرى الله وحده. هذا هو قمة النموّ والتكامل للإنسان. في الراحة واليسر لا تفتّح القدرات الكامنة للإنسان.

يقول الشهيد مطهري في هذا الصدد: «القبح تمهيدٌ لوجود الجمال وهو خالقه ومبدعه. في بطن المصائب والمآسي تختبئ

السعادة والنعيم»^(١). الإنسان كائنٌ يمتلك قدراتٍ واستعداداتٍ عديدة يجب أن تتطور لتحقيق السعادة والرخاء، وتحوّل من القوة إلى الفعل. ما يهيئ لهذا الأمر هو الصعوبات والمصائب، والمكان الذي يحدث فيه هذا التحوّل هو الدنيا. أساس وجود الدنيا هو تربية القدرات الكامنة للإنسان. هذا هو معنى أن الدنيا مقدّمةٌ للآخرة.

الآخرة، سواء الجنة أم النار، هي مكان لظهور (القدرات المتطورة)، وليس فيها مجال للقدرات الكامنة. لذلك خلقت الدنيا لتكون ورشةً لتطوير القدرات وإظهار الإمكانات، وأدواتها هي الامتحانات والابتلاءات. يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧-٨). أن يصبح الإنسان شيطاناً أو ملاكاً يعتمد على كيفية بناء نفسه^(٢). ما يهيئ لهذه المهمة هو المواقف المرّة والحلوة التي تدفع البشر إلى التفاعل. ولهذا السبب خلق الله الإنسان في كبّد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

يرى الشهيد مطهري: «أنّ هذه الخاصية تتعلّق بالكائنات الحية، وخصوصاً الإنسان، حيث إنّ الصعوبات والمحن مقدّمةٌ لتحقيق الكمالات والتقدّم. فالضربات تدمّر الجمادات وتُضعف قدرتها، لكنها تحفز الكائنات الحية وتقويها. (كم

(١)- مجموعة الآثار ١: ١٧٣.

(٢)- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩-١٠).

من زيادة تأتي من النقصان). المصائب والشدائد ضرورية لتكامل الإنسان. إذا لم تكن هناك محن ومصاعب، سيهلك الإنسان... يجب على الإنسان أن يتحمل المشقات ويكابد الصعوبات ليكتشف وجوده اللائق. التناقض والصراع هما السوط الذي يحفز الكمال. تسير الكائنات الحية نحو الكمال بهذا السوط»^(١).

وهذا هو ما يُشار إليه في الأدبيات الدينية بـ(الابتلاء)^(٢). الدنيا وحياتها خلقت للاختبار، والاختبار يهدف إلى بناء شخصية الإنسان. في هذه الحياة توجد صعوبات تدفع الإنسان إلى التفاعل، وطريقة تفاعله تكشف عن إمكاناته الكامنة. الصبر هو رد الفعل المنطقي والإيجابي الذي يُنمي الإنسانية؛ ولهذا يُبشّر به^(٣).

ويؤكد الإمام الصادق عليه السلام مبدأ أن الحرمان المادي وسيلة لاختبار الفرد بقوله: «ما أُعْطِيَ عَبْدٌ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا اعْتِبَارًا، وَمَا زُوِيَ عَنْهُ إِلَّا اخْتِبَارًا»^(٤). كما يشير النبي صلى الله عليه وآله إلى غاية الابتلاء والآثار المترتبة على طريقة التعامل معه بقوله: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَبْتَلِي الْعَبْدَ بِالرِّزْقِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُ؛

(١)- مجموعة الآثار ١: ١٧٥.

(٢)- «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَتُحِبُّونَ أَمْ تُحِبُّونَ الْعَمَلَ» (الملك: ٢).

(٣)- «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» (البقرة: ١٥٥).

(٤)- الكافي، ج ٢، ص ٢٦١، ح ٦؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٢٦، ح ٦٢٩.

فَإِنْ رَضِيَ بِوَرِكَ لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ»^(١).

وينقل النبي ﷺ عن الله سبحانه قوله:

«لَوْلَا أَنِّي أَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، مَا تَرَكْتُ عَلَيْهِ خَرَقَةً يَتَوَارَىٰ بِهَا، وَإِذَا أَكْمَلْتُ لَهُ الْإِيمَانَ ابْتَلَيْتُهُ بَضْعٍ فِي قُوَّتِهِ، وَقَلَّةٍ فِي رِزْقِهِ، فَإِنْ هُوَ جَزَعٌ أَعَدْتُ عَلَيْهِ، وَإِنْ صَبَرَ بَاهَيْتُ بِهِ مَلَائِكَتِي»^(٢).

الفقر والغنى وسائل لكشف خصائص الإنسان وصفاته الكامنة. يقول الإمام علي عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: «وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ؛ لِيَتَبَيَّنَ السَّخَاطُ لِرِزْقِهِ، وَالرَّاضِي بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ لَتُظْهِرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْإِنَاثَ، وَبَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَتْمِيرَ الْمَالِ وَيَكْرَهُ انْتِلَامَ الْحَالِ»^(٣).

وفي الحديث عن حكمة تقييد الرزق وبسطه، يشير الإمام عليه السلام إلى أَنَّ الغاية ذلك الاختبار والامتحان لمعرفة مَنْ يَشْكُرُ وَمَنْ يَصْبِرُ، فيقول: «قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَمَهَا

(١)- حلية الأولياء، ج ٢، ص ٢١٣. وأيضاً: «إِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) لَهُ بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ وَوَسَّعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ» [مسند ابن حنبل، ج ٧، ص ٢٨٢، ح ٢٠٣٠١؛ شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٢٥، ح ٩٧٢٥].

(٢)- الأمالي، الطوسي، ص ٣٠٦، ح ٦١٣؛ الزهد، الحسين بن سعيد، ص ٤٥، ح ٦١.

(٣)- نهج البلاغة، الحكمة ٩٣.

عَلَى الضَّيْقِ وَالسَّعَةِ، فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمِيسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غِنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا. ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا، وَبَسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفَرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا. وَخَلَقَ الْأَجَالَ فَاطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَجَعَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَانِهَا، وَقَاطِعًا لِمَرَاتِرِ أَقْرَانِهَا^(١).

أَكَّدَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فِي تَفْسِيرِهِ لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، هَذَا الْمَبْدَأَ قَائِلًا: «أَيَّ اخْتَبَرْنَا الْأَغْنِيَاءَ بِالْغِنَاءِ؛ لِنَنْظُرَ كَيْفَ مُوَاسَاتُهُمْ لِلْفُقَرَاءِ، وَكَيْفَ يُخْرِجُونَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، فَاخْتَبَرْنَا الْفُقَرَاءَ لِنَنْظُرَ كَيْفَ صَبَرُهُمْ عَلَى الْفَقْرِ وَعَمَّا فِي أَيْدِي الْأَغْنِيَاءِ»^(٢). وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَيْضًا رَدًّا عَلَى كَافِرٍ سَأَلَهُ عَنْ عِلَّةِ الْفَقْرِ وَالْغِنَى، إِذْ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «اخْتَبَرَ الْأَغْنِيَاءَ بِمَا أُعْطَاهُمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ شُكْرُهُمْ، وَالْفُقَرَاءَ بِمَا مَنَعَهُمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ صَبَرُهُمْ»^(٣).

لِذَلِكَ، الْفَقْرُ وَالْغِنَى، وَالضَّعْفُ وَالْقُوَّةُ، لَيْسَا دَلِيلَيْنِ عَلَى قِيَمَةِ الْإِنْسَانِ أَوْ مَكَانَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ. يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «لَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ وَالْإِخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَى وَالْإِقْتَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَيَّحْسِبُونَ أَنَّمَا

(١)- نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

(٢)- تفسير القمي، ج ١، ص ٢٠٢.

(٣)- الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٢٤، ح ٢٢٣.

نُعِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ سُرْعٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥-٥٦﴾، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ^(١). فالإمام علي عليه السلام يرى هذا التصوّر الخاطئ نتيجةً للجهل. ومن هنا، المعرفة والوعي يمكن أن يُزيلَا هذا التصوّر الباطل ويُحِلَّا مكانه تصوّرًا صحيحًا.

مما سبق يتضح أنّ البلايا والصعوبات من أيّ نوع كانت، ليست عديمة المعنى أو الفائدة، بل هي ضرورية لحياة الإنسان. فالإنسان من دون الصعوبات والتحديات لا يكون ذا قيمة. وبالتالي، فلسفة التقديرات التكوينية والتشريعية لله تعالى هي تنمية التوحيد. فهل يمكن عدّ المصاعب شرًّا أو عديمة النفع؟! من دون البلايا والاختبارات، يصبح الإنسان مثل شتلة لم تنمّ أو بذرة لم تُنبت، سرعان ما تهلك. المصاعب ليست عديمة المعنى؛ لذا لا يجب أن نحزن بسببها، بل يجب تقديرها واحترامها؛ ولهذا، يجب ألا يكون المرء غير راضٍ عن الابتلاءات^(٢).

خلاصة الفصل

الأساس النظري للرضا يقوم على الخير، فإذا كانت الحياة قائمةً على الخير، يتحقّق الرضا. وتقدير الله للإنسان قائمٌ على

(١). نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

(٢). الإمام علي عليه السلام: «لَا تَفْرَحْ بِالْغَنَاءِ وَالرِّخَاءِ، وَلَا تَغْتَمَّ بِالْفَقْرِ وَالْبَلَاءِ؛ فَإِنَّ الدَّهَبَ يُجْرَبُ بِالنَّارِ، وَالْمُؤْمِنَ يُجْرَبُ بِالْبَلَاءِ» [غرر الحكم، ح ١٠٣٩٤].

الخير والصالح، حتى لو بدا للفرد عكس ذلك. جوهر هذا الخير يعود إلى فلسفة الخلق، أي نمو الإنسان وتكامله. الخير الحقيقي للإنسان يكمن في توحيده لله وتألهه. لذلك، تنمية التوحيد هي الأساس النظري لتقدير الله في حياة الإنسان.

هذا يتحقق أحياناً من خلال المصائب، التي تؤدي إلى عودة الإنسان الضال، وتطهيره من الذنوب، وحماية دينه، ورفع درجته. وأحياناً من خلال النعم، التي تعزز شكر الله واستخدام النعمة في طاعته. وأحياناً من خلال التكليف، الذي يؤدي إلى مخالفة النفس وطاعة الله، مما يتيح للإنسان الاستفادة من فوائده الإلهية.

نقطة البداية للخير هي تقدير الله، لكن للإنسان دورٌ في تحقيقه؛ لذلك، السلوك الصحيح للإنسان شرط لتحقيق الخير في حياته. وبناءً على ذلك، هناك ثلاث ركائز للرضا: الأولى الإيمان بخيرية التقدير (الإيمان بالخير)، والثانية السعي لتحقيق الخير في النطاق الذي يملكه الإنسان (جلب الخير)، والثالثة اكتشاف الخيرات الموجودة لكنّها مخفية في الحياة (البحث عن الخير).

الفصل الخامس
استراتيجيات التكيف
والقبول والسرور

الفصل الخامس

استراتيجيات التكيف والقبول والسرور

البحث الأول: استراتيجية التكيف

من أهمّ مكونات الرضا هو التكيف؛ أي التكيف بين التوقعات والوضع الحالي. عدم التوافق بين التوقعات والإنجازات يشكلّ عاملاً مهماً في عدم الرضا. كلّ عاملٍ يقلّل هذا الفجوة يزيد من مستوى الرضا. إلى جانب ما ورد في استراتيجية الخير، فإنّ ضبط التوقعات والطموحات والرغبات يؤدّي أيضاً إلى تقليل هذه الفجوة. فالرضا لا يتحقّق دائماً من خلال تحقيق التوقعات والرغبات، بل في بعض الأحيان يجب تعديلها. وفيما يأتي سنتحدث عن هذا الموضوع:

١. تنظيم التوقعات

توقعاتنا من الحياة تشمل الرغبات والطموحات الماديّة؛ أي الأشياء التي نرغب في الحصول عليها والأمور التي لا نرغب في وقوعها. كلّ إنسان يحب بعض الأمور، وينفر من أمور أخرى، ولذا يرغب في أن تسير حياته على وفق ما يحبّ، وتبتعد عمّا يكره. كفيّة ضبط التوقعات تؤدّي دوراً مهماً في تحقيق الرضا أو عدمه. والسؤال هنا: كيف يجب أن تُضبط توقعات الإنسان



بنحو تكون ردود أفعاله إيجابيةً سواء في الظروف الملائمة أم غير الملائمة، ويحقق الرضا؟

فيما يأتي نستعرض العلاقة بين التوقعات والواقع لنوضح أي نموذج من ضبط التوقعات يحقق الرضا.

التوقعات غير الواقعية

توقعات بعض الأشخاص لا تتماشى مع واقع الحياة في الدنيا. فالسعادة والمعاناة هما وجهان لعملة واحدة في الحياة الدنيا. الحياة لها قوانين تمثل واقعها، وهذه القوانين وضعها الله تعالى وهي غير قابلة للتغيير. وقد تم تنظيمها بطريقة تضمن السعادة الحقيقية والأصيلة للإنسان؛ لأنها قائمة على مصلحته. وبالتالي، فإن عدم توافق التوقعات مع الواقع هو سبب رئيس لعدم الرضا؛ لأن هذا التعارض يؤدي إلى الشعور بالإحباط، والإحباط في التوقعات يؤدي إلى الشعور بعدم الرضا.

إذا تحققت توقعات الإنسان، فإنها تجلب له الرضا والسعادة، وإذا لم تتحقق، تسبب له الشعور بعدم الرضا. بعضهم يسعى لتركيز اهتمامه على توقعاته، ويحاول جعل الواقع يتماشى مع هذه التوقعات، أي جعل الواقع متوافقاً مع توقعاتهم. وبالنظر إلى ما سبق، فإن قوانين وحقائق الدنيا التي وضعها الله تعالى غير قابلة للتغيير. يقول القرآن الكريم عن واقع الحياة البشرية في الدنيا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

الإمام علي عليه السلام نقل هذا الواقع لابنه الإمام الحسن عليه السلام كوصية^(١). الإنسان يرغب في الراحة والرفاهية والتمتع، ويرى الدنيا كمكان لتحقيق هذه الرغبات، أو على الأقل يريد أن تكون كذلك. ولكن الحقيقة أن الدنيا ليست مكاناً للراحة والرفاهية. وهنا ينشأ التعارض بين التوقعات والواقع، وهذا التعارض يؤدي إلى الشعور بالإحباط؛ لأن الإنسان لا يجد ما يريده ويتوقعه. في الأساس، الدنيا لم تُخلق للراحة، ومن الواضح أن السعي وراء شيء غير موجود يؤدي إلى المعاناة والعذاب. يقول النبي صلى الله عليه وآله في هذا السياق: «إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يَقُولُ: ... وَضَعْتُ الرَّاحَةَ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّاسُ يَطْلُبُونَهَا فِي الدُّنْيَا فَلَا يَجِدُونَهَا»^(٢). إن البحث عن شيء غير موجود يؤدي إلى الفشل، والشعور بالفشل يجزّ إلى الإحباط وعدم الرضا^(٣).

يروى الزهري أن الإمام زين العابدين عليه السلام توجه يوماً إلى أحد الحاضرين في مجلسه، وقال: «اتَّقِ اللَّهَ، وَأَجْمَلْ فِي الطَّلَبِ، وَلَا تَطْلُبْ مَا لَمْ يُخْلَقْ؛ فَإِنَّ مَنْ طَلَبَ مَا لَمْ يُخْلَقْ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ حَسَرَاتٍ وَلَمْ يَنْلَ مَا طَلَبَ، ثُمَّ قَالَ: وَكَيْفَ يُنَالُ مَا لَمْ يُخْلَقْ؟!». فقال الرجلُ: وكيف يُطْلَبُ ما لم يُخْلَقْ؟ فقال عليه السلام: «مَنْ طَلَبَ الْغِنَى وَالْأَمْوَالَ وَالسَّعَةَ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّمَا يَطْلُبُ ذَلِكَ لِلرَّاحَةِ،

(١) - «اعلم... أن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد، أو ما شاء مما لا تعلم» [نهج البلاغة، الكتاب ٣١؛ تحف العقول، ص ٧٢].

(٢) - عوالي اللآلي، ج ٤، ص ٦١، ح ١١.

(٣) - النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ طَلَبَ مَا لَمْ يُخْلَقْ، أُنْعِبَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُرْزَق. قيل: يا رسول الله! وَمَا الَّذِي لَمْ يُخْلَقْ؟ قال: الرَّاحَةُ فِي الدُّنْيَا» [جامع الأخبار، ص ٥١٧، ح ١٤٦٤].

وَالرَّاحَةُ لَمْ تُخْلَقْ فِي الدُّنْيَا وَلَا لِأَهْلِ الدُّنْيَا، إِنَّمَا خُلِقَتِ الرَّاحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَلِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالتَّعَبُ وَالنَّصَبُ خُلِقَا فِي الدُّنْيَا وَلِأَهْلِ الدُّنْيَا، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْهَا جَفَنَةً إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْحِرْصِ مِثْلَهَا، وَمَنْ أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ كَانَ فِيهَا أَشَدَّ فَقْرًا؛ لِأَنَّهُ يَفْتَقِرُ إِلَى النَّاسِ فِي حِفْظِ أَمْوَالِهِ وَيَفْتَقِرُ إِلَى كُلِّ آلَةٍ مِنْ آلَاتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ فِي غِنَى الدُّنْيَا رَاحَةً، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يُوسَّوِسُ إِلَى ابْنِ آدَمَ أَنَّ لَهُ فِي جَمْعِ ذَلِكَ الْمَالِ رَاحَةً، وَإِنَّمَا يَسُوقُهُ إِلَى التَّعَبِ فِي الدُّنْيَا وَالْحِسَابِ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ»^(١).

كما علّم الإمام الصادق (عليه السلام) أصحابه هذا المبدأ لتوفير حياة أفضل لهم. قال الإمام يوماً لأصحابه: «لا تتمنوا المستحيل». فتعجبوا وسألوا: «ومن ذا الذي يتمنى المستحيل؟!». فأجاب الإمام (عليه السلام): «أنتم، ألسنتم تمنون الراحة في الدنيا؟ قالوا: بلى. فقال الإمام (عليه السلام): «الراحة للمؤمن في الدنيا مستحيلة»^(٢).

التوفيق بين التوقعات والواقع

ممّا سبق يتّضح أنّ محاولة تغيير الواقع وتطويره لتلبية التوقعات أشبه بضرب الماء في الهواء، وهي محاولة عبثية لا تؤدي إلا إلى مزيد من الألم والمعاناة وزيادة الشعور بعدم الرضا. الحقيقة أنّ الدنيا دار مشقة وابتلاءات. وبناءً على هذه الحقيقة، يتشكّل واقع آخر، وهو أنّ «المشقات أمرٌ لا مفرّ منه».

(١)- الخصال، ص ٦٤، ح ٩٥.

(٢)- بحار الأنوار ٧٨: ١٩٥، ح ٥٢.

الواقع أنَّ المشقَّات لا يمكن تجنُّبها، وهذه الحقيقة يجب تقبُّلها، إذ إنكارها لن يغيِّر شيئاً. الدنيا كدار للحياة لها مقتضياتها التي تخرج عن إرادتنا؛ فنحن لا نملك دوراً في تنظيمها ولا قدرة على تغييرها. خصائص الدنيا قد تمَّ تنظيمها على وفق حكمةٍ ومصلحةٍ إلهية، وفيها خيرٌ وصالحٌ للإنسان.

ما علينا فعله هو فهم حقيقة الدنيا وقبولها كما هي. توقُّع حياة خالية من المشقَّات هو توقُّع غير واقعي. المشقَّات جزءٌ من حياتنا وإنكارها لا يغيِّر من واقعها. وعندما ينسجم توقُّع الإنسان مع الواقع، تصبح توقُّعاته واقعية، ممَّا يمنع شعور الفشل، ويحقِّق الرضا عن الحياة.

ولهذا السبب، يشير النبي ﷺ إلى بعض خصائص الدنيا موضِّحاً كيف أنَّ معرفة حقيقتها يمكن أن تعدِّل ردود الأفعال السلبية تجاه المواقف المختلفة «أَيُّهَا النَّاسُ! هَذِهِ دَارُ تَرْحٍ لَا دَارُ فَرْحٍ، وَدَارُ التَّوَاءِ لَا دَارُ اسْتِوَاءٍ، فَمَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَحْ لِرَجَاءٍ، وَلَمْ يَحْزَنْ لَشَقَاءٍ»^(١).

في جزءٍ آخر من الروايات، تم التركيز على دور معرفة الدنيا في الأوقات الصعبة. المصائب والابتلاءات تعدُّ من أهمِّ أسباب عدم الرضا. فالحزن والاكتئاب وعدم الرضا تُعدُّ من النتائج المترتبة على مصائب الحياة. الإمام علي عليه السلام يشير إلى مبدأ

(١) - أعلام الدين، ص ٣٤٣.



رئيسٍ يتمثل في أنه إذا عرف الإنسان الدنيا على حقيقتها، فلن يشعر بالحزن وعدم الرضا حيال مصاعبها^(١). الإمام لا يقول إنَّ الدنيا يجب أن تُتصور مليئةً بالفرح والراحة، بل يشير إلى أنه إذا كانت معرفتكم للدنيا واقعية، فحتى مع الإقرار بوجود المصاعب، لن تشعروا بالحزن وعدم الرضا. التعاليم الدينية التي تبني الحياة تُربي الإنسان بنحوٍ لا ييأس أو يكتئب حتى في أشدَّ لحظات المصاعب والابتلاءات.

ما يمكن استخلاصه من هذا المبدأ هو أنَّ مواءمة التوقعات مع الواقع ليست مقتصرةً على الدنيا بنحو عام مجمل، بل يمكن تعميمها على كلِّ شؤون الحياة التفصيلية. على سبيل المثال، في العلاقات الاجتماعية والعائلية، يجب أن تكون التوقعات من الطرف الآخر متناسبةً مع خصائصه. كذلك، يجب تعديل التوقعات بشأن الوظيفة، ومكان العمل، ومكان السكن، وأمور أخرى مثل وسيلة النقل وغيرها بما يتناسب مع طبيعتها. وبالطبع، هذا التعديل يؤدي إلى الشعور بالرضا.

٢. تنظيم الأمان

تعدّ الأمان أحد أبعاد الحياة؛ فكلُّ إنسانٍ في حياته لديه مجموعة من الأمان، وهذه الأمان قد تؤدي إلى الشعور بعدم الرضا؛ لذلك،

(١) - «مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا، لَمْ يَحْزَنْ لِلْبَلَاءِ» [شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٧١، ح ١٣٧]. وأيضاً: «مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا أَصَابَهُ» [غرر الحكم، ح ٢٢٥٨].

يجب أن نفهم النموذج الصحيح للأمني لتحقيق الرضا. في بعض الروايات، يُذكر أن الأمني البعيدة تؤدي إلى تقليل الاستمتاع بالنعم وتصغير قيمتها، وتقلل من الشكر، وتزيد الحسرة على عدم تحصيلها^(١). روايات أخرى تتحدث عن خداع الأمني وتشير إلى أنها تسبب خيبة الأمل^(٢)، وتوقع الإنسان في انتظار لا نهاية له^(٣)، تمامًا كما ينطارد السراب^(٤)، مما يزيد من الألم والحزن^(٥).

يمكن تقسيم هذه الخصائص إلى مجموعتين: إما نعم حاضرة، وإما أشياء مفقودة مُتمناة. بالنسبة للنعم الحاضرة، تسبب الأمني في تقليل قيمتها وعدم الاستمتاع بها، بينما بالنسبة للمفقودات، تسبب الأمني البعيدة في الإحباط وخيبة الأمل، وتزيد من نطاق الأمني، مما يؤدي إلى زيادة المعاناة.

مع الأخذ في الاعتبار هذا التصنيف، يمكن توضيح العلاقة بين الأمني والرضا وتفسير السبب. كما يتضح، تؤثر الأمني

(١)- الإمام علي عليه السلام: «تَجَنَّبُوا الْمُنَى؛ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِهَجَةٍ مَا خُوتُمْ، وَتَسْتَصْغِرُونَ بِهَا مَوَاهِبَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَكُمْ، وَتُعَقِّبُكُمْ الْحَسَرَاتُ فِيمَا وَهَمْتُمْ بِهِ أَنْفُسَكُمْ» [الكافي، ج ٥، ص ٨٥، ح ٧]. وأيضًا: «تَجَنَّبُوا الْمُنَى؛ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِهَجَةٍ نَعَمٍ اللَّهُ عِنْدَكُمْ، وَتُلْزِمُ اسْتِصْغَارَهَا لَكُمْ، وَعَلَى قَلَّةِ الشُّكْرِ مِنْكُمْ» [غرر الحكم، ح ٧٢٩٨].

(٢)- عن الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ، تَقْتَنُ النَّاسَ بِالشَّهَوَاتِ وَتُزِينُ لَهُمْ بِعَاجِلِهَا، وَإِيمَ اللَّهُ إِنَّهَا لَتَغُرُّ مَنْ أَمَلَهَا، وَتُخْلِفُ مَنْ رَجَاهَا» [الكافي، ج ٨، ص ٢٥٦، ح ٣٦٨].

(٣)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ أَمَلَ مَا لَا يُمْكِنُ، طَالَ تَرْقُبُهُ» [م، ن، ص ٤٣٩].

(٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ أَمَلَ الرَّيَّ مِنَ السَّرَابِ، خَابَ أَمَلُهُ وَمَاتَ بِعَطَشِهِ» [غرر الحكم، ح ٢٣٧٤].

(٥)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ سَعَى فِي طَلَبِ السَّرَابِ، طَالَ تَعَبُهُ وَكَثُرَ عَطَشُهُ» [غرر الحكم، ح ٢٣٧٥].

عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ كَثُرَ مُنَاهُ، كَثُرَ عَنَاؤُهُ» [غرر الحكم، ح ٧٣٠٦].

البعيدة سلباً على الإنسان من جهتين: الأولى على النعم التي يمتلكها والثانية على المفقودات التي يتمنى الحصول عليها. في الجزء الأول، يشعر الإنسان بالحرمان من النعم بسبب تقليل قيمتها، مما يؤدي إلى عدم الرضا. أما في الجزء الثاني، فإن السعي وراء أمانٍ بعيدٍ وغير قابلةٍ للتحقيق يؤدي إلى الإحباط وخيبة الأمل، مما يسهم في تقليل مستوى الرضا؛ لهذا السبب، يقول الإمام علي عليه السلام: «مَنْ كَثُرَ مُنَاهُ قَلَّ رِضَاهُ»^(١).

الأمل الطويل أو البعيد -الذي يُعرف أكثر في الأدبيات الدينية بكلمة (أمل)- له جذور في الرجاء. ولذلك، يرى بعض اللغويين أن الأمل يعني الرجاء^(٢) أو التوقع^(٣). هذه الخاصية هي ما يدفع الحياة ويحرك الإنسان. العالم يقوم على الأمل^(٤)، والإنسان يعيش بالأمل. إذا أخذ الأمل من الإنسان، لن تُرُفع أيُّ أمٍّ ولدها، ولن يزرع أيُّ بستانيٍّ شجرةً، ولن يتم إنجاز أيُّ عملٍ. الأمل هو رحمةٌ إلهيةٌ على الناس^(٥)؛ لكن المهم هو ألا يتجاوز هذا الأمل حدوده أو ينحرف عن مساره الصحيح. ما ورد من ذمٍّ للأمل في النصوص الدينية يختص بالحالات التي يصاب فيها الأمل بأفة. هذا الاستخدام السلبي للأمل يظهر في

(١)- غرر الحكم، ح ٧٣٠٤.

(٢)- العين: ٥٤.

(٣)- معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ١٤٠.

(٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «الدُّنْيَا بِالْأَمَلِ» [غرر الحكم، ح ٢٣٥].

(٥)- عن النبي صلى الله عليه وآله: «إِنَّمَا الْأَمَلُ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِأَمْنِي، لَوْلَا الْأَمَلُ مَا أَرْضَعَتْ أُمٌّ وَلَدًا، وَلَا غَرَسَ غَارِسٌ شَجَرًا» [فرهنگ نامه آرزو، ص ٢١، ح ١].

الحالات التي تتميز بعدّة خصائص:

أولاً: أن يكون متكرراً بلا توقف، بحيث لا يتوقّف الإنسان عند أيّ حدٍّ من الأمانيّ الدنيويّة. مع تحقيق كلّ أمنيّة، تظهر أمنيّة أخرى، وتستمر هذه الدائرة. فمثل هؤلاء الأفراد لا يشبعون من التمنيّ والسعي وراء ما لا يملكون^(١). هنا، لا يتهم الفرد بم يملكه؛ المهم عنده هو أنّه ما يفقده، لأنّه يملك شخصيّة دائمة التطلّع إلى أمانيّ دنيويّة كبيرة. وصاحب هذا الطبع لا يمكن أن يشبع أبداً.

ثانياً: أن تكون موضوعات الأمانيّ غير واقعيّة وغير قابلةٍ للتحقيق. وقد يكون ذلك بسبب عدم انتهاء الأمانيّ - كما أُشير سابقاً - أو بسبب طبيعة الأمنيات نفسها. بعض أمانيّ الناس لا يمكن تحقيقها في الدنيا، أو أنّ مستوى أمانيّ بعضهم يتجاوز أعمارهم. جاء في عدّة روايات، أنّ النبيّ محمدًا ﷺ خطّ خطأً، وقال: «هذا الإنسان»، ثم خطّ خطأً آخر، وقال: «هذا أجله»، وخطّ خطأً ثالثاً بعيداً عن الأول، وقال: «وهذا أمله».

وفي رواية أخرى، رسم النبيّ ﷺ مربّعاً يمثّل عمر الإنسان، وخطوطاً حوله تمثّل البلى وحوادث الحياة، وخطاً خارج المربع يمثّل أمل الإنسان. بهذه الطريقة، يبيّن أنّ أمانيّ الإنسان تتجاوز أعمارهم.

(١) عن الإمام عليّ عليه السلام: «الآمالُ لا تنتهي» [غرر الحكم، ح ٦٣٩]. و«الآملُ لا غايةَ له» [م.ن، ح ١٠١٠].

عقلنة الأماني

للوصول إلى الرضا، يجب إدارة الأماني وتنظيمها بحيث لا تقلل من قيمة ما يملك، ولا تؤدي إلى عدم الرضا. يكمن أصل هذا الخلل في ضعف المعرفة. الأماني الطويلة والكثيرة ظاهرة مخالفة لحقائق الحياة. وما كان مخالفاً للواقع، فهو محالٌ وغير قابلٍ للتحقيق، وهذا ينشأ عن الجهل وضعف الإدراك. هذا مبدأً أساسياً: «رَغَبْتُكَ فِي الْمُسْتَحِيلِ جَهْلٌ»^(١)؛ لذلك، فإنّ تصحيح المعتقدات وفهم الحقائق هو الحلّ لهذه المشكلة. يجب أن تتماشى الأماني مع حقائق الحياة.

واقعية الحياة هي أنّ الدنيا لكلِّ شخصٍ ليست إلاّ أياماً معدودة؛ لأنّ عمر الإنسان محدود. من يؤمن بهذه الحقيقة، سيكون أمله قصيراً وواقعياً^(٢). إذا تأمل الإنسان في نهاية عمره، وفي المصير الذي يتجّه نحوه، وفكر في الموضع الذي يسير إليه، فإنّه بالتأكيد سيتعد عن الآمال المهلكة، ولن ينخدع بها^(٣). المهم هو أن يدخل الإنسان الموت في حساباته^(٤). بناءً على

(١)- غرر الحكم، ح ٧٢١٨.

(٢)- عن الإمام عليّ عليه السلام: «مَنْ أَيْقَنَ أَنَّهُ يُفَارِقُ الْأَحْبَابَ، وَيَسْكُنُ التُّرَابَ، وَيُوَاجِهُ الْحِسَابَ، وَيَسْتَغْنِي عَمَّا خَلَّفَ، وَيَتَّقِرُّ إِلَى مَا قَدَّمَ، كَانَ خَرِيّاً يَقْصِرُ الْأَمَلُ وَطُولُ الْعَمَلِ» [كنز الفوائد، ج ١، ص ٣٥١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٦٨، ح ١٠٧].

(٣)- عن الإمام عليّ عليه السلام: «لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ، لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ» [نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٤]، وأيضاً: «لَوْ رَأَيْتُمُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ، لَأُهَيْتُمُ عَنِ الْأَمَلِ وَغُرُورِهِ» [مشكاة الأنوار، ص ٤٤. والأماشي، المفيد، ص ٣٠٩، ح ٨؛ الأماشي، الطوسي، ص ١٧٨].

(٤)- عن الإمام عليّ عليه السلام: «مَنْ اسْتَقْصَرَ بَقَاءَهُ وَأَجَلَهُ، قَصُرَ رَجَاؤُهُ وَأَمَلُهُ» [غرر الحكم، ح ٣١٤٤؛ عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٣٦].

ذلك، فإنَّ الفهم الصحيح للحياة والعمر والموت يعدُّ أصلاً أساسياً يؤدي إلى تصحيح آمال الإنسان^(١).

وعدَّ النبي ﷺ، النظر إلى انتهاء الآجال وعدم بلوغ الآمال، سبباً في بغض إطالة الأمل في الدنيا، ومانعاً من الاغترار به^(٢). بناءً على هذا، يوصي الإمام زين العابدين عليه السلام ابنه الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: «إِيَّاكَ وَالْأَمَلَ الطَّوِيلَ، فَكُمِ مِنْ مُؤَمِّلٍ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ وَجَامِعٍ مَالٍ لَا يَأْكُلُهُ»^(٣). في ظلِّ هذه الحقائق، يبدو من الغريب أنَّ يتعلَّق المرء بآمال طويلة^(٤). وللحفاظ على النفس من آفة الآمال الطويلة والوصول إلى حياة سليمة، يجب أن يتم إعادة النظر في فهم الإنسان للدنيا وتطبيقه مع حقائق الحياة.

٣. تنظيم طلب الرزق

من القضايا المهمة المتعلقة بالرزق هو الشعور الذي يجب أن يحمله الإنسان بعد السعي لتحقيق الرزق المقدَّر. أحياناً، قد يشعر الإنسان بشعور غير صحيح تجاه الرزق الذي لم يُكتب له، ممَّا يؤدي إلى عدم الرضا. وأحياناً، قد يكون الشعور تجاه الرزق المحقَّق غير صحيح، ممَّا يؤدي أيضاً إلى عدم الرضا.

(١)- عن الإمام علي عليه السلام: «لَوْ عُرِفَ الْأَجَلُ، قَصُرَ الْأَمَلُ» [الإرشاد، ج ١، ص ٣٠٠].

(٢)- «كُمِ مِنْ مُسْتَقِيلٍ يَوْمًا لَا يَسْتَكْمِلُهُ، وَمُسْتَظَرٍّ غَدًا لَا يَبْلُغُهُ. لَوْ نَظَرْتُمْ إِلَى الْأَجَلِ وَمَسِيرِهِ لَأَبْغَضْتُمْ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ» [الفردوس، ج ٣، ص ٣٠٤، ح ٤٩١٣، وأيضاً: الأمالي، الطوسي، ص ٥٢٥].

(٣)- كفاية الاثر: ٢٤٠.

(٤)- عن النبي ﷺ: «عَجِبْتُ لِمُؤَمِّلٍ دُنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ» [النوادر، الراوندي، ص ٢٣٧، ح ٦٥٨].



ينبغي تنظيم شعور الإنسان تجاه الرزق الذي حصل عليه. مجرد حصول الإنسان على الرزق لا يكفي؛ بل الشعور الذي يحمله تجاه هذا الرزق له دور مهم؛ لذا، يجب تنظيم شعورنا بطريقة صحيحة ليسهم في تحقيق الرضا.

من العوامل التي تعرقل الوصول إلى الرضا هو الحرص. الحرص يعني حالة من الرغبة الزائدة بلا حدود، التي لا يمكن إشباعها بأي شيء. من لا يرضى بالكفاف يقع في فخ الطمع؛ ولهذا ورد عن الإمام علي عليه السلام: «لَا تُطْمَعَنَّ نَفْسُكَ فِي مَا فَوْقَ الْكَفَافِ فَيَغْلِبَكَ بِالزِّيَادَةِ»^(١).

الفرق بين الشخص القانع والشخص الحريص غير الراضي يكمن في الشعور بالهدوء والطمأنينة التي يتمتع بها القانع، ويُحرم منها الحريص. فالطمع لم يزد في رزق الحريص، والقناعة لم تنقص من رزق القانع؛ لذا، إذا رضي الإنسان بما قُسم له، سيتمتع بنعمة الهدوء؛ وهي النعمة التي يُحرم منها الحريص^(٢).

من هذا المنطلق، فإن حاجة الإنسان إلى القناعة تفوق

(١)- غرر الحكم، ح ١٠٢٨٩.

(٢)- عن النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ رِزْقًا هُوَ يَأْتِيهِ لَا مَحَالَةَ؛ فَمَنْ رَضِيَ بِهِ بَوْرَكَ لَهُ فِيهِ، وَوَسِعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارَكَ لَهُ فِيهِ وَلَمْ يَسَعَهُ» [أعلام الدين، ص ٣٤٢].

حاجته إلى الطمع والجشع^(١). فكلّما ازداد الإنسان حرصاً، ابتعد بالقدر نفسه عن الطمأنينة. فالطريق الذي يسلكه الحريص لا يؤدي إلى وادي الطمأنينة^(٢)، ولا ينال منه شيئاً، بل قد يفقد حتى القليل الذي يمتلكه. ويُعدّ الشخص الحريص، من حيث الراحة النفسية ولذة الحياة، محروماً^(٣). الحريص يعتقد أنّه يمكنه بزيادة طمعه وجهوده أن يزيد من رزقه، ولكن وفقاً لقانون الرزق، كلّ شيءٍ مقدّر، فلا طائل من حرصه^(٤)؛ لذا، من جهةٍ يرهق نفسه، ومن جهةٍ أخرى يُصاب بالإحباط، ممّا يؤدي إلى شعور بعدم الرضا.

القناعة

كما ذكرنا، فإنّ الله يضمن الرزق للإنسان الساعي. وأصل

(١)- عن الإمام علي عليه السلام: «إنكم إلى القناعة ببسير الرزق أحوج منكم إلى اكتساب الحرص في الطلب» [غرر الحكم، ح ٨٩٨٥؛ عيون الحكم والمواعظ، ص ١٧٤].

(٢)- عن الإمام علي عليه السلام: «لا يلقى الحرّيسُ مُستريحاً» [غرر الحكم، ح ٦٦٠١؛ عيون الحكم والمواعظ، ص ٥٣٧].

(٣)- عن الإمام الصادق عليه السلام: «حرّم الحرّيسُ حصّلتين، ولزمتَه حصّلتان: حرّم القناعة؛ فافتقد الراحة، وحرّم الرضا؛ فافتقد اليقين» [الخصال، ج ١، ص ٦٩، ح ١٠٤].

(٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «إنك مُدرك قِسْمِكَ، ومُضمون رزقك، ومُسْتَوْف ما كُتِبَ لك؛ فأرح نفسك من شقاء الحرّيس ومُدَلَّة الطلب، وثق بالله، وخفّض في المُكْتَسَب» [غرر الحكم، ح ٦٦١٩؛ عيون الحكم والمواعظ، ص ١٧١].

الامام العسكري عليه السلام: «الأرزاق المكتوبة لا تُنال بالشره، ولا تدفع بالإسك عنها» [أعلام الدين، ص ٣١٤].

النبي صلى الله عليه وآله في وصيته لابي ذر: «يا أبا ذر! لا تُسبق بطيءٍ بحظه، ولا يُدرك حريصٍ ما لم يُقدّر له» [الأُمالي، الطوسي، ص ٥٢٧، ح ١١٦٢؛ مكارم الأخلاق، ج ٢، ص ٣٦٥، ح ٢٦٦١].

ونحوه عن الإمام الصادق عليه السلام: [الكافي، ج ٢، ص ٤٥٨، ح ١٩؛ تحف العقول، ص ٤٨٩].



ثابت أنَّ رزق الإنسان يحدده الله، ولا يستطيع أحدٌ منعه. النبي ﷺ يطمئن الناس بشأن هذه الحقيقة قائلاً: «لَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَصْرِفُوا عَنْكَ شَيْئًا قَدْ قُدِّرَ لَكَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَصْرِفُوا إِلَيْكَ شَيْئًا لَمْ يَقْدِرْ لَكَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا»^(١).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: اْعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) لَمْ يَجْعَلِ لِلْعَبْدِ وَإِنْ اشْتَدَّ جَهْدُهُ وَعَظُمَتْ حِيلَتُهُ وَكَثُرَتْ مُكَابَدَتُهُ أَنْ يَسْبِقَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَمْ يَحُلْ مِنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقَلَّةِ حِيلَتِهِ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ. أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ لَنْ يَزِدَادَ امْرُؤٌ نَقِيرًا بِحِذْقِهِ، وَلَمْ يَنْتَقِصْ امْرُؤٌ نَقِيرًا لِحُمَقِهِ. فَالْعَالِمُ لَهُذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمَ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَتِهِ، وَالْعَالِمُ لَهُذَا التَّارِكُ لَهُ أَعْظَمَ النَّاسِ شُغْلًا فِي مَضَرَّتِهِ»^(٢).

بناءً على ذلك، نحن بحاجة إلى شعور بالاكتماء لتحقيق الرضا مع السعي والاعتماد على الله. فإذا كان الإنسان يبذل جهده، فإنَّ رزقه المقدَّر سيأتيه من دون شك، ولا شيء يمكن أن يزيد عليه. هذه حقيقة. ولكن، للوصول إلى الرضا، يجب أن يرافق هذا الجهد شعورٌ بالرضا بما قدره الله. هذا ما تعبر عنه النصوص الدينية بمصطلح (القناعة). القناعة تعني الرضا

(١) - الأمل، الطوسي، ص ٦٧٥، ح ١٤٢٤.

(٢) - الكافي، ج ٥، ص ٨١، ح ٩.

بالمقدار الذي يراه الله كفايةً لتلك اللحظة^(١).

وقد عدَّ الإمام عليٌّ عليه السلام القناعة بالكفاف سبيلاً للراحة النفسية^(٢). وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «... فَعَلَى أَوَّلِ بَابٍ مِنْهَا (الْجَنَّةِ) مَكْتُوبٌ... لِكُلِّ شَيْءٍ حِيلَةٌ، وَحِيلَةُ الْعَيْشِ أَرْبَعُ خِصَالٍ: الْقَنَاعَةُ، وَبَذْلُ الْحَقِّ، وَتَرْكُ الْحَقْدِ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْخَيْرِ»^(٣). وينقل عن الإمام الصادق عليه السلام أن لقمان قال لابنه: «اقْنَعْ بِقِسْمِ اللَّهِ لَكَ يَصْفُ عَيْشُكَ»^(٤).

تحقيق الحياة الطيبة هو طموح أهل الإيمان. وعندما سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن تفسير الآية الكريمة: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾، أجاب قائلاً: إِنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ هِيَ الْقَنَاعَةُ^(٥).

أهم أثر داخلي للقناعة هو شعور الإنسان بالاستغناء، فوفقاً للروايات، القناعة مصدر بركة^(٦)، وهي ثروة لا تنفذ^(٧).

(١)- عن النبي ﷺ لأبي ذر: «مَنْ قَنَعَ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فَهُوَ أَعْنَى النَّاسِ» [الألمالي، الطوسي، ص ٥٣٦، ح ١١٦٢].

(٢)- «مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْعَةِ الْكِفَافِ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةُ، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ» [الكافي، ج ٨، ص ١٩، ح ٤].

(٣)- بحار الأنوار، ج ٨، ص ١٤٤، ح ٦٧.

(٤)- قصص الأنبياء، الراوندي، ص ١٩٥، ح ٢٤٤.

(٥)- نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٩. الألمالي، الطوسي ص ٢٧٥، ح ٥٢٤.

(٦)- عن النبي ﷺ: «الْقَنَاعَةُ بَرَكَةٌ» [قرب الإسناد، ص ١٦٠].

(٧)- عن النبي ﷺ: «الْقَنَاعَةُ بَحْرٌ مَالٌ لَا يَنْفَدُ» [جامع الأخبار، ص ١٠٦].

وعن النبي ﷺ أيضاً: «عَلَيْكُمْ بِالْقَنَاعَةِ؛ فَإِنَّ الْقَنَاعَةَ مَالٌ لَا يَنْفَدُ» [المعجم الأوسط، ج ٧، ص ٨٤، ح ٦٩٢٢].



وثمره القناعة هي الغنى والاستغناء^(١)؛ لهذا السبب، قال الإمام علي عليه السلام: «لا مَالٌ أَذْهَبَ بِالْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالقَنَاعَةِ، وَلَا كُنْزٌ أَغْنَى مِنَ الْقُنُوعِ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكِفَافِ؛ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةُ وَتَبَوَّأَ خَفَضَ الدَّعَةِ»^(٢). وفي رواية أخرى، يؤكد الإمام علي عليه السلام «لا مَالٌ أَذْهَبَ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالقُوَّةِ»^(٣). يوضح الإمام في هذه الرواية أنَّ ما تحقَّقه القناعة، لا يمكن للمال أن يحقِّقه؛ لأنَّه -كما ذكر- الأهمُّ هو القضاء على شعور الفقر، وهذا يتحقَّق بالقناعة وليس بالمال.

هذه قاعدةٌ ثابتة: «الاستغناء في القناعة»^(٤). إذا أراد الإنسان أن يشعر بالاستغناء، فعليه أن يبحث عنه في القناعة^(٥)، لا في كثرة المال. من يصل إلى القناعة، يصل إلى الغنى الحقيقي^(٦). ولهذا السبب، يكون القانع مستغنياً عن الناس^(٧)، ومحصلاً

(١)- عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «الغنى في القناعة» [أعلام الدين، ص ٢٩٩. وأيضاً: غرر الحكم، ج ٢٢، ٤٦٩، ٤٥٩٩، ٦٨٧٤ و ٩١٢٨؛ عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٠، ح ٤٦٩ وص ٣٥، ح ٦٨٣ وص ٢٠٨، ح ٤١٧٩].

(٢)- الكافي، ج ٨، ص ١٩، ح ٤؛ نهج البلاغة، الحكمة ٣٧١؛ كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٥، ح ٥٨٣٤؛ بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٢٣٨، ح ١ وص ٢٨١، ح ١.

(٣)- كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٥، ح ٥٨٣٤؛ نهج البلاغة، الحكمة ٣٧١؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٨.

(٤)- عن الإمام علي عليه السلام: «طَلَبْتُ الْغِنَى فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا بِالْقَنَاعَةِ؛ عَلَيْكُمْ بِالْقَنَاعَةِ تَسْتَغْنُوا» [جامع الأخبار، ص ٣٤١، ح ٩٥٠؛ بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٩٩، ح ٩١].

(٥)- عن النبي صلى الله عليه وآله: «كُنْ قَنَعًا تَكُنْ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ» [تاريخ دمشق، ج ٦٧، ص ٣٣٦. وأيضاً: غرر الحكم، ح ٤٠٥٧؛ عيون الحكم والمواعظ، ص ١٣٤، ح ٣٠٣٧].

(٦)- عن الإمام علي عليه السلام: «إِنَّكُمْ إِنْ قَنَعْتُمْ حُزْمُ الْقَنَاءِ، وَخَفَّتْ عَلَيْكُمْ مُؤُنُ الدُّنْيَا» [غرر الحكم، ح ٣٨٤٧].

(٧)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ قَنَعَ بِرِزْقِ اللَّهِ اسْتَغْنَى عَنِ الْخَلْقِ» [غرر الحكم، ح ٩٠٥٧].

للغنى الواقعي^(١). وهكذا، إذا تمكّن أحدٌ من تحصيل حالة الاكتفاء الداخلي، فإنّ أقلّ قليل من متاع الدنيا يكفيه، ومن حُرّم هذه الحالة، فلا شيء في الدنيا يكفيه.

هذه نقطةٌ جوهريّةٌ في هذا الموضوع. وفقاً للروايات الإسلامية، من يرضى بما يكفيه من الدنيا، فإنّ أقلّ متاع الدنيا يكفيه، ومن لا يرضى بما يكفيه، فلن يكفيه شيءٌ من الدنيا^(٢).

لذلك، لتحقيق الرضا، يجب أن يتوافق طلب الرزق مع الرزق المقدّر -الذي يأتي بالجهد- وهذا التوافق يمنع الفجوة بين الرزق الموجود وتوقعات الإنسان، ممّا يؤدي إلى الشعور بالرضا.

المناقشة الثانية: استراتيجية القبول

كما ذكر سابقاً، قبول الوضع الحالي والإقبال عليه هو من عناصر الرضا. الشخص الراضي هو من يقبل بكل إقبال وضعه الحالي؛ ولكن هذا القبول والإقبال لا يرتبط دائماً بمقدار ما يحصل عليه من الخارج، بل يعتمد أيضاً على حالته النفسيّة. قد تكون الظروف الخارجية جيّدة، ولكن الفرد قد يفتقد الإقبال والرضا.

(١)- عن الإمام علي عليه السلام: «إِرْضَ مِنَ الرِّزْقِ بِمَا قُسِمَ لَكَ تَعِشْ غَنِيّاً» [م.ن، ح ٩٢١٨].

(٢)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يُجْزِيهِ، كَانَ أَيْسَرُ مَا فِيهَا يَكْفِيهِ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يُجْزِيهِ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْءٌ يَكْفِيهِ» [الكافي، ج ٢، ص ١٤٠].

في هذا النقاش، نسعى لتوضيح كيفية تحقيق هذا الهدف:

١. التسليم والقبول

من القضايا المهمة في التعامل مع التقدير الإلهي هو قبول الإنسان لهذا التقدير أو عدم قبوله. كيفية تعامل الإنسان مع التقدير الإلهي لها تأثير كبير في الرضا أو عدمه. التعامل الخاطئ مع التقدير هو رفضه ومعارضته. وهذا يعني أن الشخص لا يقبله، بل يحاول إزالته من حياته. مع ما ورد سابقاً بشأن التقدير، فإن هذا التصرف عديم الجدوى. في حديث عن الإمام علي عليه السلام، ينقل أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام قائلاً: «يا داوود! تُريدُ وأُريدُ، ولا يكونُ إلّا ما أُريدُ، فإن أسلمتَ لما أُريدُ أعطيتُك ما تُريدُ، وإن لم تُسلمَ لما أُريدُ أتعبتُك فيما تُريدُ، ثم لا يكونُ إلّا ما أُريدُ»^(١).

هذا يدلُّ على أن معارضة التقدير ومقاومته لا طائل منها، ولن تؤدي إلّا إلى الخيبة والفشل. ومن الطبيعي أنه في مثل هذا السياق لا يمكن توقُّع الشعور بالرضا.

إذا تبين أن كلَّ الأمور بيد الله، وأنَّ شيئاً لا يحدث في الدنيا إلّا بإرادته، وإذا تبين أن الله يعمل لمصلحة البشر، وكلَّ ما يُريده أو يفعله هو خيرٌ لهم، فإنَّ السبيل للوصول إلى السعادة

(١) - التوحيد، ص ٣٣٧.

الحقيقيّة هو قبول مشيئته وكلّ تقديراته التكوينيّة والتشريعيّة. في الحقيقة، القبول بإرادة الله والعمل بموجبها هو الضمانة لسعادة الإنسان. وهذا هو ما يُشار إليه في الأدبيات الدينيّة بمصطلح (التسليم لأمر الله). الشخص المُسلم لأمر الله يقبل بكلّ أوامره التكوينيّة والتشريعيّة ولا يُقاومها.

مقاومة أوامر الله تعالى تعني معارضة قوانينه وسننه الثابتة، والسير عكس تيار الكون، ولن تؤدّي إلّا إلى زيادة المعاناة والمشكلات، كما تؤدّي إلى الفشل والإحباط في الحياة، فينجم عنهما مشاعر عدم الرضا.

لذلك، فإنّ التسليم في جميع الأمور هو من المبادئ التي حثّت عليها التعاليم الدينيّة. وقد سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى: ﴿وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥) قال: «هو التسليم في الأمور»^(١).

ونُقل عن الإمام علي (عليه السلام) أنّ رسول الله ﷺ كان مُسلمًا لله

وراضياً في كل الأمور^(١). وجاء في دعاء الإمام الكاظم عليه السلام أنَّ من صفات أصحاب الإمام المهدي عليه السلام التسليم^(٢).

واللافت أنَّ هذا المفهوم يرتبط بشكل وثيق بالإيمان بالله. فقد عدَّ رسول الله ﷺ التسليم أحد الأركان الخمسة للإيمان^(٣) وحقيقته^(٤). كما عدَّه الإمام علي عليه السلام أحد أركان الإيمان الأربعة

(١)- عن الإمام علي عليه السلام -في عدِّ فضائل النبي ﷺ- لما قال له اليهودي فَإِنَّ يَعْقُوبَ عليه السلام قَدْ صَبَرَ عَلَى فِرَاقِ وَلَدِهِ حَتَّى كَادَ يَحْزُنُ مِنَ الْحُزَنِ: «لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَكَانَ حُزْنُ يَعْقُوبَ حُزْنًا بَعْدَهُ تَلَاقَ وَمُحَمَّدٌ ﷺ قُبِضَ وَلَدُهُ إِبْرَاهِيمَ فُرَّةً عَيْنِهِ فِي حَيَاةٍ مِنْهُ، وَخَصَّهُ بِالِاخْتِبَارِ لِيُعْظَمَ لَهُ الْإِدْخَارُ، فَقَالَ ﷺ: تَحَزَنُ النَّفْسُ، وَيَجْزَعُ الْقَلْبُ، وَإِنَّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ. فِي كُلِّ ذَلِكَ يُؤْثِرُ الرِّضَا عَنْ اللَّهِ (عَزَّ ذِكْرُهُ) وَالِاسْتِسْلَامَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْفِعَالِ [الاحتجاج، ج ١، ص ٣١٩].

وعن الإمام علي عليه السلام في عدِّ فضائل النبي ﷺ: «وَلَقَدْ أُعْطِيَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بَعْدَ الْإِضْجَاعِ الْفَدَاءَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَصِيبَ بِأَفْجَعِ مِنْهُ فَجِيعَةً، إِنَّهُ وَقَفَ (عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) عَلَى عَمَّةِ حَمْرَةٍ أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدِ رَسُولِهِ وَتَاصَرَ دِينُهُ وَقَدْ فُرِقَ بَيْنَ رُوحِهِ وَجَسَدِهِ، فَلَمْ يَبَيِّنْ عَلَيْهِ خُرْقَةً، وَلَمْ يُفِضْ عَلَيْهِ عِبْرَةً، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ قَلْبِهِ وَقُلُوبِ أَهْلِ بَيْتِهِ لِيَرْضَى اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) بِصَبْرِهِ، وَيَسْتَسْلِمَ لَأَمْرِهِ فِي جَمِيعِ الْفِعَالِ، وَقَالَ ﷺ: لَوْ لَا أَنَّ تَحَزَنَ صَفِيَّةً لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بَطُونِ السَّبَاعِ وَخَوَاصِلِ الطَّيْرِ» [بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٣].

(٢)- من دعاء الإمام الكاظم عليه السلام: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى مَنْ تَارَكَ فِي عِبَادِكَ الدَّاعِيَ إِلَيْكَ بِإِذْنِكَ، الْقَائِمَ بِأَمْرِكَ، الْمُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ. اللَّهُمَّ إِذَا أَطْهَرْتَهُ فَأَنْجِزْ لَهُ مَا وَعَدْتَهُ، وَسَقِّ إِلَيْهِ أَصْحَابَهُ، وَأَنْصُرْهُ وَقُوِّ نَاصِرِيهِ، وَبَلِّغْهُ أَفْضَلَ أَمَلِهِ، وَأَعْطِهِ سُؤْلَهُ، وَجَدِّدْ بِهِ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ بَعْدَ الذَّلِّ الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِهِمْ بَعْدَ نَبِيِّكَ؛ فَصَارُوا مَقْتُولِينَ مَطْرُودِينَ مُشْرَدِينَ خَائِفِينَ غَيْرِ آمِنِينَ، لَقُوا فِي جَنْبِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ وَطَاعَتِكَ الْأَذَى وَالتَّكْذِيبِ، فَصَبَرُوا عَلَى مَا أَصَابَهُمْ فَيْكَ، رَاضِينَ بِذَلِكَ مُسْلِمِينَ لَكَ فِي جَمِيعِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ وَمَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ» [بحار الأنوار، ج ٩١، ص ١٩٨].

(٣)- النبي ﷺ: «حَسَمَ مِنَ الْإِيمَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُنَّ فَلَا إِيْمَانُ لَهُ: التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالتَّقْيُوضُ إِلَى اللَّهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى» [كنز العمال، ج ١، ص ٣٧، ح ٦٨].

(٤)- عن الإمام الباقر عليه السلام: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِذْ لَقِيَ رَكْبًا، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ مُؤْمِنُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَمَا حَقِيقَةُ إِيْمَانِكُمْ؟ قَالُوا: الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالتَّقْيُوضُ إِلَى اللَّهِ وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عُلَمَاءُ حُكْمَاءُ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْحَكَمَةِ أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٨٦].

التي لا يكتمل الإيمان من دونها^(١). وبناءً على ذلك، فإنَّ الإمام الصادق عليه السلام يعدُّ التسليم في جميع أوامر الله هو معيار معرفة المؤمن^(٢).

ومن هنا، كان أحد الأدعية التي كان النبي ﷺ يطلبها من الله هو أن يجعله مُسَلِّماً لإرادته^(٣)، وكذلك الإمام علي عليه السلام كان يطلب من الله أن يرزقه التسليم حتّى لا يرغب بتعجيل ما أخره الله، ولا بتأخير ما عجّله. ونُقل عن الإمام زين العابدين عليه السلام أن الإمام علياً عليه السلام كان يدعو بهذا الدعاء دائماً: «اللَّهُمَّ مَنْ عَلَيَّ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَالتَّفْوِضِ إِلَيْكَ، وَالرِّضَا بِقُدْرِكَ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ، حَتَّى لَا أَحِبَّ تَعَجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ»^(٤).

(١)- عن الإمام علي عليه السلام: «الإيمانُ له أركانٌ أربعة: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ، وَتَفْوِضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» [الكافي، ج ٢، ص ٣٨].

(٢)- المفضل بن عمر: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: بَأَيِّ شَيْءٍ عَلِمْتَ الرُّسُلُ أَنَّهَا رُسُلٌ؟ قَالَ: قَدْ كَشَفَ لَهَا عَنِ الْغِطَاءِ. قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: بَأَيِّ شَيْءٍ عَلِمَ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: بِالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ فِي كُلِّ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ» [بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٠١، ح ٦٩].

محمد بن سنان، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا». فَقَالَ: أَتَنُوءُ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا لَهُ. قُلْتُ: فَكَيْفَ عَلِمْتَ الرُّسُلُ أَنَّهَا رُسُلٌ؟ قَالَ: كَشَفَ عَنْهَا الْغِطَاءَ. قُلْتُ: بَأَيِّ شَيْءٍ عَلِمَ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: بِالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ وَالرِّضَا بِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ شُرُورٍ وَسَخَطٍ» [م، ن، ج ٢، ص ٢٠٥].

(٣)- النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَوَفِّقْنِي لِلْحَمْدِ عَلَى نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ، وَالشُّكْرِ لِإِحْسَانِكَ الَّذِي أَسَدَيْتَ إِلَيَّ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى تَحْمِيدِكَ وَتَكْبِيرِكَ وَتَسْبِيحِكَ وَتَقْدِيسِكَ وَتَهْلِيلِكَ وَتَعْظِيمِكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَقُدْرِكَ إِذَا قَضَيْتَ وَقَدَّرْتَ، وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَائِكَ، وَمَحَبَّةَكَ إِذَا ابْتَلَيْتَ وَامْتَحَنْتَ، وَالتَّسْلِيمَ عِنْدَ حُكْمِكَ إِذَا حَكَمْتَ وَأَمَرْتَ، وَرَضْنِي بِقَضَائِكَ» [م، ن، ج ٨٩، ص ٣٧٩].

(٤)- الكافي، ج ٢، ص ٥٨٠؛ بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٢٩٢، ح ٦٦٨ وج ٩٠، ص ٨.



والجدير بالذكر أنَّ جذور التسليم تكمن في معرفة الله. فالشخص الذي يعرف الله حقَّ المعرفة، سَيَطْمَئِنُّ إلى إرادته ومشِيئته، ويُصْبِحُ مُسَلِّماً له، ولن يشعر بأي قلقٍ أو اضطراب^(١). لذلك، يُمكن استخدام التسليم كعاملٍ في جميع أبعاد الرضا. لكن لا شكَّ في أنَّ الوصول إلى مرحلة الاطمئنان والتسليم يتطلب أسساً معرفيةً خاصّةً، وهذه الأسس تتجاوز نطاق هذا النصّ.

المرونة وقبول المحن

أثناء مواجهة الشدائد، تزداد أهمية التحلّي بالمرونة. في الأوقات التي تظهر فيها المشاكل، يميل الإنسان عادةً إلى رفض حقيقة تلك المحن والسعي لمقاومتها، على الرغم من أنَّ المحن لا يمكن إعادتها أو إزالتها. هذا التنافر بين الواقع وردّ الفعل يؤدي إلى زيادة الضغوط النفسية ويعزّز الشعور بعدم الرضا. لذا يُعزى جزءٌ من تفاقم الضغوط والألم أثناء الأزمات إلى هذا النوع من ردود الأفعال.

المصاعب تُقدَّر بحكمة إلهية ومصلحة للإنسان. وعليه، عندما تواجه الإنسان محنة، فإنّها لن تزول حتى تُحقّق غاياتها وتُتمّ مهمتها. لكلِّ محنةٍ دورة يجب أن تُستكمل. قد يختلف

(١) عن الإمام الباقر (عليه السلام): «أَحَقُّ خُلُقٍ لِلَّهِ أَنْ يُسَلَّمَ لِمَا قَضَى اللَّهُ (عزّ وجلّ) مَنْ عَرَفَ اللَّهَ (عزّ وجلّ)» [الكافي، ج ٢، ص ٦٢].

طول هذه الدورة من شخصٍ لآخر، ولكنَّ مبدأها الرئيس هو أنَّها غير قابلةٍ للإلغاء أو الإرجاع.

عندما تحدث المحنة، عادةً ما يميل الإنسان إلى التركيز على التخلص منها بدلاً من إدارتها، ويتمنّى العودة السريعة إلى الوضع السابق. هذه الرغبة تخلق معركةً مع المحن، حيث يحاول الإنسان إزالتها بأيّ وسيلةٍ كانت. لكن كما ذكرنا سابقاً، فإنَّ الجزع والشكوى لا يؤثّران على المحنة نفسها ولا يُحوّلانها إلى أمرٍ إيجابي، بل يزيدان من عبء المصيبة.

لذلك، الفهم الصحيح لهذا الواقع يُشير إلى أنَّ الحلَّ يكمن في المرونة وقبول المحن كجزءٍ من الحقيقة. النبي محمد ﷺ يقول: «الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ؛ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ، إِنْ قِيدَ انْقَادًا، وَإِنْ أُتِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاحَ»^(١).

في بعض الروايات الأخرى، تم الإشارة إلى ضرورة المرونة أمام المصاعب، حيث يُشبه المؤمن بالسنبللة التي تنحني برفق

(١)- الزهد، ابن المبارك: ص ١٣٠، ح ٣٨٧؛ الكافي (دار الحديث): ج ٣، ص ٥٩٣، ح ١٤.

أمام الرياح ولا تنكسر^(١). يذكر الإمام عليّ عليه السلام أن قبول المحنة هو السبيل الأنجع لتجاوزها بسلام إذ يقول: «إِنَّ لِلنَّكَاتِ نَهَايَاتٍ لَا بُدَّ لِأَحَدٍ إِذَا نُكِبَ مِنْ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا، فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا أَصَابَتْهُ نَكْبَةٌ أَنْ يَنَامَ لَهَا حَتَّى تَنْقُضِيَ مَدَّتْهَا؛ فَإِنَّ فِي دَفْعِهَا قَبْلَ انْقِضَاءِ مَدَّتِهَا زِيَادَةً فِي مَكْرُوهِهَا»^(٢).

تُظهر المرونة حكمة الإنسان، إذ إنَّ مواجهة المصاعب بالصدام تزيد من حدتها، بينما القبول بها يُمكن الإنسان من السيطرة عليها وإدارتها بنحو أفضل. النبي ﷺ عندما علم بمصيبة أصابت أحد أصحابه، كتب إليه رسالةً يسّليه فيها، مشيراً إلى حقيقتين: الأولى هي أن المصاعب لا مفرّ منها، والثانية أنّها غير قابلة للإرجاع. بهذه الطريقة، يُحفّز القبول والرضا بمواجهة الواقع الصعب^(٣).

(١)- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ تُكْفِتُهَا الرِّيحُ كَذَا وَكَذَا، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ تُكْفِتُهُ الْأَوْجَاعُ وَالْأَمْرَاضُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الْإِرْزَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ الَّتِي لَا يُصِيبُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ فَيَقْصِفُهُ قَصْفًا» [الكافي، دار الحديث، ج ٣، ص ٦٤٥].
عن النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ السُّبُلَةِ، تَمِيلُ أحيانًا وَتَقُومُ أحيانًا» [كنز العمال، ج ١، ص ١٤٧، ح ٧٣٠].

وعنه ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ السُّبُلَةِ؛ تَسْتَقِيمُ مَرَّةً وَتَحْمُرُ مَرَّةً. وَمَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الْإِرْزَةِ؛ لَا تَزَالُ مُسْتَقِيمَةً حَتَّى تَخْرُجَ وَلَا تَشْعُرُ» [كنز العمال، ج ١، ص ١٤٨، ح ٧٣٢]. وعنه ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ؛ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا، فَإِذَا سَكَنَتْ اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكْفَى بِالْبَلَاءِ. وَمَثَلُ الْفَاجِرِ كَالْإِرْزَةِ صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ» [م ن، ج ١، ص ١٤٨، ح ٧٣٣]. وعنه ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ، لَا تَزَالُ الرِّيحُ تَفِيؤُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ بَلَاءٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الشَّجَرَةِ الْأَرْزِ، لَا تَهْتَرُجُ حَتَّى تُسْتَحْصَدَ» [سنن الترمذي، ج ٥، ص ١٥٠، ح ٢٨٦٦].

(٢)- تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٥١٤؛ مقتل الحسين، الخوارزمي، ص ٣٦٤، ح ٣٨٠.
ونقل عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: «إِنَّ لِلنَّكَاتِ غَايَاتٍ لَا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَيْهَا، فَإِذَا حُكِمَ عَلَى أَحَدِكُمْ بِهَا فَلْيُطَاطَأْ لَهَا وَتَصْبِرْ حَتَّى يَجُوزَ؛ فَإِنَّ إِعْمَالَ الْحِيلَةِ فِيهَا عِنْدَ إِقْبَالِهَا زَائِدٌ فِي مَكْرُوهِهَا» [تحف العقول، ص ٢٠١].

(٣)- «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ مَيِّتًا وَلَا يَدْفَعُ قَدْرًا، فَأَحْسِنِ الْعَزَاءَ وَتَنْجِرِ الْمَوْعُودَ فَلَا يَدْهِنُ اسْفُكُ عَلَى مَا لَزِمَ لَكَ وَلِجَمِيعِ الْخَلْقِ، نَازِلٌ بِقَدْرِهِ» [تحف العقول، ص ٥٩].

المرضُ هو أحد مصاعب الحياة التي وُعد لها بأجر عظيم، ولكن بشرط القبول بها، أي أنَّ المريض يحصل على الأجر إذا قَبِلَ مرضه ولم يُعارضه أو يشتكي منه^(١). من الواضح أنَّ تقبُّل الواقع هو أحد المفاهيم المهمة التي يجب الانتباه إليها عند مواجهة الصعوبات.

كان لأشعث بن قيس أخٌ تُوفي، فأحزنه ذلك وأثر فيه. فجاء أمير المؤمنين (عليه السلام) لزيارته وتعزيته، وأشار إلى مبدأ (عدم رجوع المصائب)، ومن خلال كلام الإمام علي (عليه السلام) يُمكن استنتاج أنَّ الجزع ومعارضة المصائب لا ينتج عنهما سوى الخسارة^(٢).

فضيل بن ميسر يروي أنَّه كان ذات يوم في حضرة الإمام الصادق (عليه السلام)، فجاء رجلٌ يشكو من مصيبةٍ أَلَمَّتْ به. فاستند الإمام (عليه السلام) إلى المبدأ نفسه لإرشاده^(٣). كما أنَّ رجلاً آخر يُدعى مهران كتب إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) يشكو من ديونه وتغيُّر حاله، فجاء جواب الإمام على وفق المبدأ نفسه^(٤).

في جميع هذه الأحاديث، تمَّ التركيز على مبدأ (عدم رجوع

(١) - عن الإمام الصادق (عليه السلام): «مَنْ اشْتَكَى لَيْلَةً فَقَبِلَهَا بَقْبُولِهَا، وَأَدَّى إِلَى اللَّهِ شُكْرَهَا، كَانَتْ كَعِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً» فُسِّلَ عن الإمام (عليه السلام) معنى قبولها، فقال: «يَصْبِرُ عَلَيْهَا وَلَا يُخْبِرُ بِمَا كَانَ فِيهَا، فَإِذَا أَصْبَحَ حَمَدَ اللَّهُ عَلَى مَا كَانَ» [الكافي، ج ٣، ص ١١٦، ح ٦٠ و ص ١١٥، ح ٥٨].

(٢) - «إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَضَاءُ وَأَنْتَ مَحْمُودٌ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَضَاءُ وَأَنْتَ مَذْمُومٌ» [الكافي، ج ٣، ص ٢٦١، ح ٤].

(٣) - «أَمَّا إِنَّكَ إِنْ تَصْبِرَ تُوجِرَ، وَلَا تَصْبِرَ يَمْضِي عَلَيْكَ قَدَرُ اللَّهِ الَّذِي قُدِّرَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مَا زَوْرٌ» [الكافي، ج ٣، ص ٢٢٥، ح ١٠].

(٤) - «اصْبِرْ تُوجِرَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَصْبِرْ لَمْ تُوجِرَ، وَلَمْ تَرُدَّ قَضَاءَ اللَّهِ» [مشكاة الأنوار، ص ٢١].

المصائب)، وأنه كما أنّ وقوعها ليس بيد الإنسان، فإنّ زوالها أيضاً ليس بيده. لذلك يجب قبول المصيبة والتعامل معها بدلاً من مواجهتها. هذا المبدأ الأساسي يُعلّمنا أنّ الوقوف بجانب الأحداث بدلاً من مواجهتها يُمكن الإنسان من اتخاذ قراراتٍ صائبةٍ بشأن ما يجب عليه فعله^(١).

النقاش الثالث: استراتيجية السرور (البهجة)

ذكر سابقاً أنّ الشعور بالرضا عن الواقع هو أحد عناصر الرضا. الشخص الراضي يعيش إحساساً إيجابياً وجيداً. قد يبدو الأمر بسيطاً بأنّه بمجرد تحقيق التوافق وتقييم الواقع على أنّه خير، فإنّ الشعور الإيجابي يتحقّق؛ ولكن الأمر ليس بهذه البساطة. نظراً لتعقيد مفهوم الخير ومصاديقه، وكذلك موضوع التوافق، فإنّ الوصول إلى شعور الرضا ليس سهلاً. يجب أنّ يتبع نظام رضا الفرد نموذجاً متماشياً مع بقية العناصر.

١. تنظيم مشاعر الرضا وعدم الرضا

من الأمور المهمة في الحياة تنظيم الحزن (عدم الرضا) والسرور (الرضا). الحزن والسرور هما من الأبعاد المهمة للإنسان التي يجب تنظيمها وعدم تركها دون ضبط. عندما كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يشعر بالحزن، كان يدعو الله أن يُعينه

(١)- عن الإمام عليّ (عليه السلام): «إِذَا أَتَيْتَ الْمِحْنَ فَاقْعُدْ لَهَا فَإِنَّ قِيَامَكَ فِيهَا زِيَادَةٌ لَهَا» [غرر الحكم، ح ١٧٧٩].

حتى لا يغترّ بما أُعطي من الدنيا ولا يحزن على ما أُخذ منه^(١).
هذا السلوك يعكس خصائص الإنسان الناضج.

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ لقمان الحكيم كان يتحلّى بهذه الصفة أيضاً^(٢). لكن السؤال هو: كيف يمكن تنظيم الحزن والسرور بشكل صحيح؟ الجواب يكمن في معرفة حقائق الحياة. إذا تأسست مشاعر الحزن والسرور على مبدأ صحيح، فإنّه يمكن السيطرة على ردود الفعل السلبية. يعتمد تنظيم هذه المشاعر على فهم الإنسان لما يستحق حقاً الحزن أو السرور. هذه المعرفة لها دور مهم في تنظيم المشاعر، وتعتمد على فهم حقائق الكون، التي سنناقشها في الأقسام التالية.

أولاً: ضمان الرزق - نقصان العمر

الرزق والعمر من أهمّ قضايا الحياة التي قد تكون سبباً للحزن أو السرور المفرط. الحزن يأتي بسبب القلق على الرزق في المستقبل، والسرور بسبب الاعتقاد باستمرارية العمر. ومع ذلك، الحقيقة تختلف عن ذلك. الله تعالى قد ضمن رزق الإنسان، وإذا أدرك الإنسان ذلك، فإنّه لن يشعر بالحزن أو

(١) - «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ ثَنَائِي عَلَيْكَ وَمَدْحِي إِيَّاكَ وَحَمْدِي لَكَ فِي كُلِّ حَالَتِي، حَتَّى لَا أَفْرَحَ بِمَا آتَيْتَنِي مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا أَحْزَنَ عَلَى مَا مَنَعْتَنِي فِيهَا» [الصحيفة السجّادية، ص ٩١، دعاء ٢١].

(٢) - عن الإمام الصادق عليه السلام في وصف لقمان: «لَمْ يَفْرَحْ بِشَيْءٍ إِنْ آتَاهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا حَزَنَ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ قَطُّ». [تفسير القمّي، ج ٢، ص ١٦٢؛ قصص الأنبياء، الراوندي، ص ١٩٢؛ مجمع البيان، ٨، ص ٤٩٧].



القلق. كذلك، فإنَّ عمر الإنسان يتعرض للنقصان والزوال، ومن يدرك هذا الواقع لن يصاب بالغرور أو الطغيان^(١).

ثانيًا: الاقتراب من الله في البلاء - الابتعاد عنه في النعمة

الملمّات والمسرات في الحياة هي من الأمور التي قد تسبب الحزن أو السرور السلبي. الوقوع في البلاء والمصيبة قد يجعل الإنسان حزينًا، بينما التمتع بالنعمة قد يجعله مغترًا. ولكن إذا أدرك الإنسان أنَّ البلاء والمصيبة يقربانه إلى الله، فإنَّ الحزن سيتحول إلى سرور، وإذا علم أنَّ النعمة قد تبعده عن الله، فإنَّ الغرور والسعادة المفرطة سيتلاشيان^(٢).

ثالثًا: تقدير الأمور السارة وغير السارة

مسألة تحديد مصدر الأمور السارة وغير السارة ومن يديرها لها تأثير كبير في مشاعر الحزن والسرور لدى الإنسان. إذا ظنَّ الإنسان أنَّ الأمور غير السارة تحدث بلا هدف، فإنه سيتألم

(١)- عن النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! يُوْتَى كُلُّ يَوْمٍ بِرِزْقِكَ وَأَنْتَ تَحْزَنُ، وَيَنْقُصُ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِكَ وَأَنْتَ تَفْرَحُ، أَنْتَ فِيمَا يَكْفِيكَ وَتَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ، لَا بِقَلِيلٍ تَفْتَحُ، وَلَا مِنْ كَثِيرٍ تَسْبَحُ» [أعلام الدين، ص ٣٣٧].

(٢)- عن النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ (عزَّ وجلَّ): يَحْزَنُ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ إِذَا زَوِيَ عَنْ الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَقْرَبُ لَهُ مِنِّْي، وَيَفْرَحُ إِذَا بَسَطَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَبْعَدُ لَهُ مِنِّْي. ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. إِنَّ ذَلِكَ فِتْنَةٌ لَهُمْ، يُنْزِلُ اللَّهُ لَهُمُ الْمَعُونَةَ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْمِنَةِ، وَيُنْزِلُ الصَّبْرَ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ» [جامع الأحاديث، القمي، ص ١٤٠؛ الكافي، ج ٢، ص ١٤١، ح ٥].

عند وقوعها. وإذا اعتقد أنّ النعمة كانت بفضل جهده، فإنّه سيصاب بالغرور. ولكن إذا أدرك أنّ جميع الأمور، سواء السارة أم غير السارة، تحدث بتقدير الله الحكيم، فإنّه لن يحزن على المصائب؛ لأنّه سيعدها لصالحه، ولن يفرح بالنعمة فرحاً مفرطاً؛ لأنها ليست بجهده فقط، وقد تزول في أي لحظة.

قال الإمام علي عليه السلام في رسالة إلى عبد الله بن عباس: «فَقَدْ يَسُرُّ الْمَرْءَ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَحْزَنُهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ أَبَدًا وَإِنْ جَهَدَ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدِمْتَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ حُكْمٍ أَوْ قَوْلٍ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ فِيمَا فَرَطْتَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَدَعْ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ حُزْنَ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْهَا فَلَا تُنْعَمِ بِهِ سُورًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعَدَ الْمَوْتِ، وَالسَّلَامُ»^(١).

رابعاً: عدم رجوع الأمور المفقودة - عدم دوام الأمور المكتسبة

الأفكار الخاطئة حول المستقبل سواء في النعمة أم البلاء قد تسبب الحزن أو السرور السلبي؛ فإذا اعتقد الإنسان أنّ الأمور التي فقدوها يمكن استرجاعها، فلن يتجاوزها وسيعيش في ألم مستمر. وإذا ظنّ أنّ الأمور المكتسبة دائمة، فقد يغترّ ويفرط في فرحته. ولكن إذا أدرك الإنسان أنّ كلّ شيء يحدث بتقدير الله ولا يمكن تغييره، فسيقبل المصائب ولن يستسلم للحزن. وإذا

(١) - الكافي، ج ٨، ص ٢٤٠، ح ٣٢٧؛ نهج البلاغة، نامه ٢٢.



علم أنّ الأمور المكتسبة ليست دائمةً، وقد تفقد في أيّ لحظةٍ، فإنّه سيبقى متوازنًا ولن يفرط في السرور^(١).

خامسًا: قيمة الآخرة المفقودة - تفاهة الدنيا

المكتسبة

ما يكسبه الإنسان وما يدفعه ثمنًا له يؤدّي دورًا مهمًا في تنظيم فرحه وحزنه. قد يفرح الإنسان بحصوله على متاع من الدنيا، لكنّه يغفل عن حقيقة أنّ ما خسره من الآخرة في سبيل هذا المكسب أعظم بكثير. التفكير في قيمة الثمن المدفوع يقلل من الغرور المفرط. كذلك، إذا أدرك الإنسان أنّ المصائب التي دفع ثمنها في الدنيا قد عادت عليه بأجرٍ عظيمٍ في الآخرة، فإنّه سيتجاوز الحزن السلبي^(٢).

سادسًا: الحصول على الخير - فقدانه

ما يكتسبه الإنسان أو يخسره من الخير يُحدّد مشاعره من حزن وسرور. الأمر لا يتعلّق فقط بالسعادة أو الشقاء الظاهري، بل بما يتمّ كسبه أو فقدانه من خير. إذا كان الإنسان في حالةٍ طيبةٍ لكنه يخسر العديد من الأمور الإيجابية أو يفشل في تحقيق

(١)- عن الإمام علي عليه السلام: «يَابْنَ آدَمَ! لَا تَأْسَفْ عَلَى مَفْقُودٍ لَا يَرُدُّهُ إِلَيْكَ الْقَوْتُ، وَلَا تَفْرَحْ بِمَوْجُودٍ لَا يَبْرُكُهُ فِي يَدَيْكَ الْمَوْتُ» [تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ١١٤].

(٢)- عن الإمام علي عليه السلام: «مَا بِالْكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تَدْرُكُونَهُ، وَلَا يَحْزَنُكُمْ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرِمُونَهُ» [نهج البلاغة، الخطبة ١١٣].

مكاسب ممكنة، فلا ينبغي أن يكون سعيدًا. على العكس، إذا كان في وضعٍ صعبٍ لكنّه يحقّق خيرًا أو مكاسب إيجابية، فإنّه يجب أن يكون سعيدًا. الأساس هو (تحقيق الخير)، وليس مجرد الحصول على الأمور المبهجة أو المزعجة^(١).

٢- إدخال السرور على الحزين

من المسائل المهمّة كيفيّة تعاملنا مع مصائب الآخرين. هل يرتبط حزن وسعادة الأفراد ببعضهم أم أنّ كلّ فردٍ يعيش في جزيرة منعزلة؟ في هذا الصدد، نستعرض التصورات الآتية:

التصور الخاطئ: وهم انفصال الحزن والسرور الاجتماعي

قد يظن البعض أنّ أحوال الآخرين لا تؤثر في حالته الشخصية، وفي ظلّ هذا التصور، يسعى كلّ فردٍ لتخفيف ألمه من خلال الأمور المرتبطة به فقط، ممّا يؤدي إلى اللامبالاة بمعاناة الآخرين وعدم الشعور بالمسؤوليّة تجاههم. لكن هذا تصوّر خاطئ لا يتوافق مع قوانين الحياة.

التصوّر الصحيح: ارتباط الحزن والسرور الاجتماعي

أحد قوانين الخلق التي أُشير إليها في النصوص الدينيّة

(١)- عن الإمام عليّ (عليه السلام): «أكثر سروركَ على ما قدّمت من الخير؛ وخُزّنكَ على ما فات منهُ» [غرر الحكم، ج ٢، ص ١٩٢، ح ٢٣٤٥].



هو ترابط أحوال أفراد المجتمع. يبدو أن الحزن والفرح مشترك بين الناس. اللامبالاة تجاه المحتاجين والتركيز فقط على الذات يؤدي إلى تلاشي الفرح الداخلي، بينما الرحمة والشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين والعمل على حل مشاكلهم يُنشط الروح ويدخل السرور للنفس. هذه السعادة لا تقتصر على الدنيا فقط، بل تشمل الآخرة أيضاً. وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ تُسَجَّبَ دَعْوَتُهُ وَأَنْ تُكْشَفَ كُرْبَتُهُ، فَلْيَفْرَجْ عَنْ مُعْسِرٍ»^(١).

ويقول ﷺ أيضاً: «مَنْ أَعَانَ مُؤْمِنًا نَفْسَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) عَنْهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ كُرْبَةً، وَاحِدَةً فِي الدُّنْيَا وَاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ كُرْبَةً عِنْدَ كُرْبِهِ الْعُظْمَى، قَالَ: حَيْثُ يَتَشَاغَلُ النَّاسُ بِأَنْفُسِهِمْ»^(٢). ونُقل عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَجْرَى اللَّهُ عَلَى يَدِهِ فَرَجًا لِمُسْلِمٍ، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٣). وقال أيضاً: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

هذه من قوانين الحياة. ومن المفاهيم الإسلامية في هذا المجال (الصدقة). فقد أكد النبي ﷺ على إزالة الغم والهَمَّ بالصدقة^(٥).

(١)- مسند ابن حنبل، ج ٢، ص ٢٤٨، ح ٤٧٤٩.

(٢)- الكافي، ج ٢، ص ١٩٩، ح ٢؛ كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٩٣، ح ٢٤٩٧.

(٣)- الأمالي، الطوسي، ص ٥٨٦، ح ١٢١٢.

(٤)- صحيح البخاري، ج ٢، ص ٨٦٢، ح ٢٣١٠.

(٥)- «تَدَارَكُوا الْهَمُّومَ وَالْغَمُّومَ بِالصَّدَقَاتِ، يَكْشِفُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) ضَرْكَكُمْ، وَيَبْصُرُكُمْ عَلَى عُدُوكُمْ، وَتُبَّتْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ أَقْدَامُكُمْ» [الفردوس، ج ٢، ص ٤٦، ح ٢٢٦٥].

خلاصة الفصل

في استراتيجية التكيف، يتمثل الأساس في أنّ الحياة في الدنيا، وجميع أبعادها، تنطوي على حقائق غير قابلة للتغيير. السعي لتغيير هذه الحقائق لتتماشى مع التوقعات يشبه محاولة طحن الماء، وهو جهد بلا فائدة، لن يؤدي إلّا إلى زيادة الألم والمعاناة وتوسيع دائرة السخط. الرضا لا يتحقّق دائماً عبر تحقيق المطالب والتوقعات، بل في بعض الأحيان، ينبغي تعديل التوقعات والطموحات والرغبات. من أهم عناصر الرضا هو التكيف؛ أي مواءمة التوقعات مع الواقع القائم. إنّ عدم التناسق بين التوقعات والنتائج يشكّل عاملاً مهماً في السخط، وكلّ ما يقلل هذه الفجوة يزيد من مستوى الرضا.

في استراتيجية القبول، يتمثل الأساس في ضرورة فهم الواقع القائم وقبوله في أيّ ظرف كان. القبول لا يعني التأييد أو الخضوع، بل يتطلّب إدراك المشكلة للتمكن من إدارتها. هناك عاملان رئيسان يمكن أن يُساعدا الإنسان في هذا الإطار: الأول هو التسليم للتقدير؛ لأنّ المواجهة الخاطئة مع التقدير تتمثّل في عدم قبوله والصراع معه، وهي محاولة بلا جدوى؛ لأنّ ما قدره الله لا يمكن تغييره. العامل الثاني هو المرونة، فأمام وقوع ما هو حتمي وقاطع، يجب أن يتحلّى الإنسان بالمرونة لتجنب أن يُدمّر كيانه. فالشجرة الصلبة تنكسر أمام العواصف، بينما السنبلة اللينة والمنحنية تظلّ سليمة. المرونة والليونة في



مواجهة المشكلات تساعد الإنسان على الحفاظ على سلامته. أما في استراتيجية السرور، فقد يبدو أنّ تحقيق التكيف وتقييم الواقع على أنّه خير يؤدي تلقائيًا إلى الشعور بالإيجابية والراحة. لكن بالنظر إلى تعقيد مفهوم الخير ومظاهره، وكذلك طبيعة التكيف، فإنّ تحقيق الشعور بالرضا لا يبدو أمرًا بسيطًا وسهلاً. يجب أن تتبع منظومة السرور لدى الإنسان نموذجًا ومنهجًا متناسقًا مع بقية العناصر، وهذه النماذج قد وردت في النصوص الدينية.

لائحة المصادر والمراجع

١. الاحتجاج، أحمد بن علي الطَّبْرَسِي (م ٦٢٠ق)، قم: أسوه، ١٤١٣ق.
٢. الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (م ٤١٣ق)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، بيروت: دار المفيد، ١٤١٤ق.
٣. الأصول الستة عشر، عدّة من الرواة، قم: دار الشبستري، ١٤٠٥ق.
٤. الأعمال، علي بن موسى الحلّي (السيد ابن طاووس) (م ٦٦٤ق)، تحقيق: محمد جواد القيومي، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤ق.
٥. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي) (م ٤٦٠ق)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، بيروت: دار المفيد، ١٤١٤ق.
٦. الأمالي، محمد بن علي ابن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ق)، تحقيق: مؤسّسة البعثة، قم: دار الثقافة، ١٤١٤ق.
٧. الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (م ٤١٣ق)، تحقيق: مؤسّسة البعثة، قم: مؤسّسة البعثة، ١٤٠٧ق.
٨. الأنوار البهيّة، شيخ عبّاس القمي، قم: دار الذخائر، ١٣٧٠ش.
٩. الأنوار القدسيّة في بيان آداب العبوديّة (في هامش الطبقات الكبرى)، عبد الوهّاب بن أحمد الأنصاري (م ١٠ق)، بيروت: دار الفكر.



١٠. الأنوار النعمانية، السيّد نعمة الله الجزائري (م ١١١٢ق)، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤ق.

١١. الأولياء، أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (م ٢٨١ق)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٣ق.

١٢. أخلاق وحياني (دو فصل نامه علمی - پژوهشی)، قم: پژوهشگاه علوم وحيانی معارج، بنياد بين المللی اسرا.

١٣. اخلاق پژوهی حدیثی، عباس پسندیده، تهران: سازمان مطالعات و تدوین کتب درسی علوم انسانی دانشگاهها (سمت) و دانشکده علوم حدیث، ١٣٨٩ش.

١٤. إرشاد القلوب، الحسن بن أبي الحسن علي الديلمي (ق ٨ق)، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤١٣ق.

١٥. الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (م ٤١٣ق)، قم: المؤتمر العالمية لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣ق.

١٦. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) (م ٨٥٢ق)، تصحيح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ق.

١٧. أعلام الدين، الحسن بن أبي الحسن علي الديلمي (ق ٨ق)، بيروت: مؤسسة آل البيت، ١٤١٣ق.

۱۸. الگوی اسلامی شادکامی با رویکرد روان شناسی مثبت‌گرا، عباس پسندیده، قم: مؤسسه علمی - فرهنگی دار الحدیث، سازمان چاپ و نشر، ۱۳۹۲ ش.
۱۹. اندیشه و رفتار در روان شناسی بالینی (فصل نامه علمی - پژوهشی)، ش ۹، «مشخصه‌های روان سنجی مقیاس رضایت از زندگی»، منصوره شیخی و همکاران، ۱۳۹۰.
۲۰. بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقی المجلسي (العلامة المجلسي) (م ۱۱۱۱ ق)، تهران: المكتبة الإسلامية، ۱۳۸۸ ق.
۲۱. بررسی رابطه جهتگیری مذهبی با بهزیستی روانی دانشجویان دانشگاه علامه طباطبایی تهران»، پایان نامه کارشناسی، چاپ نشده، قم: دانشگاه پیام نور، ۱۳۸۶ ش.
۲۲. «بررسی نقش واسطه‌ای شکر در رابطه آرزومندی با رضایتمندی و تبیین اسلامی - روان‌شناختی آن»، پایان نامه کارشناسی ارشد روان شناسی اسلامی گرایش روان شناسی مثبت‌گرا، قم: دانشگاه قرآن و حدیث.
۲۳. بشارة المصطفی، عماد الدین أبو جعفر محمد بن محمد الطبري الأملي (م ۵۲۵ ق)، قم: مؤسسه النشر التابعة لجماعة المدرسين، ۱۴۲۰ ق.
۲۴. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار القمي (ابن فروخ) (م ۲۹۰ ق)، قم: المكتبة الحيدرية.



٢٥. پژوهش نامه روان شناسی اسلامی (علمی - ترویجی)، قم: پژوهشگاه قرآن و حدیث، حوزه موضوعی: دینی - روان شناسی.
٢٦. پژوهش های نوین روان شناسی (علمی - پژوهشی)، تبریز: دانشگاه تبریز، حوزه موضوعی: روان شناسی (بالینی، کودک و نوجوان، شخصیت، عمومی، رشد، سلامت، تربیتی، اجتماعی، شناختی، مشاوره، روان سنجی، علوم اعصاب شناختی).
٢٧. تاج العروس، السید محمد المرتضی بن محمد الحسینی الزبیدی (م ١٢٠٥ ق)، بیروت: دار الفکر، ١٤١٤ ق.
٢٨. تاریخ یعقوبی، أحمد بن أبی یعقوب (م ٢٨٤ ق)، بیروت، دار صادر.
٢٩. تاریخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (م ٤٦٣ ق)، بیروت: دار الکتب العلمیة.
٣٠. تاریخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ابن عساکر) (م ٥٧١ ق)، تحقیق: علي شيري، بیروت: دار الفکر، ١٤١٥ ق.
٣١. تحف العقول، الحسن بن علي الحرّاني (ابن شعبة) (م ٣٨١ ق)، قم: آل علي، ١٣٨٢ ش.
٣٢. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي، تهران: بنگاه ترجمه و نشر کتاب، ١٣٦٠ ش.

٣٣. ترجمه تفسیر المیزان، سیّد محمّد باقر موسوی همدانی، قم: مؤسّسة النشر الإسلامی، ۱۳۷۹ ش.
٣٤. تفسیر العیّاشی، محمّد بن مسعود السّلمی السمرقندی (العیّاشی) (م ۳۲۰ق)، قم: مؤسّسة البعثة، ۱۴۲۱ق.
٣٥. تفسیر القرطبی (الجامع لأحكام القرآن)، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (م ۶۷۱ق)، تحقیق: محمّد عبد الرحمان المرعشلي، بیروت: دار إحياء التراث العربي، ۱۴۰۵ق.
٣٦. تفسیر القمّي، علي بن إبراهيم القمّي (م ۳۰۷ق)، قم: دار الكتاب، ۱۴۰۴ق.
٣٧. التفسیر المنسوب إلى الإمام العسكري، تحقیق: مدرسة الإمام المهدي (ع)، قم: مدرسة الإمام المهدي (ع)، ۱۳۶۷ ش.
٣٨. التمهیص، أبو علي محمّد بن همام الإسكافي (ابن همام) (م ۳۳۶ق)، تحقیق: مدرسة الإمام المهدي (ع)، قم: مدرسة الإمام المهدي (ع)، ۱۴۰۴ق.
٣٩. تنبيه الخواطر، أبو الحسين ورّام بن أبي فراس الحمدان النخعي الحلبي (م ۶۰۵ق)، بیروت: مؤسّسة الأعلمي.
٤٠. تهذيب الأحكام، محمّد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي) (م ۴۶۰ق)، تهران: دار الكتب الإسلامية، ۱۳۶۴ ش.



٤١. توحيد المفضّل، مفضّل بن عمر الكوفي (ق ٢)، تهران:

كتابچی.

٤٢. التوحيد، محمد بن علي ابن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق) (م

٣٨١ق)، تحقيق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، قم: مؤسّسة النشر

الإسلامي، ١٣٩٨ق.

٤٣. توسعه اقتصادي بر پایه قرآن و حديث، محمد محمّدي

ري شهري، با همكاري سيّد رضا حسيني، ترجمه: سيّد أبو القاسم حسيني

(ژرفا)، قم: دار الحديث، ١٣٨٢ش.

٤٤. ثواب الأعمال، محمد بن علي ابن بابويه القميّ (الشيخ

الصدوق) (م ٣٨١ ق)، تحقيق: السيّد حسن خراسان، قم: الشريف

الرضي، ١٣٦٨ش.

٤٥. جامع الأحاديث، جعفر بن أحمد بن علي القميّ (ابن الرازي) (ق

٤ق)، تحقيق: السيّد محمد الحسيني النيسابوري، مشهد: مؤسّسة الطبع

والنشر التابعة للحضرة الرضويّة المقدّسة، ١٤١٣ق.

٤٦. جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين، محمد بن محمد

الشعيري السبزواري (ق ٧ق)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليه السلام، قم: مؤسّسة

آل البيت عليه السلام، ١٤١٤ق.

٤٧. الجعفريات (الأشعثيات)، محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي

(ق ٤ق)، تهران: مكتبة نينوى (طبع في ضمن قرب الإسناد).

٤٨. حلیة الأولیاء، أحمد بن عبد الله الأصبهانی (أبو نعیم) (م) ٤٣٠ق)، بیروت: دار الکتب العلمیة، ١٤١٤ق.

٤٩. الخصال، محمد بن علي ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (م) ٣٨١ق)، تحقیق: علی أكبر الغفاری، بیروت: مؤسسه الأعلمی، ١٤١٠ق.

٥٠. الخواطر (تنبيه الخواطر)، أبو الحسين ورام بن أبي فراس الحمدان النخعي الحلبي (م ٦٠٥ق)، بیروت: مؤسسه الأعلمی.

٥١. خير و برکت از نگاه قرآن و حدیث، محمد محمدی ری شهری، با همکاری محمد تقدیری، ترجمه: جواد محدثی، قم: مؤسسه علمی - فرهنگی دار الحدیث، سازمان چاپ و نشر، (١٤٢٤ق/ ١٣٨٢ش).

٥٢. «چگونه دین به سلامتی و بهزیستی ما کمک می کند؟»، فرد ریکسون، ترجمه: هانی موسوی، مجله روان شناسی و دین، ش ٣، قم ١٣٨٧.

٥٣. دانش نامه قرآن و حدیث، محمد محمدی ری شهری و دیگران، قم: دار الحدیث، ١٣٩٠ش.

٥٤. الدر المنثور، عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (م ٩١١ق)، قم: مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١٤ق.

٥٥. الدرود الواقية، علي بن موسى الحلبي (السيد ابن طاووس) (م) ٦٦٤ق)، قم: مؤسسه آل البيت (ع)، ١٤١٤ق.

۵۶. دستور معالم الحكم، محمد بن سلامة (القاضي القضاعي) (م ۴۵۴ق)، بيروت: دار الأرقم، ۱۴۱۸ق.
۵۷. الدعاء، سليمان بن أحمد الطبراني (م ۳۶۰ق)، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ۱۴۰۷ق.
۵۸. دعائم الإسلام، النعمان بن محمد ابن حيّون التميمي المغربي (القاضي أبو حنيفة) (م ۳۶۳ق)، بيروت: مؤسّسة النور، ۱۴۲۶ق.
۵۹. الدعوات، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عادل الفريحات، دمشق: نور الطباعة، ۱۴۲۸ق.
۶۰. دنیا و آخرت از نگاه قرآن و حدیث، محمد محمدی ری شهری، با همکاری رسول موسوی، ترجمه: حمید رضا شیخی، قم: دار الحديث، ۱۳۸۴ش.
۶۱. راهبرد (راهبرد فرهنگ)، ش ۵، «رابطه سبک‌های همسرگزینی با کیفیت و پایداری خانواده»، محمدعلی مظاهری و همکاران (۱۳۸۸ش).
۶۲. رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي (م ۴۵۰ق)، قم: مؤسّسة النشر الإسلامي، ۱۴۱۶ق.
۶۳. رضایت از زندگی، عباس پسندیده، قم: دار الحديث، ۱۳۷۴ش.
۶۴. روان پزشکی و روان شناسی بالینی ایران (فصل نامه علمی - پژوهشی)، دانشگاه علوم پزشکی ایران، حوزه موضوعی نشریه: بهداشت

روان، روان پزشکی و روان شناسی بالینی، تهران.

۶۵. روان شناسی اجتماعی با نگرش به منابع اسلامی، جمعی از مؤلفان، قم: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، بهمن ۱۳۹۸.

۶۶. روان شناسی شادی، مایکل آرگایل، ترجمه: مسعود گوهری و دیگران، اصفهان: جهاد دانشگاهی دانشگاه اصفهان، ۱۳۸۲ش.

۶۷. روضة الواعظین، محمد بن الحسن الفتال النیشابوری (م ۵۰۸ق)، قم: الشریف الرضی.

۶۸. رویکردهای نوین آموزشی (دو فصل نامه علمی - پژوهشی)، وزارت علوم، تحقیقات و فناوری، معاونت پژوهش و فناوری دانشگاه اصفهان.

۶۹. الزهد، أبو محمد الحسین بن سعید الکوفی الأهوازی (م ۲۵۰ق)، تحقیق: أحمد غلام علی، قم: دار الحديث، ۱۴۲۶ق.

۷۰. الزهد، عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي (ابن المبارك) (م ۱۸۱ ق)، بیروت: دار الكتب العلمیة، ۱۴۱۵ق.

۷۱. سعادت و شادکامی از دیدگاه اسلام، حمزه عبدی، قم: دار الحديث، ۱۳۹۱ش.

۷۲. سلیم بن قیس، سلیم بن قیس الهلالي العامري (م حوالي ۹۰ق)، تحقیق: محمد باقر الأنصاري، قم: نشر الهادي، ۱۴۱۵ق.

٧٣. سنن ابن ماجة عن عائشة، محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجة) (م ٢٧٥ق)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر.

٧٤. سنن أبي داوود، سليمان بن أشعث السجستاني الأزدي (م ٢٧٥ق)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار إحياء السنّة النبويّة.

٧٥. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى الترمذي (أبو عيسى) (م ٢٧٩ق)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: دار إحياء التراث.

٧٦. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي (م ٤٥٨ق)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٤ق.

٧٧. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (م ٣٠٣ق)، تحقيق: سليمان البغدادي وكسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١١ق.

٧٨. شادمانی درونی، مارتن ای پی سلیگمن، ترجمه: مصطفی تبریزی، رامین کریمی و علی نیلوفری، تهران: نشر دانژه، ١٣٨٩ش.

٧٩. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن محمد المدائني (ابن أبي الحديد) (م ٦٥٦ق)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٨٧ق.

٨٠. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي (م ٤٥٨ق)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٠ق.

٨١. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربيّة)، إسماعيل بن حمّاد الجوهري (م ٣٩٨ ق)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٧٦ ق.
٨٢. صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (م ٣٥٤ ق).
٨٣. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (م ٢٥٦ ق)، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١ ق.
٨٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (م ٢٦١ ق)، بيروت: دار الفكر.
٨٥. صحيفه سجّاديه، المنسوب إلى الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، تهران: كتاب فروشي اسلاميه، ١٣٧٥ ش.
٨٦. صحيفه نور، امام خميني، تهران: مركز مدارك فرهنگي، ١٣٦١ ش.
٨٧. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري (كاتب الواقدي) (م ٢٣٠ ق)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧ ق.
٨٨. عدّة الداعي، أحمد بن محمد الحلّي الأسدي (ابن فهد) (م ٨٤١ ق)، قم: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، ١٤٢٠ ق.
٨٩. علل الشرائع، محمد بن علي ابن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ ق)، النجف، المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٦ ق.

٩٠. علوم اجتماعي (فصل نامه علمي)، دانشگاه علامه طباطبائي، حوزه تخصصي: علوم اجتماعي (جامعه شناسي، مطالعات فرهنگي، مردم شناسي، جمعيت شناسي، تاريخ اجتماعي)، تهران.
٩١. العمال (كنز العمال)، علي المتقي بن حسام الدين الهندي (م ٩٧٥ق)، بيروت: مؤسسه الرسالة، ١٤٠٩ق، أول.
٩٢. عوالي اللآلي، محمد بن علي الأحسائي (ابن أبي الجمهور)، تحقيق: مجتبی العراقي، قم: سيد الشهداء، ١٤٠٣ق.
٩٣. العين، خليل بن أحمد الفراهيدي (م ١٧٥ق)، قم: مؤسسه دار الهجرة، ١٤٠٩ق.
٩٤. عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، محمد بن علي ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ق)، تحقيق: السيد مهدي الحسيني اللاجوردی، تهران: جهان.
٩٥. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (ق ٦ق)، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، قم: دار الحديث، ١٣٧٦ش.
٩٦. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد الأمدي، ترجمه و شرح: آقا جمال خوانساري، تهران: دانشگاه تهران، ١٣٧٣ش.
٩٧. الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي) (م ٤٦٠ق)، تحقيق: عباد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح، قم: مؤسسه المعارف الإسلاميه، ١٤١١ق.

۹۸. الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني (م ۵۰۹ق)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلميّة، ۱۴۰۶ق.

۹۹. فرهنگ مشاوره و روان درمانی (فصل نامه علمی - پژوهشی)، دانشگاه علامه طباطبائی، تهران.

۱۰۰. فرهنگ نامه آرزو، محمد محمدی ری شهری، با همکاری سید محمد کاظم طباطبائی، ترجمه: حمید رضا شیخی، قم: دار الحديث، ۱۳۸۵ش.

۱۰۱. فقه الرضا (ع)، المنسوب إلى الإمام الرضا (ع)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت (ع)، مشهد: مؤسّسة آل البيت (ع)، ۱۴۰۶ق.

۱۰۲. قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري القمي (م بعد از ۳۰۴ق)، قم: مؤسّسة آل البيت (ع)، ۱۴۱۳ق.

۱۰۳. قصص الأنبياء، سعيد بن هبة الله الراوندي (قطب الدين الراوندي) (م ۵۷۳ق)، بيروت: مؤسّسة المفيد، ۱۴۰۹ق.

۱۰۴. قضاء حقوق المؤمنين، سديد الدين أبو علي بن طاهر الصوري (ق ۶ق)، تحقيق: حامد الخفاف، بيروت: مؤسّسة آل البيت (ع)، ۱۴۱۰ق.

۱۰۵. الكافي (دار الحديث)، محمد بن يعقوب الكليني الرازي (م ۳۲۹ق)، تهران: دار الكتب الإسلامية، ۱۳۶۳ش، پنجم.

١٠٦. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني الرازي (م ٣٢٩ق)، تهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ش، پنجم.
١٠٧. كتاب من لا يحضره الفقيه، الفضل بن الحسن الطبرسي (أمين الإسلام) (م ٥٤٨ق)، تهران: فراهاني، ١٣٨١ش.
١٠٨. كشف الغمّة، علي بن عيسى الإربلي (م ٦٨٧ق)، تصحيح: سيّد هاشم رسولي، بيروت: دار الكتاب، ١٤٠١ق.
١٠٩. كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر، علي بن محمد الخزار القمي (ق ٤ق)، تحقيق: السيّد عبد اللطيف الحسيني، قم: بيدار، ١٤٠١ق.
١١٠. كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ق)، بيروت: مؤسّسة الأعلمي، ١٤١٢ق.
١١١. كنز العمال، علي المتقي بن حسام الدين الهندي (م ٩٧٥ق)، بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩ق، أوّل.
١١٢. كنز الفوائد، علي المتقي بن حسام الدين الهندي (م ٩٧٥ق)، بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩ق، أوّل.
١١٣. لسان العرب، محمد بن مكرم المصري الأنصاري (ابن منظور) (م ٧١١ق)، قم: أدب الحوزة، ١٤٠٥ق.
١١٤. مباني وعوامل شادكامي از دیدگاه اسلام با رویکرد روان‌شناسی

- مثبت گرا، عباس پسندیده، قم: دانشگاه قرآن و حدیث، ۱۳۸۹ ش.
۱۱۵. مجمع البیان فی تفسیر القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسی (أمین الإسلام) (م ۵۴۸ ق)، بیروت: مؤسّسة الأعلمی، ۱۴۱۵ ق.
۱۱۶. مجموعه آثار شهید مطهری، مرتضی مطهری، تهران: صدرا، ۱۳۷۵ ش.
۱۱۷. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي القمي (م ۲۸۰ ق)، تحقیق: مهدي رجائي، قم: المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، ۱۴۱۳ ق.
۱۱۸. مختصر بصائر الدرجات، سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري (م ۳۰۱ ق)، اختصار: حسن بن سليمان الحلبي (ق ۸ ق)، قم: الرسول المصطفى.
۱۱۹. مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (م ۷۵۱ ق)، القاهرة: دار الحديث، ۱۴۰۱ ق.
۱۲۰. مستدرک الوسائل، میرزا حسین النوری الطبرسی (م ۱۳۲۰ ق)، قم: مؤسّسة آل البيت (ع)، ۱۴۰۸ ق.
۱۲۱. المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (م ۴۰۵ ق)، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، بیروت: دار الكتب العلمیة، ۱۴۱۱ ق.
۱۲۲. مسکن الفؤاد، زین الدین بن علی الجبعی العاملي (الشهید



الثاني (م ٩٦٥ق)، قم: مكتبة بصيرتي.

١٢٣. مسند ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (ابن حنبل) (م ٢٤١ق)، بيروت: دار صادر.

١٢٤. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي التميمي الموصلي (أبو يعلى) (م ٣٠٧ق)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، جدّه: دار القبلة، ١٤٠٨ق، أول.

١٢٥. مسند الشاميين، سليمان بن أحمد الطبراني (م ٣٦٠ق)، تحقيق: عبد الحميد السلفي، بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٩٨٩م.

١٢٦. مسند الشهاب، محمد بن سلامة (القاضي القضاعي) (م ٤٥٤ق)، بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٥ق.

١٢٧. مشكاة الأنوار، علي بن الحسن الطبرسي (ق ٧ق)، تحقيق: مهدي هوشمند، قم: دار الثقلين، ١٣٧٨ش.

١٢٨. مصباح المتهجّد، محمد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي) (م ٤٦٠ق)، بيروت: مؤسّسة الأعلمي، ١٤٢٥ق.

١٢٩. المصباح المنير، أحمد بن محمد القيومي (م ٧٧٠ق)، قم: مؤسّسة دار الهجرة، ١٤١٤ق.

١٣٠. المصباح، إبراهيم بن علي الحارثي العاملي (الكفعمي) (م ٩٠٠ق)، بيروت: مؤسّسة الأعلمي، ١٤١٤ق.

١٣١. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ، محمد بن طلحة

النصيبى الشافعي (م ٦٥٢ق)، تحقيق: ماجد أحمد العطية، بيروت: مؤسسة أم القرى، ١٤٢٠ق.

١٣٢. مطالعات روان شناسی (مجله بین المللی)، سال ١٠، ش ٣، مركز علوم و آموزش كنانادا.

١٣٣. معاني الأخبار، محمد بن علي ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ق)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦١ش.

١٣٤. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (٣٦٠ق)، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد الحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥ق.

١٣٥. معجم السفر، أبو نعيم أحمد بن محمد الإصفهاني (م ٥٧٦ق)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ق.

١٣٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (م ٣٦٠ق)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤ق.

١٣٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي (م ٣٩٥ق)، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ق.

١٣٨. معدن الجواهر، محمد بن علي الكراجكي (م ٤٤٩ق)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، تهران: المكتبة المرتضوية، ١٣٤٩ق.

١٣٩. مفاتيح الجنان، عباس القمي (م ١٣٥٩ق)، تحقيق: حسين أستاذ ولي، قم: منشورات أم أبيها، ١٣٧٩ش، ششم.
١٤٠. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، حسين بن محمد الراغب الإصفهاني (م ٥٠٢ق)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم، ١٤١٢ق.
١٤١. مقتل الحسين، موقّق بن أحمد المكي الخوارزمي (م ٥٦٨ق)، قم: أنوار الهدى، ١٤١٨ق.
١٤٢. مكارم الأخلاق، الفضل بن الحسن الطبرسي (أمين الإسلام) (م ٥٤٨ق)، تهران: فراهاني، ١٣٨١ش.
١٤٣. المناقب، الموقّق بن أحمد المكي الخوارزمي (م ٥٦٨ق)، تحقيق: مالك المحمودي، قم: مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٤ق.
١٤٤. مهج الدعوات، علي بن موسى الحلّي (السيد ابن طاووس) (م ٦٦٤ق) بيروت: المؤسّسة الإسلامية للنشر، ١٤٠٧ق.
١٤٥. الموطّأ (التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد)، يوسف بن عبد الله القُرطبي (ابن عبد البر) (م ٤٦٣ق)، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، جدّه: مكتبة السوادى، ١٣٨٧ق.
١٤٦. المؤمن، حسين بن سعيد الكوفي الأهوازي (ق ٣ق)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، ١٤٠٤ق.

١٤٧. ميزان الحكمه، با ترجمه فارسى، محمد محمّدى رى شهرى، ترجمه: حميد رضا شيخى، قم: دار الحديث، ١٣٧٧ ش.
١٤٨. نشر الدرّ، منصور بن الحسين الآبي (أبو سعيد الوزير) (م ٤٢١ق)، تحقيق: محمد علي قرنة، القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.
١٤٩. نزهة الناظر، الحسين بن محمد الحلواني (ق ٥ق)، تحقيق: عبد الهادي مسعودي، قم: دار الحديث، ١٣٨٣ ش.
١٥٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، مبارك بن محمد الجَزَري (ابن الأثير) (م ٦٠٦ق)، تحقيق: محمد الطناحي، قم: مؤسسه اسماعيليان، ١٣٦٧ ش.
١٥١. نهج البلاغة، جمع وتدوين: محمد بن الحسين الموسوي (الشريف الرضي) (م ٤٠٦ ق)، شرح: صبحي الصالح، قم: دار الحديث، ١٤٢٤ ق.
١٥٢. نواذر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ، محمد بن علي بن سورة الترمذي (م ٣٢٠ ق)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٣ ق.
١٥٣. النواذر، فضل الله بن علي الحسنى الراوندي (م ٥٧١ ق)، تحقيق: علي عسكري، قم: دار الحديث، ١٣٧٧ ش.
١٥٤. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (م ١١٠٤ ق)، تحقيق: مؤسسه آل البيت ﷺ، قم: مؤسسه آل البيت ﷺ، ١٤١٤ ق.

هذا الكتاب

إنَّ من أبرز مؤشَّرات الحياة الجيدة التمتع بشعور الرضا. وإنَّ الحياة تتألَّف من وجهين: إيجابي وسلبي، وتتحقَّق الحياة الجيدة عندما يتمكَّن الفرد من رؤية النعم في كلتا الحالتين - الإيجابية والسلبية - والشعور بالرضا إذ بدون الرضا لا يمكن تحقيق التقدُّم والنجاح. يسعى هذا الكتاب إلى تقديم رؤية الإسلام حول الرضا عن الحياة بأسلوبٍ جديدٍ ومنظَّم، حيث يعالج نظرية الرضا من منظور الإسلام، التي تركز على مفهوم (الخير المُدرَك) والمناقشات المرتبطة به.



المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

<http://www.iicss.iq>

info@iicss.iq